

فضيلة الشيخ
عبدالله الأضاري
رحمته الله

واقع وتاريخ

جمع وإعداد
محمد بن عبد الله الأضاري
« أبو بكر »

١٤٢٥ هـ - ١٤٠٠ هـ

فضيلة الشيخ
عبد الله الأنصاري

يرحمه الله

واقع وتاريخ

جمع وإعداد

محمد بن عبد الله الأنصاري

"أبو عمر"

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يقول الله تعالى: { **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ** **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (١٨) }^(١).

فانظر أخت العلم كيف بدأ الله سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بملائكته المقربين وثلث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفاً وجلالاً ونبلاً.

وقال جل شأنه: { **يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** }^(٢)، أي درجات تلك؟ وما قيمتها؟ إنه لا يعرف كنه عظمتها إلا من رفع بها العلماء.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام))، ويكفيك أن تعلم أن كل عطاء إنما يستمد قيمته من المعطي، والمنعم بهذا العطاء هو الله، فأكرم بالعلم! وأكرم بالعلماء! وأعظم بما آتاهم ربهم من درجات!

وقال العلي الأعلى: { **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** }^(٣).

وفي مفاضلة إلهية كريمة يرينا جل شأنه رفعة العلماء، وعلو مكانتهم عنده فيقول تعالى: { **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ** }^(٤).

ويكشف الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وبارك عليه عن فضيلة العلم وأهله فيقول: ((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))^(٥).

¹ - سورة آل عمران الآية رقم (١٨).

² - سورة المجادلة رقم (١١).

³ - سورة فاطر الآية رقم (٢٨).

⁴ - سورة الزمر الآية رقم (٩).

⁵ - متفق عليه من حديث معاوية.

وقال صلى الله عليه وسلم: ((العلماء ورثة الأنبياء))^(١).

وعلم أنه لا رتبة فوق رتبة النبوة، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة، كما جاء في الأثر: ((يستغفر للعالم ما في السموات والأرض)) وأي منصب يزيد على مَنْ تُشغَلُ الملائكة الأبرار لأطهار في السماء، والأرض بل كل ما حوته السماء أو اتسعت له الأرض بالاستغفار له؟

وقال صلى الله عليه وسلم: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي)^(٢).

ونحن بعون الله تعالى بصدد الحديث عن عالم كريم، حَسَنَ منبته فطاب ثمره، وكرم أصله، فعظم عطاؤه، وقف حياته للعلم؛ فكان حديثه فيه، وصمته انشغالا به، وحركته لنشره، وسكونه استعداداً للانطلاق به في آفاق الله الرحبة ليبلغ عن الله ورسوله ما يرى الأمة وزنها، ويكشف لها عن قيمتها ويعرفها بمنزلتها إن هي أحسنت الأخذ من كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وحرصت على الاعتصام بهما؛ وفي ذلك صلاح أمرها يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي))^(٣).

وها هو المتحدثُ عنه الكريم - رحمه الله - قد اصطفاه الله لكتابه فعاش له تدبراً ومدارسة، وترتيلاً، وطبعاً، وشرحاً، وتفسيراً ولعله كان يأمل أن يصل بالقرآن إلى كل مَنْ يمكن الوصول إليهم به ممن آمنوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً فألف وحقق، واجتهد وسعه لعله يصيب فيكون له أجران، وإن كانت الأخرى فله

¹ - أخرجه ابن ماجه وأبو داود والترمذي في صحيحه من حديث أبي الدرداء.

² - أخرجه الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن صحيح.

³ - أخرجه الإمام مالك.

من الله تعالى أجر المجتهد، وعني بطبع كثير من علوم القرآن الكريم، بل طبع المصحف الكريم طبعات كثيرة مختلفة الأحجام تيسيراً على محبي القرآن الراغبين في حمله، والشرف باقتنائه، وعني بطبع كثير من علوم القرآن، وعاش الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فيما ورث أمته من حديث شريف فتناول أسفاراً من السنة شرحاً وتحليلاً، وإيضاحاً، وتفصيلاً ما يسر الله تعالى له وتولى - بتوفيق من الله تعالى له - كثيراً من كتب السنة، فأخرجها إخراجاً كريماً، وعرضها عرضاً طيباً لیتناسب مع موضعها ومكانتها.

ولم يقف عند هذا الحد وإنما خدم اللغة العربية التي شرفت بنزول القرآن بها واتسعت لآياته الكريمة، وبها حدث الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - فازدادت شرفاً وعلواً، فكان الشيخ جدّ حريص على أن يساهم قدر ما استطاع على إحياء تلك اللغة، وظهورها بالصورة الكريمة التي كانت عليها عصر نزول القرآن بها، واجتهد في تنقيتها مما علق بها، وإبعاد ما يؤثر على فصاحتها وبلاغتها، فأخذ على عاتقه - تقرباً إلى الله تعالى - مسؤولية الاهتمام بها في عصر حاول الحاقدون النيل منها، والحط من شأنها، وإظهارها بمظهر العجز عن الوفاء بمتطلبات العصر، والتفاعل مع أحداثه.

ونسوا أن لغة عظيمة اتسعت لكتاب الله تعالى قادرة على أن تشمل الحياة، وتعطي ما فيها ومن فيها، فأعطاها حظاً وافراً من جهوده كتابة، وتمحيصاً كذلك، وطباعة لكثير من تراثنا العربي.

والنفس الطيبة التي فطرت على الخير وأعدت للعطاء الكريم نفس لا تعرف الملل، ولا يقعدها النصب، فحياتها في نشاطها، وبقاؤها في انطلاقها، وهكذا كان شيخنا الجليل - رحمه الله بارزاً في كل موقع من مواقع الخير، ظاهراً مقدماً في كل موقف من مواقف العطاء وكان ذلك الأثر الكريم الحكيم: ((من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)) قد خالط

شغاف قلبه، وجعله الله للمسلمين في كل أحواله فكم من مساجد كان لله جلَّ شأنه ثم له فضل إقامتها لا في بلده وحدها وإنما في كثير من بلدان العالمين العربي والإسلامي، وغيرهما.

وتشهد له عند ربه مراكز للإسلام أسست على تقوى من الله ورضوان في بقاع العالم تدعو إلى الله على بصيرة كانت يده واضحة أساسها، وعقله وفكره وقلبه متابعاً خطوات تشييدها حتى قامت شامخة رائعة تشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتدعو الناس إليها.

وكما قيل: (**إنَّ العِظائمَ كفوها العِظماءُ**)) فشيخنا ذو همة عالية، وبصيرة نافذة، ترى بنور الله ما حولها، وتكشف - بتيسير منه جلَّ شأنه - كثيراً مما يحيط بها، فإذا هو ينشئ جمعيات للبرترعى هؤلاء الذين اختبر الله عباده بهم من ذوي الحاجات، وكان الأنصاري صار أماً لكل كسير، وسنداً لكل ضعيف، وأباً لكل يتيم.

والشيخ الذي عني بالقرآن طباعة، وإظهاراً بأكرم الصور يصل به إلى قلوب المسلمين وعقولهم، فيهتم بتحفيظه للصغار والكبار ويعنى بالمقبلين عليه، ويشجعهم، ويكافئهم، ويرغبهم في الثواب العظيم الذي يفوق كل جزاء دنيوي إذ هم حفظوا القرآن، ووعوه.

فما خلا بيت قطري من صغير يرتل القرآن، أو كبير يتدبره ممن تولى الشيخ - بتوفيق من الله تعالى - أمره، ويسرَّ له أن يكون من أهل القرآن، فكم من حلقات أقيمت، واحتفالات أعدت، وجوائز قدمت للقرآن وأهله.

وَأتمَّ اللهُ على يديه تأسيس أول معهد ديني عام ١٣٧٤ هجرية تنمى لخدمة القرآن الكريم، ورعاية للعلوم الدينية والعربية، وليكون سنة حميدة تتبعها معاهد كثيرة.

ثم لإيمانه بأن العلم نور للشعوب كان منطلقه في وزارة التربية والتعليم سريعاً هادفاً، فأقيمت المدارس، وشيدت المعاهد التربوية التي تخدم التعليم في كل مراحلها، كما كانت له آراؤه وتوجيهاته التربوية التي أفاد منها رجال التعليم على اختلاف مستوياتهم، والمتعلمون أيضاً.

كما أشرف على البعثات التعليمية، والوفود الدينية المرسلة من قطر، وحين تولى الشؤون الدينية أزهـر على يديه نشاطها، ووصل بها أوج عظمتها، حتى تحولت إلى ((إدارة إحياء التراث)) ١٤٠٢ هجرية واختير مديراً لها؛ فكانت إدارته - في ذاتها - إحياء لكثير من التراث، وبعثاً لعظيم من الركائز في مختلف فروع الثقافة.

وقد امتدت يد الإصلاح منه، وظهرت آثاره الطيبة، وأياديه البيضاء حين ولى شؤون القرى؛ فكانت ولايته عمارة لها، وتتييراً وحضارة في منشآتها الخاصة والعامة، وطرقها، ووسائل مواصلاتها.

وشاء الله أن تبقى له شواهد معمارية تحدث بأن الإصلاح كلمة عامة تتناول كل جوانب الحياة ومتطلباتها؛ فديننا لم يكن علماً فقط وإنما هو علمٌ وعملٌ، عطاءٌ في كل مجالات الحياة؛ فأعيد تخطيط مدينة الخور، وتغير وجه الحياة فيها على يديه، وتم تخطيط مدينة خليفة الجنوبية، وإنشاء بيوتها، وإقامة مرافقها، ومنشآتها العامة، وبإشرافه تم توزيع بيوتها، وكذلك تأسيس مدينة الشمال.

وظهرت آثاره الواضحة في كثير من نواحي الحياة الاجتماعية بدولة قطر، وتجلى ذلك في دوره العظيم في مواجهة الكوارث التي تعرضت لها البلاد، والعمل على تخفيف الأعباء عن المضارين بها.

وقد كان للشيخ - رحمه الله - عطاؤه الاجتماعي الذي لم تشغله عنه مسؤولياته الكثيرة المتنوعة، فقامم الناس أفراحهم وأتراحهم وكان له

دوره الكبير في تلك المشاركات العظيمة، وتولى - رحمه الله - تحرير عقود الزواج لكثير من أبناء قطر، وخصوصاً أبناء الأسرة الحاكمة.

وتجلى ما أفاضه الله عليه من علم، وما آتاه من حكمة فيما أسند إليه من أمور الطلاق، وما أوكل إليه من قضايا مستعصية، فكان حكمه - بتوفيق من الله تعالى - فصلاً وعدلاً، لا تأخذه في الله لومة لائم.

وحسابه الفلكي دليل واضح على ما وهبه الله من ذكاء، وما ميزه الله به من نبوغ، وما أسبغ عليه من نعمة العلم والمعرفة فقد جاء حساباً علمياً دقيقاً، وله أصالته وقوته؛ مما جعله موضع احترام وتقدير، وتقديم له، وعمل به، فألف في علم الفلك (كتابه التقويم القطري) بدءاً من عام ١٣٧٦ هجرية، كان هذا التقويم لقطر خاصة، ولدول الخليج عامة.

والشيخ - رحمه الله - صورة مشرقة، وكلمة مدوية، وصوت في الحق عال يعلو كل الأصوات في كثير من المؤتمرات الإسلامية التي أقيمت معبرة عن الإسلام والمسلمين، أو متناولة جانباً من جوانبه الكريمة المضيئة، فشارك في كثير منها، ورأس بعضها، وكان فيها معطاءً، بليغاً، جريئاً، فخرج بأعظم التوصيات، وحقق مع رفاقه من رجال الله أعظم النتائج.

ولم يكن الشيخ صاحب الكلمة والحركة والنشاط في السلم فقط وإنما كان علماً من أعلام الجهاد يساند المجاهدين المسلمين، ويذكي فيهم روح الحماس، ويرسل إليهم المدد من أموال المسلمين، وفي مقدمتهم الأسرة الحاكمة؛ حتى يستعينوا بها على عدو الله وعدوهم.

رحم الله الشيخ لقد أشرق نوره في شتى وسائل الإعلام مقروءة ومسموعة ومرئية معلماً ومذكراً ومفسراً ومفتياً؛ حتى يصل بالمسلمين إلى شاطئ الأمان.

إن الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري عمله موصول، وجهده قائم، لا تبليه الأيام ولا ينقصه تتابع العصور، إنما يزداد مع الأيام قوة ورفعة وشموخاً.

ألم يقل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له))؟^(١).

وإننا لندرجو أن يجمع الله تعالى له الثلاث وإننا إذ نعرض بعض الجوانب المضيفة من حياة شيخنا فإننا لنسأل الله العلي القدير أن يجعل سيرته معالم على طريق الدعوة، ودلائل واضحة يهتدي بها الراغبون في عطاء إيماني متميز، يستهدف الإصلاح، ويرجو العودة بالمسلمين إلى عصور ناضرة، تعيد للمسلمين مجدهم وتحقق لهم ما وعد الله تعالى به، فقال وقوله الحق: { **إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ** }^(٢).

اللهم اجعل عملنا لك، وقولنا في سبيلك، وجنبنا الرياء وألزمنا كلمة التقوى؛ إنك على كل شيء قدير.

محمد بن عبد الله الأنصاري

(أبو عمر)

¹ - رواه مسلم عن أبي هريرة.

² - سورة غافر آية رقم (٥١).

අප්‍රේල් 2019

වෛද්‍ය

هو الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن علي الأنصاري، ولد في عام ١٣٣٣ هجرية بالخور من أبوين كريمين فقد كان والده - رحمه الله - شغوفاً بالعلم جداً في طلبه منذ صباه وقد توفى والد الشيخ إبراهيم وهو صغير، فكان يجلس أمام بيت والده فإذا مرَّ به واحد من أهل العلم والمعرفة طلب منه أن يستمع إليه، وقام يقرأ عليه السور التي يحفظها من القرآن الكريم، ثم تقلب بين حلقات العلم، ومحفظي القرآن الكريم في قرية جناح ببلاد فارس حتى بلغ الرابعة عشرة من عمره فنل مع رفقة له في مدينة الخور فاستقبله رئيس المدينة، ولمح فيه فقهاً وفطنةً وحفظاً للقرآن الكريم، فقدمه للإمامة، وعرض عليه البقاء ليكون إمامهم، فاستخار الله، وقرر البقاء حيث لقي الحب والاحترام والإكرام ثم رحل إلى فارس مرة ثانية، ومكث فيها فترة، وتلقى العلم على يد العالم ((عبد الرحمن سلطان العلماء))، ثم تزوج من ((جفر مسلم)) حيث كانت تقيم الأسرة بزوجة صالحة أنبتت خير نبت هو شيخنا عبد الله بن إبراهيم الأنصاري.

وقد ورث الابن عن أبيه خلقاً كريماً، وأدباً جماً وشغفاً بالعلم، وسداداً في الرأي، وقوة في الحق، وبراً بأهله، ووفاءً لمجتمعه، وتواضعاً في غير ضعف.

والشيخ - رحمه الله - يرجع نسبه الشريف على فرع عريق من فروع الأنصار - رضي الله تعالى عنهم أجمعين - فجدده سعد بن عبادة من بني ساعدة، أحد فروع الأنصار، رضوان الله عليهم أجمعين - وخير بيوت الأنصار أربعة: بنو النجار، وهم أخوال النبي صلى الله عليه وسلم، وبواسطة سيدهم أسعد بن زرارة دخل الإسلام المدينة المنورة.

وبنو الأشهل من الأوس قوم سعد بن معاذ.

وبنو الحارث بن الخزرج.

وبنو ساعدة، وهم قوم سعد بن عبادة، فهذه خير بيوت الأنصار، وفي كل دور الأنصار خير كما أخبر عليه الصلاة والسلام كيف لا؟ وهم الذين آووه، ونصروه، وأثنى الله عليهم في القرآن الكريم ثناءً جميلاً، شهادة منه جلَّ شأنه بحسن إيمانهم، وصدق يقينهم وكريم إخلاصهم، وعظيم فلاحهم قال الله تعالى بعد ثنائه على الأخيار المهاجرين: { **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** }^(١).

فهذا قول الله تعالى فيهم، ومن أصدق من الله قيلاً؟

وقد سأل الأستاذ ((أحمد حماني))^(٢) عن نسبه في الأنصار، وهل يعرف جده منهم؟

فقال: أجل هو سعد بن عبادة.

وسعد بن عبادة أحد السعديين، وهما سيديا الأنصار بلا منازع: سعد بن معاذ سيد الأوس الذي حكم في بني قريظة بحكم الله، والذي اهتز عرش الرحمن لوفااته.

وسعد بن عبادة سيد الخزرج، وهو سعد بن عبادة بن ديلم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف الخزرج بن ساعدة بن كعب ويكنى أبا ثابت.

وكلاهما شريف في الجاهلية، عظيم في الإسلام، وهما في الأنصار كأبي بكر وعمر في المهاجرين، وقد استشهد سعد بن معاذ من اثر جرح في غزوة الأحزاب، وبقي سعد بن عبادة سيد الأنصار، ومثله فيهم شرفاً وأسبقية ورئاسة ابنه قيس بن سعد وكان يقوم لدى النبي صلى الله عليه وسلم مقام صاحب شرطته، ثم كان كذلك في خدمة الخلفاء الراشدين،

¹ - سورة الحشر الآية رقم (٩) .

² - جريدة الشعب الجزائرية ٢٣ / ١٠ / ١٩٨٩ م .

ومن المعروف أيضاً أن سعد بن عبادة كان أحد النقباء الاثني عشر الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة الأولى.

وماذا يتوقع من رجل كهذا، أنبته ربه نباتاً حسناً، وجعل أصوله في تلك الصفة المختارة في دين الله، والتي فعلت من أجل دين الله ما لم يسبقهم إليه غيرهم، ولم يأت به أحد بعدهم؟

أليسوا هم { وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (١).

أليسوا هم الذين أشرب الله قلبوهم حبه، وحب من أحبه؟ فأحبوا الله ورسوله، وغمروا إخوانهم المهاجرين بذلك الفيض الكريم من الحب الطيب المبارك، حتى قال الله تعالى فيهم ((يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ)).

أليسوا هم أولي النفوس السخية والعطاء الأنصاري المميز؟ فشرفهم الله تعالى بقوله: ((وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)) ثم شهد لهم جل شأنه شهادة حق فقال: ((وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)).

ألم يقل الله تعالى فيهم: { فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (٢).

أليسوا هم أهل المدينة دار الهجرة التي طهرها الله تطهيراً، وأصبحت بالإيمان زهرة المدائن كلها عدلاً وإحساناً وإيماناً لقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم في شأنها: ((إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها)) (٣).

1- الحشر (٩).

2- الأعراف (١٥٧).

3- رواه البخاري.

ألم يجعل الله تعالى تلك المدينة مأوى رسول الله عليه صلى الله عليه وسلم حياً، ولحق بالرفيق الأعلى بها، وشرفها الله تعالى بدفنه فيها؟

وذلك ما بشر به الرسول صلى الله عليه وسلم أهل المدينة حين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقد أتم الله عليه النعمة، ومكن له في الأرض، ودخل الناس في دين الله أفواجاً فظن الأنصار أن النبي صلى الله عليه وسلم لن يعود إلى المدينة، وأنه سيؤثر المقام في بلده مكة المكرمة بين أهله وعشيرته، فأراد صلى الله عليه وسلم أن يطمئنهم، فقال لهم: ((المحيا محياكم والممات مماتكم)).

وتشريفاً لبقاع الأرض كلها، ونشراً لنور الإيمان في سائر البقاع تتاثر السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان في أرض الله كلها ليكونوا معالم هدى، ومشاعل تضيء طريق الحق.

សំបុត្រ ឧបត្ថម្ភ

نشأ الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري نشأةً صالحةً في كنف والدٍ تقي، يقدس الحق، ويقضي به غير مبالٍ بما قد يتعرض له، ولا مهتم بمن يكون الحكم عليهم أو لهم، وكان الشيخ إبراهيم وعي الدرس الأول من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لأسامة: ((أتشفع في حد من حدود الله، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد)).

وحين يلقي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم مثل هذا الدرس فإنما يعلم به من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، حتى لا يكون القضاء قائده إلى النار، وكان الشيخ إبراهيم - رحمه الله - قد عاين ببصيرته ووعي بقلبه، ما ألقاه أبو بكر على مسامح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتناقلته الأجيال جيلاً بعد جيل لتظهر أمة الإسلام سليمة المنهج قوية السلوك، فقد قال في أول خطبة له: ((إني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه والضعيف فيكم قوي عندي حتى أعيده عليه حقه)).

وقد عاشر الطفل موقفاً ابتلى به أبوه الشيخ إبراهيم، وفتنة أوقفته موقفاً عظيماً يذكره له التاريخ بإكبار، ويسجله بحروف من نور فقد حدث خلاف بين أمير منطقة ((جفر مسلم)) وأحد الأهالي على مجرى ماء النخيل، وكان الحق في جانب ذلك الرجل الضعيف، فحاول أن يأخذ حقه من الأمير، فشكاه إلى الخان، فكتب الخان إلى الأمير، وحكم عليه أن ينطلق هو والشاكي إلى الشيخ إبراهيم بن عبد الله الأنصاري ليحكم بينهما، فأرسل الأمير إلى الشيخ إبراهيم الذي قام من فورهِ، ومعه ثلاثة من المحكمين من كبار أهل البلد إلى مكان الخلاف، وعاینوه على الطبيعة،

وتأكد لهم جميعاً أن الأمير غير محق وأنه ظالم لصاحبه، متعدي عليه، إلا أن المحكمين الثلاثة اعتذروا عن إبداء رأيهم علناً خوفاً من سلطة الأمير ورهبة من سطوته وجبروته.

ترى ماذا يفعل الشيخ؟ أيكون رابعهم فيحلّ الحرام ويعين الظالم المتسلط على أكل أموال الناس بالباطل؟ أم انه يؤثر الآخرة على الأولى كما علمه ربه { **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** }^(١) ويطلقها صادقة ابتغاء وجه الله { **وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا** }^(٢) ويحكم بحكم الله تعالى الذي شرعه وارتضاه { **وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** }^(٣).

لا شك أن رجلاً كهذا يخشى الله ويعرفه حق المعرفة ويوقن أنه موقوف بين يديه جلّ شأنه، ومسئول عما حكم به سيؤثر الثانية ويعيد الحق على أهله، وإن غضب الظالمون وسخطوا، فكتب الشيخ إبراهيم الحكم، وسلمه بيده إلى المدعي الذي حمله بدوره إلى الأمير، وما إن قرأه الأمير حتى تميز غيظاً، وأخذته العزة بالإثم، وشق عليه أن يخضع لحكم الله، فأرسل بعض جنوده إلى الشيخ إبراهيم، فأتوه وهو يقرأ القرآن الكريم، وناداه كبيرهم: يا شيخ إبراهيم إن الأمير يدعوك، فانطلق وأخذ عباةته، وتوجه إليه، وما إن وصل مجلسه حتى أسرع يسأله: يا شيخ إبراهيم: هل أنت الذي حكمت لمداري ((محمد علي))؟ فأجابه في ثبات من لا يخشى إلا الله، ولا يذعن إلا لسلطانه، هذا حكم الله الذي حكم به الشرع الشريف، وليس حكمي أنا فقال في غيظ: أنت مفتر في حكمك.

فأجابه: الحكم بيدك أرسله إلى من شئت.

قال الأمير: لن أرسله، ولن أنفذ حكمك.

¹ - الأعلى (١٦).

² - الأنعام (١٥٢).

³ - النساء (٥٨).

قال الشيخ: بهذا تكون قد عصيت الله، وعطلت حدوده، وما كانت معصيتك لشخصي أنا.

قال الأمير: لا تكثر الكلام وإلا سجنتك.

قال الشيخ: إذن تكون قد ارتكبت معصية ثانية، وهي أنك تظلم من نصحك بالحق، وبهذا تكون من الأمراء الجائرين.

قال الأمير بعصبية: خذوه إلى السجن.

ولما كان للشيخ من هيبة تهيب الجنود تنفيذ الأمر، وتحيروا، فأنقذهم الشيخ بقوله: مَنْ يدلني على السجن؟

سأذهب إليه وحدي، لأنني أدرك تمام الإدراك أنه لن ينفذ أحدُ أمرك هذا، وانتفض قائماً، فتلقاه أحد الجنود ليمسك يده، فجذب يده منه بقوة، فما إن وصل إلى السجن حتى أمر الأمير بما يأمر به الظالمون دائماً، فقللوا عنه الطعام والشراب، وبدأت المساومات، ارجع يا شيخ عما قلت، أحكم للأمير تكن من جلسائه والمقربين إليه، راجع نفسك فيما قلت واعدل عنه تمل الخير كل الخير، كلُّ يوجه نصيحته بهذا، والشيخ - رحمه الله - يضحك.

وحدث مرة أن سأله الأمير: كيف تضحك وأنت فيما أنت فيه من الإذلال؟ ويجيبه الشيخ: أضحك عجباً لأمير في مقامك، يحاول بالباطل ليدحض به الحق، طلبك هذا مستحيل ولن تتاله مني أبداً، ولما يئس الأمير منه أمر بشده بالحبال على الخشب وهو واقف، وكان الشيخ - رحمه الله - يردد بصوت عالٍ يسمعه كل ذي سمع وهو مشدود بالحبال: أعمل ما تريد فوالله لا تجدني راجعاً عن الحكم بما أنزل الله تعالى أما أنت فجزاؤك عند الله.

ويأتي المدد من العلي الأعلى، ويحق الله الحق بكلماته، فقد بقي في السجن بضعة أيام وشاع الخبر في المدن والقرى المحيطة، وأخبر شقيقه الخان

بما حدث، فاهتم بالأمر، وأرسل سبعاً من رجالات الدولة إلى ((جفر مسلم)) وقد شاع الخبر قبل حضورهم، فألقى الله الرعب في قلب الأمير، فأطلق سراح الشيخ خوفاً من سطوة الخان.

وعزم الشيخ على فراق ذلك البلد الذي لا يقيم عدلاً، ولا ينفذ لله شرعاً، ولا يقف عند ما حده الله تعالى من حدود.

سار الشيخ إلى ((مغو))، ومعه أعوانه وأحابه، وأدركه رجالات الخان، ومعهم الأمير، وطلبوا منه الرجوع، ولكنه رفض وأصر، وأخبرهم أنه قد عاهد على السفر، ولا يستطيع نقض عهده مع الله.

لقد رأى الصبي عبد الله هذا الصراع القوي بين حق أعزل عدته حق، وسلاحه إصرار على تنفيذ عدل، حتى ولو كان هذا الحق يتعارض مع مصلحة أمير من الأمراء، أو هو عظيم من العظماء، لأن الداعي إلى الحق المستمسك به لا يرى كبيراً غير كبير واحد هو الله القاهر فوق عباده، ولا يستشعر قوياً غير القادر المقتدر جلّ وعلا، فهو لا يبالي سلطاناً ولا يخاف بأساً، ولا ينال منه تهديد، لأنه يرى نفسه مع الله وكفى.

تُرى بم يتخلق صغير عاين هذا كله؟ وعاش لحظاته لحظة بلحظة، ورأى عظمة الحق الأعزل وهو يقف شامخاً في عزة، ويقدم ما عنده في قوة بينما شهد تدهور الباطل المغرور المتعنت، ودحض أهله، وإرغامهم على شرع الله.

هكذا غرست فيه مروءة، واستقرت في أعماقه جرأة وشبت معه شجاعة جعلته لا يخشى إلا الله.

ارتحاله إلى البحرين

في صحبة أبيه

لقد آنس الشيخ إبراهيم الأنصاري في ولده عبد الله - رحمهما الله تعالى - سمات ميزته، ورأى منه رجولة مبكرة، وذكاء يسبق عمره، وامتداد أفق يصقل رأيه، ويدعم نظرتة مما جعله جديراً برفقة أبيه في حله وترحاله، فحين عزم الشيخ إبراهيم على الرحيل إلى شبه الجزيرة العربية اصطحب معه ابنه عبد الله، وكأن الله تعالى قد هياً له تلك الصحبة ليرى في أبيه ما يتزود به في حياته المقبلة حين يقدر عليه أن يواجه الحياة كرجل يكافح من أجل حياة كريمة، وكداعٍ إلى الله تعالى يتخذ الحق منهجه، ويدعو إلى الله تعالى على بصيرة.

وقد تميز الشيخ منذ صباه بحضور البديهة، وحسن التصرف إذا عرض له أمر من الأمور، فقد نزل مع والده الشيخ إبراهيم إلى البحرين، وغادر السفينة متجهين إلى سوق البحرين، وكان مزدحماً، فضل عن والده، واجتهد في البحث عنه فلم يوفق لذلك فأخذ يفكر في وسيلة يلقي بها والده، فهداه عقله على العودة إلى السفينة التي جاء بها، والبقاء حتى عودة أبيه، وفعلاً كان اللقاء بينهما، فقد بحث عنه أبوه حين افتقده فلم يعثر عليه، فعاد إلى السفينة فوجده في انتظاره.

حياته العائلية

يقول الله تعالى:

{لِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ
(٤٩) أَوْ يَزُوجَهُمْ ذُرِّيًّا وَمَا يَشَاءُ عَظِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)}^(١).

الذرية مطلب فطري فطر الله تعالى البشر عليه، والرغبة فيها أصيلة في طبائع بني الإنسان، تَطَّلَعُ إِلَيْهَا الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وحدثنا القرآن عن تضرع بعض الرسل - عليهم الصلاة والسلام - طلباً لها:

{وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَاثِلِينَ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا
وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠)}^(٢).

وما كان ذلك إلا رغبة في امتداد مسيرة الإيمان، وليكون لهم عقب صالح يذكرون به عند الله - تعالى - ثم عند الناس، وما كان هذا الدعاء إلا لونا من ألوان العبادة، وقد تأسى بهم صالحوا المؤمنين.
يقول ربنا - جل وعلا - في صفات عباد الرحمن:

{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِمَتِّقِينَ إِمَامًا
(٧٤)}^(٣).

¹ - الشورى (٤٩، ٥٠)

² - الأنبياء (٨٩، ٩٠).

³ - الفرقان (٧٤).

كما قال جلا شأنه:

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلَهُ وَفِصَالَهُ
ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ قَالَ
رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥)}^(١).

وجعل الله - تعالى - الذرية الطيبة رداءً في الدنيا، وثواباً وذكرًا في
الآخرة.

يقول العلي الأعلى:

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ
عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١)}^(٢).

وصالحو الأبناء صلة للأباء، وامتداد لعملهم الطيب.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو
علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))^(٣).

وقد تزوج الشيخ - رحمه الله تعالى - بخمس فضليات - لا أزكيهن على
الله تعالى أولاهن أم محمد وقد لحقت بربها بعد ولادة محمد الثاني (أبو
عمر) بتسعة أيام واثنتان منهن شقيقتان، مضت أولاهما وهي (أم عبد
العزیز) رحمها الله تعالى إلى جوار ربها بعد أن أهداه الله منها ولدين، وأربع
بنات، ولما فيه من خلق، وما عرف عنه من دين، آثره أهلها حيث تزوج
شقيقتها (أم إبراهيم)، وبورك له فيها، وورثه منها أكثر أولاده.

1- الأحقاف (١٥).

2- الطور (٢١).

3- رواه مسلم.

لقد منحه الله تعالى ثمانية من البنين:

أما أولهم فهو: محمد بن عبد الله الأنصاري (وهو ابن الزوجة الأولى) (أم محمد).

وقد اختاره الله إلى جواره وهو في الثانية من عمره ووهبه الله تعالى من بعده:

- محمد بن عبد الله الأنصاري (أبو عمر).
- عقيد مهندس / عبد العزيز بن عبد الله الأنصاري (أبو سعود) مدير إدارة الصيانة بوزارة الداخلية.
- الأستاذ/ عبد الرحمن بن عبد الله الأنصاري مدير الشؤون الإدارية بالشركة القطرية للصناعات التحويلية وهو - أيضاً - رجل أعمال.
- الأستاذ الشيخ / إبراهيم بن عبد الله الأنصاري مدرس بجامعة قطر (كلية الشريعة)، وهو مبتعث الآن في إنجلترا لإتمام رسالة الدكتوراه.
- الأستاذ/ جابر بن عبد الله الأنصاري (رجل أعمال).
- الملازم/ أحمد بن عبد الله الأنصاري (شرطة قطر).
- الأستاذ/ علي بن عبد الله الأنصاري طالب بجامعة قطر.

هذا وقد أتم الله عليه نعمته فمُنحه تسعاً من البنات صارت إحداهن إلى جوار ربها وهي في الرابعة من عمرها هؤلاء هم ثمار غرسه، وجنى عمره، وأثر من آثاره، جعلهم الله خير خلف، وأقامهم على الهدى، وأنار بهم ميزان حسناته.

وقد توفى - رحمه الله تعالى - عن زوجتين بآرك الله لهما وفيهما.

សុខុមាលី ឆ្នាំ ២០២៣

ولحكمة أرادها الله - تعالى - وسِرُّ أودعه قلبه أصرَّ الشيخ - رحمه الله تعالى - على أن يُشرفَ أول من منَّ الله عليه به من الأبناء باسم (محمد) لعلها - والله حسيبه - الرغبة الصادقة في أن تمس عقبه بركة من شرف به هذا الاسم الكريم، وقد أولع الشيخ - رحمه الله تعالى - به، فقد كتبا كغيرنا نلمح فيه حبا لله - تعالى - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - فهو دائم التلاوة للكتاب العزيز، وثيق الصلة بعلومه، شغوفاً بذكر الله، مولعاً بالصلاة على رسوله - صلى الله عليه وسلم - مشغولاً بسنته قراءاً سمعاً لسيرة الحبيب الكريم - صلى الله عليه وسلم - بحثاً فيها، داعياً إليها، ناصحاً بالتماس الأسوة فيما حوته من دروس، مذكراً بجوانب العظمة فيها.

لقد سمى ابنه الأول (محمدًا)، وشاء الله تعالى أن يختار الابن العزيز لجواره بعد عامين تقريباً، فصبر، ورضي بقضاء الله، وسأله - جل شأنه - العوض، فرزقه الابن الثاني، فأعلن في غبطة المؤمن، وسرور المنعم عليه الشاكر: هو (محمد) وصارت كنيته التي عرف بها (أبو محمد)، فتلك كنيته تذكره بمن بعثه ربه رحمة للعالمين محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - كما تذكره بفضل الله تعالى عليه.

وشاء الله تعالى أن يكون له لقب يعتز به، ويسعده أن ينادى به، أو يُكتب عنه، أو يخطه بيمينه، ويجعله في توقيعه، وقد يستوقفك افتتاحه اللقب بكلمة (خادم)، والمعلوم أن مقام الخادم - كما يقولون - من مقام مخدمه، فلنكمل اللقب لنرى أنه فتح، ومنة من الله - عز وجل - وتشريف، تحفظه له الأجيال، ويحدث به التراث الذي أحياه، إنه - رحمه الله - (خادم العلم) وأي علم هذا؟

إنه العلم الشريف، العلم الذي أورث المؤمنين الهدى بعد الضلال، وأخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، إنه العلم بكتاب الله - تعالى - وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وما يتبعهما من فنون، وما يشرف

بيانها من علوم اللغة، وكم كان يطرب لهذا اللقب في تواضع لا يعرف الغرور، ويهش له اعترافاً بنعمة الله - تعالى - عليه، فإذا كان الله - جل حكمته - قد رفع العلم، فقد أعلى به شأن العلماء يقول - جل شأنه:-

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) }^(١).

يقول الشيخ عبد المعز عبد الستار عن هذا اللقب:

(كان الشيخ خادماً للعلم، وخادماً للقرآن الكريم يقول تعالى: { لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ }^(٢).

فالقرآن هو العلم الذي لا يُغْنِي عنه علم آخر، وقد عني الشيخ به ويحفظه، وبإشاعته في الأمة إلى جانب عنايته بطباعة الكتب الإسلامية، وخصوصاً كتب التراث كتفسير ابن عطية، وتفسير صديق خان، فكان يخدم العلم، وله حنين إلى الماضي، وإلى الكتب التي ربت العلماء، فطبع مجموع المتون التي فيها الألفية والأجرومية وفقه الشافعية وكل المتون التي كان يقرؤها أبناء الأزهر وغيرهم، ولا يكاد يسمع بكتاب ينفع المسلمين والإسلام إلا طبعه، ومن خير ما طبع كتاب (إظهار الحق) الذي يعد من أفضل ما ألف في الإسلام، فهو خادم العلم، علم القرآن، وعلم الحديث، وعلم الأصول، وعلم النحو، وكل علم فيه هداية لهذه الأمة.

وسيرى القارئ الكريم خلال تطوافه في رحاب هذا الكتاب كيف كان رحمه الله تعالى - خادماً للعلم طول حياته.

¹ - المجادلة (١١) .

² - النساء (١٦٦) .

حياته العلمية

- جامعته الأولى.
- رحلته العلمية إلى الأضواء.
- في رحاب بيت الله الحرام.
- التحاقه بالمدرسة الصولتية.
- صلته بأساتذته وشيوخه.

جامعته الأولى

كان أبوه - رحمه الله تعالى - جامعته الأولى، فقد رأى فيه والده نبوغاً مبكراً، ولمس فيه ذاكرة واعية، وقلباً مطمئناً ونفساً ولوعاً بالعلم شغوفاً بالقرآن الكريم، فرباه تربية كريمة طيبة، وأجلسه منه مجلس التلميذ من أستاذه، فتلقى منه الذكر الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فشرح الله تعالى صدر الصبي، وأنار بصيرته، وقوى مداركه، وجعل القرآن الكريم شغله فلا يكاد يفرغ من حفظ قدر منه حتى تتوق نفسه إلى المزيد، ويشوق إلى ما يليه مستزيداً والده، ملحا عليه في مضاعفة الواجب اليومي من القرآن الكريم ونفس الصبي مشوقة إلى ذلك اليوم الذي يقال فيه إنه ختم القرآن.

وآتم الله تعالى له ما أراد، وأكمل عليه نعمته، فحفظ كتاب الله وهو في الثانية عشرة من عمره، وكان كلما أقرأه أبوه ظهرت عليه مخايل الذكاء، وأمارات السبق، وسمات العبقرية المبكرة فقرأ عليه الأربعين النووية فأتم حفظها، وتلقى عن الوالد الكريم شرحها، فاستوعبه أيما استيعاب.

وجد الأب نفسه أمام عقل متفتح، ونفس متعطشة إلى العلم ومزيد من المعرفة رأى بين يديه فتى نهما في العلم لا يشبع منه، ولا يُشغَل بغيره عنه، فقرأ عليه الفقه على مذهب الإمام الشافعي - رضي الله عنه - فأتسع له عقله - ووعته ذاكرته، مما دفع الشيخ إبراهيم إلى أن يلقن ولده عبد الله - رحمهما الله - مبادئ علم الميراث في الرحبية، فلم يضق الفتى بما حوته من أصول هذا العلم وتفريعاته، وإنما استقبلها استقبال الواصل من نفسه، المطمئن إلى ما منحه الله تعالى من قوة الذاكرة، وسرعة الفهم، وحضور البديهة.

وضاعف ذلك النبوغ، وهذا التفوق ثقة الوالد في ابنه، أو الأستاذ في تلميذه، ورأى لزاما عليه أن يطوف به في رياض العلم يمتص من رحيقه ألوانا وفنونا، فولج به ميدان اللغة العربية وآدابها فعرض عليه ألفية ابن مالك، فحفظها، وأظهر براعة في إتقانها وتفهم مراميها، كما أسمعته كتاب (بلوغ المرام)، فلحظ فيه سبقا زاده إعجاباً به، ورأى من الضروري - أيضاً - أن يزوده بشيء من علوم الأدب، ولو بمبادئ تعده لخوض غمار تلك العلوم، فعرضها عليه، والفتى سريع الحفظ، فائق الفهم، بارع في الحوار.

وهكذا قدر له أن يكون أبوه - رحمهما الله تعالى - جامعته الأولى.

رحلته العليمة إلى الأحساء

قوي عود الفتى، واشتد ساعده، وتفتح شبابه، وقد بلغ السادسة عشرة من عمره، فولى وجهه شطر الأحساء التي كانت في ذلك الحين مركز إشعاع، ومستقر صفوة من علماء الإسلام في فنون العلم المختلفة، سبقوا فيها بتوفيق من الله، وبرعوا في نقلها إلى كل راغب في العلم، مقبل عليه، مما جعل الأحساء مقصد طلاب العلم الراغبين في التزود منه، الوافدين عليها من كل صوب وحدث.

نزل الشيخ - رحمه الله تعالى - الأحساء يدفعه دينه الذي أحبه وتحفزه رغبته الشديدة، وتسعى به همته العالية، ويؤهله لتلك الرسالة السامية صبره، ويثبت خطواته، ويسرع بها ما حظي به مثله الأعلى - والده رحمه الله تعالى - من توكير، وما عُرِفَ له من هيبة بما آتاه الله من علم، وما أفاض عليه من حكمة.

نزل الأحساء عام ١٣٥٣هـ - وهي غاصة بالحلقات ذات العطاء العلمي المتنوع - طالباً للعلم، مشوقاً إلى مجالسه، حريصاً على ملازمة رواده الأفاضل الذين باعوا الجهد والوقت لله تعالى، واتسعت صدورهم قبل حلقاتهم لمريديهم من طالبي التفقه في دين الله جل وعلا استجابة لدعوة الحق حيث يقول جل شأنه:

{ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢) }^(١).

¹ - التوبة (١٢٢).

ونزل الشيخ عبد الله على شيخنا محمد بن أبي بكر الملا (١) - أول ما نزل - وكان ذلك بعد قدوم الشيخ محمد من الحجاز حيث تولى التدريس مع السيد عبد الرحمن الهاشم، وكان الشيخ محمد يدرس في المسجد، بينما يدرس السيد عبد الرحمن في الرباط (٢)؛ حيث كان الشيخ عبد الله من سكنته في ذلك الوقت، فقرأ على الشيخ محمد فن التجويد، والأجرومية في النحو، وعلم الفرائض، كما قرأ على الشيخ عبد العزيز بن صالح العلجي في فنون اللغة العربية والأدب، وقرأ على الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد اللطيف العمير (٣) الفقه على مذهب الإمام الشافعي، كذلك قرأ على الشيخ محمد العبد اللطيف (٤) والشيخ عبد اللطيف الخطيب (٥).

¹ - هو العلامة الشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن أبي بكر الملا، حاتمة علماء الحنفية في الأحساء، وقد أخذ العلم عن أبيه الشيخ أبي بكر والشيخ عبد العزيز العكاس، والشيخ محمد المالكي المكي، والشيخ حسن شطا وغيرهم.

ومن آثاره العلمية: رسالة في أصول الفقه بعنوان: (سلم الوصول) وشرح مطول على (الأجرومية)، ورسالة في التجويد، وغير ذلك (ت ١٣٩٥هـ).

² - مساكن طلاب العلم.

³ - هو الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد الرحمن العمير، فقيه شافعي، أخذ العلم عن العلامة محمد بن أحمد العمير، والشيخ محمد بن حسين، العرفج، والشيخ محمد بن أحمد العثمان، تولى مناصب كثيرة منها: القضاء والإفتاء والتدريس وإمامة مسجد الدوغانية بالهفوف. من آثاره العلمية منظومة في النحو، وفتاوى فقهية لا تزال مخطوطة، توفي عام ١٣٧٧هـ.

⁴ - الشيخ محمد العبد اللطيف: هو الشيخ محمد أحمد بن محمد بن أحمد العبد اللطيف تعهدته أمه صغيراً واعتنت بتربيته فانصرف إلى طلب العلم، وحضور مجالسه وكان من شيوخه الشيخ عبد العزيز العلجي وعين قاضياً في القطيف، ثم الجبيل، ثم الأحساء، توفي الجمعة في الخامس عشر من شهر صفر ١٣٩٥هـ.

⁵ - الشيخ عبد اللطيف الخطيب: هو الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن الخطيب الجعفري من فقهاء الشافعية، في الأحساء وتولى إمامة الجامع الجبيري بالكوت، والتدريس في مدرسة العثمان الأهلية وله اهتمام بنسخ الكتب، ومن آثاره دعاء ختم القرآن الكريم ولا يزال مخطوطاً.

كما قرأ على الشيخ أحمد بن الشيخ عبد اللطيف الملا (١) واستفاد منه فوائد كبرى فيما يتعلق بتاريخ حكام الخليج، وتاريخ ولاياتهم، ووفاتهم.

وقرأ على الشيخ محمد بن إبراهيم المبارك (٢) - أول ما تولى التدريس في مدرسة الشريفة بالرفعة - مبادئ علم الحديث، وكراريس من صحيح البخاري وفتح المنعم لما اتفق عليه البخاري ومسلم، كما قرأ على الشيخ عبد العزيز بن محمد العبيد الله (٣)، بل كان من الملازمين له، والشيخ محمد بن عبد الرحمن الخطيب وهكذا جدَّ الشيخ في طلب العلم، والأخذ عن العلماء الأعلام، فتلقى العديد من العلوم الدينية، والعربية، والمعارف النافعة المتنوعة وراجع شيوخه في مهمات المسائل في النحو، والفرائض، والتفسير، وعلوم القرآن، والحديث الشريف، وعلومه، وغير ذلك، كما درس كتاب الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر العسقلاني، وكتاب البداية والنهاية حتى الجزء العاشر.

وكان - غفر الله له - مولعا بعلم الفلك، فحرص على مجالسة الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد اللطيف الجعفري، وتذاكر معه، ومع الشيخ عبد

¹ - الشيخ أحمد بن عبد اللطيف الملا ينتهي نسبه إلى الشيخ علي بن حسين الواعظ الحنفي الذي قدم إلى الإحساء عام ٩٥٧هـ وأخذ علمه عن أبيه الشيخ عبد الرحمن والشيخ عبد الله، والعالم الكبير الشيخ أبي بكر عبد الله الملا، والفقير الشيخ عبد العزيز العكاس الحنفي وهو عالم جليل، ومؤرخ كبير، وقاض مشهور بالأمانة والعدل، وجلس للوعظ، والتدريس في مدرسة (القبة) بالكوت، توفي عام ١٤٠٢هـ.

² - الشيخ محمد المبارك (ت ١٤٠٤هـ): هو الشيخ العلامة الفقيه محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن مبارك المالكي، عالم جليل، ومجتهد في المذهب المالكي، وأخذ العلم عن العلامة عبد العزيز العلجي، وأبيه الشيخ إبراهيم المبارك، والعلامة الشيخ عبد العزيز أحمد المبارك، ونال إجازة عن العلامة المحدث الشيخ عمر بن حمدان في كتب الحديث الستة.

ودرس علم الفلك على الشيخ خليفة النبھاني.

ومن آثاره العلمية: التعليق الحاوي (ط) توجيهات دينية (ط).

³ - المتوفى في السابع عشر من الحرم سنة ١٤٠٨هـ.

الرحمن القاضي العدساني (١) أصول هذا العلم، وفروعه، وحصل على نسخة من ترتيب الشيخ عبد الرحمن القاضي لعلم الفلك على منوال تقويم العيوني.

وكان جادا في طلب العلم، حريصا على ألا تفوته فائتة، يؤكد ذلك انه حين التقى بالشيخ محمد سعيد ابن شيخه أحمد الملا بمكة المكرمة في شعب بني عامر في اشهر الحج عام ١٣٩٦هـ قال له - رحمه الله - ((إذا تأخرت عن درس الشيخ أحمد أتيت مجلسه حتى لا تفوتني فائدة)).

وكان مع ما من الله تعالى به عليه من فطنة، وسلامة فكر، وحكمة بالغة يطلب النصيحة ممن أوتوا الحكمة، وأفاض الله عليهم من علمه فقد سأل شيخه عبد العزيز بن صالح العلجي - رحمهما الله تعالى - موعظة ونصيحة، فقال فيه تلك القصيدة(٢):

أيا نجل إبراهيم تطلب واعظاً

ولا وعظ كالقرآن و السنة الغراً

تدبر كتاب الله عند تهجد

ولا سيما والناس في نومهم سكرى

يلاقك من مولاك أكبر واعظ

على قلبك المشتاق أنواره تترى

وأقبل على الفقه المعظم قدره

هو المنهج المأمون والحجة الكبرى

¹ - الشيخ عبد الرحمن العدساني (ت ١٣٨٣هـ) هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العدساني المولود سنة ١٣٠٧هـ، بالهفوف بدأ في طلب العلم من نعومة أظفاره فقرأ على الشيخ أحمد العرفج الأحسائي، ولما سافر إلى الهند أخذ عن الشيخ الفلكي أحمد عفيفي وله إسهامات في طباعة الكتب ودرس في المدرسة الأميرية بالهفوف.

ومن آثاره العلمية: أرجوزة في الفلك، وتقويم فلكي مطبوع.

² - القصيدة مدونة في كتاب شعراء هجر صفحة ٤١٥.

تكن نافعا للمسلمين وحيثما
تحل على قوم تكن فيهم صدرا
ولا تضع الأوقات في غير صالح
فمن ضيع الأوقات نال بها خسرا
فعمر الفتى ما عاش مرزوع سعيه
فمن لم يراع الوقت لا يعمر الأخرى
ولا تصحب الناس إلا بحالة
تصيب حلال الرزق أو تكسب الأجر
وفي كل عقد أنت مجربه فابنه
على الشرع حتى لا تصيب به وزرا
ولا تتخذ من دون ربك مقصدا
فإن إليه العز والفتح والنصر

وإنك لترى كيف كان موفقا في اختيار ناصحه، فالنصيحة صادرة عن قلب مُليء حكمة، وأشرب نورا، وغذي تقوى، فأجرى الله تعالى على لسان الناصح - رحمه الله - عظات بالغات. ووصايا محكمات، أخذت من نور القرآن، وهدى النبوة، وعظمة الإسلام ما جعل مستقرها في قلوب الصالحين.

وقد كان الشيخ - رحمه الله تعالى - موفقا - أيضا - في اختيار إخوانه فكان من المصاحبين له في تلك الفترة الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن المصطفى (١) والشيخ عبد الله بن فهد بوشبيب (٢) رحمهما الله تعالى.

¹ - المتوفى عام ١٣٩٦هـ.

² - المتوفى عام ١٤٠٣هـ.

وقد عُرِفَ الشيخ بحرصه الشديد على الوقت ينفقه فيما ينفع ويسخره في طاعة الله ما استطاع، فكان إذا وجد سعة من الوقت ما بين العصر والمغرب ذهب مع بعض رفاقه إلى قرى الأحساء، وطاف في مساجدها بالنصح، والوعظ، والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انطلاقاً من: ((اغد عالماً أو متعلماً)) فكان يفيد ويستفيد.

وانتقل - رحمه الله تعالى - إلى البحرين، والتقى بالشيخ محمد بن عبد العزيز الجاركي الفارسي، وقرأ عليه واستفاد منه في علوم الآلة وعلم العقائد، والتقى بالشيخ عبد الله الكوهجي الفارسي الصديقي في الحورة بالمنامة، ودرس عليه علم الفقه، والنحو، والصرف إلا أنها مدة قليلة، وكان رفيقه في تلك المدة الشيخ ملا خليل الفارسي.

وهكذا كان الشيخ عبد الله - رحمه الله - يقع حيث يطيب الرحيق، وينزل تزدهر الرياض ليعود بخير زاد، ويسعد بخير صحبة، ويحوز من نور العلم ما تصبو إليه نفسه الطموح وتتعلق به همته العالية.

قضى الشيخ - رحمه الله - ثلاث سنوات لا ينقطع عن قراءة، أو سماع أو تحبير، أو سؤال حتى أمره والده بالعودة فرجع إلى جامعته الأولى ليستأنف دراسته في رحابها، وعلى يد معلمه الأول بما تربطه به من صلوات لا يجدها في غيره من العلماء، وما يحمل له ذلك المعلم من آمال عزَّ أن يجدها في صدر غيره ممن علموه.

ظل الوالد الشيخ إبراهيم الأنصاري يفيض من علمه على تلميذه وولده عبد الله، وهو يتلقى بنهم، وكلما علم جديداً ازدادت رغبته في مزيد من المعرفة، وتطلع إلى أن يجمع الله تعالى له من العلم أضعاف ما علم، حتى عاش مشغولاً بالعلم، جاداً في طلبه.

في رحاب بيت الله الحرام

وفي عام ١٣٥٩ هـ - وقد بلغ السادسة والعشرين من عمره - تآقت نفسه إلى مهبط الوحي، ومبعث النبي الخاتم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وتآجج في جوانحه شوق كبير إلى أداء فريضة الحج فشد رحاله إلى مكة المكرمة، ولم يكد يفرغ من أداء مناسك الحج حتى عاوده الحنين إلى ما شغل به، ومآلت نفسه إلى مواصلة التزود مما أخذ نفسه به، ألا وهو طلب العلم، فقد حضر الندوات الدينية وحلقات العلم بالمسجد الحرام، وتتسم نسيم الوحي، واستشعر أنوار الهدى، فرأى البقاء ضرورة، وصحبه هذه الوجوه الناضرة فرضاً ليضيف إلى ما بدأ مع والده، وما تيسر له بالإحساء والبحرين جديداً فيه صدى مولد الدعوة، ومواطنها الأول وعبير السابقين الأولين.

ولكن أنى له ذلك؟

لقد استأذن أباه في الحج، وما عرض عليه البقاء للدراسة، ولا يليق بمثله أن يأتي أمراً دون الرجوع إلى والده، والاستتارة برأيه ولذا فقد أرسل إلى أبيه يستأذنه تكريماً له، واستئناساً برأيه، ولعل الله تعالى يرحاه ويبارك له فيما هو مقبل عليه بدعاء طيب من والده، وكان الأب يعلم خبيئة ولده، ويدرك طموحه، ويعرف حق المعرفة شغله الشال فأذن له.

وفي أم القرى حيث أول بيت وضع للناس، وحلقات العلم الناضرة به، ومجالسه التي تحفها الملائكة، وشيوخه الذين باعوا أنفسهم لله وعكفوا على إبلاغ الدعوة، وانقطعوا لتيسير أسبابها لمريديها الطامعين في أن يكونوا من أهلها.

في هذا المناخ الطيب المبارك، وفي رحاب مكة المكرمة حركه شوقه بين هؤلاء الشيوخ، وتقلب في رواد بيت الله الحرام من طالبي العلم وشغف بالتحصيل، وأولع بالدرس والمحاورة.

أقبل على حلقات العلم بالحرم المكي الشريف، ومجالسة هؤلاء العلماء الأجلاء، والأخذ عنهم، جادا في طلب العلم وتحصيله، مكباً على الحفظ والدرس، مقبلاً على دراسة علوم عصره في تلك البقعة المباركة، فدرس الفقه وأصوله، والتفسير وعلوم القرآن الكريم والحديث الشريف وعلومه، وعلم الموارث والعقيدة والنحو، والصرف، والبلاغة، والأدب، وعلم الفلك.

التقى بكبار علماء مكة المكرمة الأفاضل الذين اشتهروا بعلو مرتبتهم، وإخلاصهم في خدمة العلم وأهله، فاستقى من منابعهم واقتدى بهداهم.

وكان من أبرز شيوخه بالحرم المكي الشريف الشيخ محمد عبد الرازق حمزة إمام وخطيب المسجد الحرام فدرس عليه كتاب التوحيد وصحيح مسلم، وموطأ الإمام مالك، والشيخ محمد بن مانع الذي قرأ عليه بلوغ المرام، وزاد المستتقع، ومفردات الإمام أحمد وكتاب التوحيد أيضاً.

ولازم العلامة الشيخ السيد علوي بن السيد عباس المالكي الحسني في دروس التفسير، ولب الأصول، والتلخيص على الألفية والجواهر المكنون في البلاغة.

كما تابع دروس العلامة الشيخ عمر حمدان المحرثي، فتلقى عنه دروساً في شرح الشمائل، ومتن الخليل في فقه المالكية.

أما العلامة الشيخ محمد العربي التبياني الجزائري (١) فقد درس عليه الزرقاني على الموطأ، والإتقان في علوم القرآن.

¹ - مؤرخ كبير ومحدث ومن مؤلفاته (رسالة في نزول المسيح)، توفي عام ١٣٩٠هـ.

وعلى يد العلامة الشيخ حسن المشاط (١) تلقى دروساً في لب الأصول
وشرح ألفية ابن مالك.

وفي مجلس العلامة الشريف الحسين السيد محمد أمين كتبي الحنفي
المكي تلقى تفسير الإمام النسفي، ومغني اللبيب، كما درس عليه في علمي
النحو والبلاغة.

كما قرأ على العالم الفاضل الشيخ محمد نور الدين بن هلال (٢) أبواباً
في الفقه المالكي والحديث، واستفاد كذلك من الشيخ أحمد بن الشيخ
خليفة بن نبهان (٣) مسائل في علم الفلك حيث درس عليه كتاب (الريع
المجيب) للشيخ خليفة بن نبهان والد الشيخ أحمد.

وقد مكث الشيخ خمس سنوات - تقريباً - في مكة المكرمة لدى هؤلاء
الشيوخ الأعلام يتزود من العلم ما وسعه ذلك، ويجمع ما تيسر له جمعه،
ويقرأ، ويراجع أساتذته، يستوضح ما غمض ويستبين ما أجمل، ويعرض ما
استطاع به حتى يفرغ لغيره.

من الله تعالى عليه، ومنحه خيراً كثيراً، وابلغه مراده، وهياً له موضعاً
طيباً كريماً بين دارسي المسجد الحرام، وكان الله الذي هياه لهذا، ويسر
له الأسباب قد أبدله بداره البيت الحرام - وأكرم به من دار - وبوالده البر
الكريم شيوخاً أفاضل أماجد حتى يصل إلى ما تصبوا إليه نفسه.

¹ - من علماء مكة ومن مؤلفاته رسالة (فتح القريب المحيب على تهذيب الترغيب والترهيب) توفي عام
١٣٩١هـ.

² - من علماء مكة فقيه ولغوي وشاعر وأديب، وله ديوان في مدح النبي صلى الله عليه وسلم توفي عام
١٤٠٤هـ.

³ - أصله من البحرين، وانتقل إلى التدريس بالحرم المكي الشريف، برع في علم الفلك.

التحاقه بالمدرسة الصولتية

وكانت أشواق الشيخ وتطلعاته تسعى به، وطموحه يدفعه إلى طلب العلم أينما كان، وكيفما تيسر له، ولذا كان شديد الرغبة عظيم الهمة، قوي العزم على أن يملأ أوقاته كلها بالجد في طلب العلم فرأى أن يجعل لأول نهاره مسلكا علميا يضيفه إلى مساره الدراسي المبارك في الحرم المكي الشريف، فهداه الله إلى نبع تَرُّ، ودار عامرة برجال صدق في الله جاهدهم، واشتد بالله عزمه، فعلمهم من فضله وأمدهم بمدده، وآتاهم الحكمة {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (٢٦٩) ^(١) جملهم الله تعالى بالعلم فأصلح به ظاهرهم وباطنهم، فحق فيهم - والله حسبيهم ولا أزكي على الله أحدا - قوله تعالى:

□ {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)}

^(٢)، فكانوا بفضل من الله تعالى أوفياء للعلم، أمناء على ما أوتوا، فما منعه طالبها، ولا كتموه عن مستزيد، وما اتخذوه بضاعة تشرى بثمن بخس وكان الفتى الشيخ - رحمه الله تعالى - حريصا على أن يجالس كل من يسرت له الأقدار مجالسته من هؤلاء العلماء الأعلام جادا في السعي إليهم أينما كانوا وحيثما حلوا، وكانت المدرسة الصولتية بمكة المكرمة، والتي أنشأها العالم الرياني الشهير، والمجاهد الإسلامي الكبير الشيخ/ محمد رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرانوي ^(٣) الدهلوي - صاحب كتاب (إظهار الحق) - كانت تلك المدرسة أول مدرسة نظامية في

¹ - البقرة (٢٦٩).

² - العنكبوت (٦٩).

³ - ولد في بلدة (كيرانة) من توابع (دهلي) بالهند في شهر جمادى الأولى ١٢٣٣هـ في أسرة شهيرة كريمة، وينتهي نسبه إلى الإمام العادل ثالث الخلفاء الراشدين ذي النورين عثمان بن عفان، ولذلك يقال له: (العثماني).

مكة المكرمة، بل في الجزيرة العربية ١ كما كانت معقل صفوة الأخيار فالتحق بها، وانتظم في طلاب الصف الثاني من القسم الثانوي للعلوم الدينية وكانت هذه المرحلة بعد الابتدائية العالية ((التخصص))، وكان يسبق الابتدائية، ما يسمى بالإعدادية لحفاظ القرآن الكريم، ثم المرحلة التحضيرية، وأظهر الشيخ نبوغاً، وسما به ذكاؤه فاجتاز الصف الثاني بنجاح، واستحق الارتقاء إلى الصف الثالث، ثم سافر عائداً إلى الخور يؤدي ما يهديه الله إليه من واجبات البر بوالده وحسن الصلة بأهله، وكأنه أراد أن يجعل من تلك الفترة عرضاً لما من الله عليه به من علوم ومعارف بين يدي والده الشيخ الفقيه، وهو - لا شك - موقن أنه سيحقق من وراء ذلك نفعاً،

¹ - بعد تأليف ((إظهار الحق)) عاد الشيخ رحمه الله على مكة المكرمة، واشتغل بالتدريس في الحرم الشريف وبادره، ولم يكن التعليم في أرض الحرم مرتباً منظماً بل كان مقتصرًا على حلقات العلماء بدون تنظيم ولا منهج، ومن غير شك كانت الخلافة العثمانية تبذل أموالاً طائلة لعلماء المسجد الحرام ولطلاب العلم، ولكن لم تكن هناك مدرسة نظامية تعتنى بأبناء مكة والمهاجرين إليها من حيث التعليم والتربية، وكان الشيخ/ محمد رحمت الله - رحمه الله تعالى شديد التألم من رداءة حال التعليم وضياع أبناء المسلمين، فقام اعتماداً على الله بفتح وتأسيس أول مدرسة نظامية في ربيع الأول عام ١٢٨٥هـ على نفقته الخاصة بمحلة الشامية، بدار أحد أمراء الهند المهاجرين، المعروفة بدار السقيفة عند مطلع جبل هندي بالشامية، عرفت بالمدرسة الهندية أو مدرسة الشيخ رحمة الله، ونظراً لضيق المكان لم يستطع الشيخ تنظيم المدرسة، كما يتمناها ويريدها، إلى أن قدمت لأداء فريضة الحج عام ١٢٨٩هـ - إحدى أميرات الهند، وهي السيدة صوّلتُ النساء، وكانت تنوي بعد الحج بناء رباط في مكة، كما هي عادة أهل الخير في أراضي الحرمين الشريفين، وكانت على علم تام بشهرة الشيخ رحمة الله وجهاده في الهند، فاستشارته في إقامة عمارة للفقراء، فأخبرها الشيخ أن مكة المكرمة ليست بها مدرسة تتكفل بتعليم أبناء المسلمين، وأخبرها عن مدرسته، فوافقت على إنشاء مدرسة، وفوضت الأمر إلى الشيخ وسبحان الله مسبب الأسباب، فقد اشترت الأرض في حي الخندريسة بمحلة الباب، ووضع الشيخ رحمه الله بيده المباركة حجر الأساس لأول مدرسة نظامية تحت ظل البيت العتيق صباح يوم الأربعاء الموافق ١٥ شعبان عام ١٢٩٠هـ، شهدت هذه البلدة المقدسة ميلاد أول مدرسة يبدأ الدراسة فيها في احتفال كبير حضره جميع علماء وأعيان مكة وطلاب العلم، بفضل هذه المحسنة، وتخليداً لذكرها فقد أطلق الشيخ اسم: الصولتية على المدرسة، نسبة إلى السيدة صولت النساء، ولم ينسبها إلى نفسه، فأصبحت هذه المدرسة مركزاً للطلاب من كل حذب، ومنبعاً للعلوم والمعرفة، وهي أول مدرسة نظامية على الإطلاق وبالاتفق في الجزيرة العربية، تأسست على يد ذلك المجاهد العظيم، ولا زالت والحمد لله تؤدي رسالتها، وتاريخ المدرسة حافل بالخدمات العظيمة في نشر الدين والعلم، وتخرج أفواج من العلماء والمدرسين والقضاة والمؤلفين ورجال الدولة حملوا رسالتها في البلاد وخارجها، والحمد لله على نعمة التوفيق.

ثم عاد إلى مدرسته فالتحق بالصف الرابع في عام ١٣٦٥هـ، وكان سكنه في القسم الداخلي للمدرسة المخصص لسكنى الطلاب وذلك في عهد مديرها ومؤسسها العلامة المرحوم الشيخ ((محمد سليم رحمت الله)).

وقد تلقى الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري دراسته في تلك المدرسة العريقة على أيدي علمائها الأعلام، وأساتذتها الأماجد ومشايخها الذين يذكرهم التاريخ بكل فخر واعتزاز وهم الشيخ حسن المشاط والشيخ زكريا عبد الله بيلا، والشيخ مختار مخدوم بخاري، والشيخ محمد سليم رحمت الله، والشيخ عمر حمدان، والشيخ عبد الله فدا، والشيخ محمد عارف سمبس، والسيد أبو بكر سالم البار، والشيخ جعفر الكثيري والشيخ علي بكر الكندي.

وشاءت إرادة الله تعالى أن يختبر الشيخ، ويوضع بين أمرين أحلاهما مر فقد بلغه وهو على هذه الحال من النشاط العلمي نبأ فقدان والده العزيز - رحمهما الله تعالى - بصره، فغلبه بره، وطار به وفاؤه إلى أرض الخور ليكون بجانب والده ومؤدبه، ومعلمه، وليرافقه في رحلة طلب العلاج.

وما كان الله تعالى ليرد دعاء طيبا، أو يمنع محسنا جزاء إحسانه فهو القائل جل شأنه { هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠) }^(١) وقوله عز وجل: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) }^(٢) لقد خرجا متوكلين على الله، قاصدين بابه، راجين منه وكرمه، طامعين في واسع رحمته، واتجها إلى الكويت. وهناك تمت - بفضل من الله ورحمة - رحلة العلاج وكانت المنة الكبرى من الله تعالى، فقد رد على الشيخ الكبير بصره، وأسعد الابن البار بذلك الشفاء، ثم عادا إلى قطر فرحين بعبء الله شاكرين نعمته، ليبدأ الشيخ عبد الله مرحلة جديدة من مراحل حياته.

¹ - سورة الرحمن الآية (٦٠).

² سورة الكهف الآية (٣٠).

صلته بأساتذته وشيوخه

إن الشيخ - رحمه الله تعالى - وإن ودع مواقع العلم كدارس إلا أن ما تميز به من ألفة، وما طبع عليه من مودة، وما وهبه الله من خلق كريم جعله موصولاً بأساتذته غير ناء عنهم بروحه وفكره، فقد توثقت علاقات حب ومودة بينه وبين أساتذته، فكان ودوداً لهم، باراً بهم، متتبعا آثارهم العلمية، حريصاً على معرفة أحوالهم، زواراً لهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وعلى سبيل المثال كان الشيخ عبد الله - رحمه الله تعالى - إذا نزل مكة المكرمة لحج أو زيارة تلقاه مدير المدرسة الصولتية الأسبق وأستاذه الأكرم محمد سليم رحمت الله فأكرم وفادته، وأحسن نزله، ورعاه خير رعاية، ولعلك - أخي القارئ - تسأل ألم يكن الشيخ عبد الله واحداً من هؤلاء الطلاب الذين تخرجوا من هذه المدرسة - وما أكثرهم! - فما بال شيوخها وكبيرهم يحتفون به هذا الإحتفاء؟

ما باله بقي قريباً من نفوسهم محبباً إلى قلوبهم؟

لا شك أنك ستطيع بسهولة أن تقول: إن ذلك الشيخ الطالب - رحمه الله - كان فيه من الصفات ما ميزه على أقرانه بل امتدت العلاقة بين الشيخ وأسرة شيخه محمد سليم رحمت الله - رحمهما الله - بعد وفاة الشيخ، فكان الشيخ عبد الله دائم الاتصال بابن أستاذه، كثير السؤال عنه، ينزل مكة فيزوره، ويحسن الآخر استقباله، ويكرم وفادته ويقوم على ضيافته، ويلزم خدمته حتى يغادر مكة المكرمة.

مهاراة

- الشيخ والبحر

- الشيخ والزمن

لقد شاءت حكمة الله تعالى أن تكون حياة أي إنسان سلسلة متصلة الحلقات يُسلم بعضها إلى بعض، وتشبه كل منها الأخرى والحرف - وإن تنوعت - تعطيك صورة مجمعة العناصر، متكاملة الجوانب عن حياة من خلق لها، وقدر له أن يمارسها ولقد بدأ الشيخ - رحمه الله - رحلته العلمية بالغوص.

ألا يستوقفك هذا أيها القارئ الكريم؟

الشيخ العالم الداعية، المشغول بشؤون المسلمين، المتتبع لحركات الجهاد الإسلامي، المتطلع إلى نهضة تستنقذ المسلمين مما أصابهم ويعيدهم خلقاً جديداً يفتتح أولى صفحات عمله بصداقة وطيدة مع البحر، وكأن القدر يعد ليكون نقاداً للؤلؤ، عارفاً بثمين الأحجار وغيثها، لتتطلق معه هذه المعرفة حيثما يحلُّ في مستقبل أيامه، فيميز طيب الكلام من خبيثه، ويستخلص من الصفات أعلاها، فإذا هو قوي مع كل موقف يتطلب الشدة، صبور حلِيم مع كل عاصفة تذهب بأحلام الرجال، وتستثير أولي العزم، يعرف كيف يواجهه، ويتقن أصول اللقاء ويتخذ لكل موقف ما يلائمه.

ولئن كان الغوص مهنة فإنها لمهنة مميزة بما تزرع في النفس من شجاعة، وما تكسب صاحبها من جرأة، وما تعلمه من حيطة وحذر، وتقدير للأمور حق قدرها، وما تفرغ عليه من صبر وتؤصل في طباعه من استقصاء ودقة، وحسن مقارنة، ونفاذ بصيرة، وتمييز بين الغث والسمين وأناة وحلم وحسن تروٍّ لمتابعة الهدف، والظفر بالمطلوب، كما تنمي فيه ملكة النقد، وجودة التأمل، وشمول الفحص، ثم حكمة الاختيار ومبرراته.

لقد احترف الشيخ الغوص قبل ذهابه إلى الأحساء لطب العلم أي في ريعان شبابه، ونضارة عمره، ولم يكن في مهنة الصيد عضواً مهملاً، أو يداً مساعدة، وإنما كان ماهراً خبيراً بأعماق البحر خبرته بدروب البرحوله.

وبكريم خلقه، وجم تواضعه ألفه معاونوه، وقدمته حكمته، وسبق به علو همته.

يقول عنه أحد معاونيه في مهنة الغوص ((السيب)) (مساعد الغيص) وهو الأستاذ عبد الرحمن أحمد الملا: كان رحمه الله تعالى شجاعاً، صلب الإرادة، يقتحم المخاطر، لا يعرف الخوف إلى قلبه سبيلاً، ففي إحدى الليالي من أيام الغوص حيث كنا في منطقة ((أم الشيف)) في منتصف الليل، وقد خيم ظلام دامس، وقد بعدنا عن الشاطئ فاجأتنا عاصفة شديدة، ولعبت الأمواج بالسفينة، وانخلعت القلوب من الخوف، وتراءت أمام أعيننا أشباح الموت، وتقطعت بنا الأسباب، حيث أردنا الخروج إلى الشاطئ، ففوجئنا باشتباك البورة ((الخطاف الذي يستخدم لإرساء السفينة)) بصخرة على عمق ثمانية عشر باعاً، ورأينا ألا ملجأ من الله إلا إليه { **أَمِّنْ يَجِيبُ الْمَضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أُوْلَئِكَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ** (٦٢) }^(١) وكان الشيخ - رحمه الله تعالى - مع ما أحاط بنا من هول - رابط الجأش، ثابت القلب، عظيم التفاؤل، قوي الثقة، تكسو وجهه الوضيء ابتسامة هادئة، فوضع الفطام، على أنفه، وألقى بنفسه في البحر وغاب عن أعيننا، وقلوبنا معه خوفاً عليه، وإشفاقاً بحاله، فليس الوقت وقت غوص، ولكنه ما لبث أن طفا على سطح الماء، ونزل بيننا في السفينة، لقد فصل البورة من الصخرة، وهياً الله تعالى بفضلته ورحمته نجاة وعوداً سالماً بشجاعة الشيخ عبد الله ومروءته.

وظلت العلاقة قوية، والصلة وطيدة بينه وبين البحر حتى حين تقدمت به السن، وعرك الحياة، وتقلبت به مواقع العمل، فهو الرجل الجلد النشيط قوي البنية، مفتول الذراعين، ألفته مع البحر قائمة وحبه للغوص يملأ كيانه.

¹ - سورة النمل (٦٢).

حدث بعض رفاقه - وكان أكثرهم من رجال التربية والتعليم - أنهم اجتمعوا مرة على شاطئ الخليج، وإذا بالشيخ يحن إلى البحر، فيخلع ثوبه وعمامته، ويلقي بنفسه في الماء، ورفاقه في دهشة وذهول، وغاب عن أنظارهم لعدة دقائق، حتى اشتد قلقهم، وعقد الخوف ألسنتهم، ولفهم صمت عميق، وذهبت بهم الظنون كل مذهب حتى ظنوا أن البحر قد نسي سالف عهد الشيخ به، وأن الموج قد فض ما بينه وبين الشيخ من عهود ومواثيق فغدر به البحر، وأسلمته الأمواج إلى قاع البحر، فتوى في أعماقه، ولكن ما لبث هذا الوجوم أن تحول إلى تهلل وفرح، وكست الوجوه ابتسامة، وحل الفرح عقد اللسان فإذا الجميع يهتف: ها هو الشيخ، الحمد لله، الحمد لله، لقد طفا على وجه الماء بنشاطه المعهود، وحيويته المعروفة، وابتسامته التي تعودها منه كل من عرفه.

الشيخ والزمن

وإني لمحدثك - أيها القارئ العزيز - حديث صدق قد تعجب له لقد كان الشيخ - رحمه الله تعالى - بارعاً في إصلاح الساعات خبيراً بما يوفر لها الدقة والانتظام، وظل فترة من الزمن شغوفاً ببذلك يعرض عليه أصدقاؤه وأحباؤه ساعاتهم، أو يقوم هو بفك وتركيب ساعة المسجد - مثلاً - لاكتشاف ما أخل بنظام سيرها، وإعادة الانضباط إليها.

وقد نسأل: ما له وهذا الاتجاه؟

إن ما يمارسه الإنسان من أعمال ومهن ينبع من داخله، ويعبر عن اتجاه كامن في أعماقه قبل أن يظهر في سلوكه واحترافه.

لقد كان الشيخ منذ حياته المبكرة حريصاً على الوقت مشغولاً بما يملأ به فراغه من كل عمل جاد، فربما كان من آثار ذلك اهتمامه بألة التوقيت لعله ينظم للناس أوقاتهم، ويعينهم على دقة معرفتها، وحسن التعامل معها، كما شغل هو بذلك.

والصلة وثيقة بين هذا الاحتراف واتجاهاته الكبرى، فتنظيم الوقت وحسن استغلاله سمة أصيلة في الإسلام، فعباداته لها مواقيتها على مساحة اليوم، حيث تحدد أوقات الصلوات الخمس، ويعرف ابتداء وقت الصوم وانتهائه، وفي غضون العام يعلم المسلمون افتتاح رمضان واختتامه لتحديد يوم عيد الفطر، ثم يوم عرفة، ويوم الأضحى، وهكذا في تتبعك لعبادات الإسلام ترى الاهتمام الكبير بالوقت، وملء مساحته بالطاعات والأعمال الفاضلة.

فكيف لا يهتم الشيخ بالوقت وآلته؟

إنه لون من الاتساق بين الباطن والظاهر، والتوافق الصادق بين مشاعر الإنسان، وما يصدر عنه تصرفات وأعمال.

رحلته العملية في السعودية

- درة الخليج دارين.
- الداعية والمعلم الأول في دارين.
- أول مدرسة نظامية في دارين.
- التربية الناجحة.
- المعلم الصادق.
- الأب المعلم.
- الشيخ والقضاء بالقطيف.

درة الخليج دارين

وكانت نفس الشيخ المتطلعة إلى العطاء المشوقة إلى نفع المسلمين،
الراغبة في شكر نعمة الله التي أفاضها الله على الشيخ بما يسر الله من
معرفة، وعلمه من علم حريصة على إبلاغ الدعوة وأداء الرسالة؛ رجاء وعد
الله تعالى الذي وعد به عباده الشاكرين بقوله تعالى: {لئن شكرتم لأزيدنكم} ^(١).

كانت تلك النفس الطموح، العظيمة تدفعه إلى العمل دفعا ولو بالهجرة
من أرض إلى أرض ابتغاء وجه الله، ثم طلبا للطيبات من الرزق.
ألم يزين الله قلبه بالقرآن الكريم؟
وفيه قوله تعالى:

{وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً} ^(٢). وفيه أيضا
ذلك الأمر الحكيم من العلي الحكيم جل شأنه:

{فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)} ^(٣).

ونزولا على أمر الله تعالى، وأخذا بالأسباب انتقل الشيخ - رحمه الله
تعالى - إلى المملكة العربية السعودية عام ١٣٦٧ هجرية، وقصد مدينة
الدمام لوجود فرص العمل الوفيرة للتدريس بها؛ فقد كانت تلك الآونة
مرحلة انطلاق قوي إلى التعلم شملت الكبار والصغار في المنطقة الشرقية من
المملكة العربية السعودية.

¹ - سورة إبراهيم الآية (٧).

² - سورة النساء الآية (١٠٠).

³ - سورة الملك الآية (١٥).

نزل الشيخ الدمام، فحدث عنه علمه، وعرف أهل المنطقة به خلقه ودلهم عليه ما آتاه الله من حكمة، وتعرف عليه كريم من كرام أهل ((دارين)) وعين من أعيانها ممن أودع الله قلوبهم حب العلم، وتقدير العلماء، وتوقير أهل الفضل من العارفين بالله، وكان ذلكم الرجل هو الوجيه ((عبد الله بن محمد أبو عايشة)) الذي دعاه لزيارة قريته ((دارين))، وحدثه عن شغف أهلها بالعلم، وشوقهم إلى أن يقيم الله فيها من ينفع الله به أهل هذا البلد، ويصلح الله على يديه أمر دينهم ودنياهم، ويمضي بناشئتهم على طريق التربية القويمة، والتعليم السديد الموجه.

استخار الشيخ ربه، فاطمأن قلبه لما دُعي إليه، وصحب ذلك الداعي الكريم، واعتبر رفقته إلى هذا البلد تلبية لدعوة الله الذي أتى به من قطر، واختار له الدمام، فأنزله فيها، وجمع بينه وبين ذلك الشيخ، وألف بين قلوبهما، وحبب إليه أهل ((دارين)) قبل أن يراهم، وجعل لهم مكانة في قلبه قبل نزوله فيهم.

وما دام الشيخ قد عزم فليتوكل على الله { **وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** } **إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣)** }^(١).

وانطلقت المسيرة المباركة تحدها النوايا الطيبة، ويسعى بها الصدق إلى هذا البلد الطيب، المتعطش إلى العلم، الجاد في طلبه.

وما أن وطئت قدماه هذه الأرض، وصلى بهم إماماً في إحدى الصلوات حتى أسلموا إليه الأمانة ورضوه إماماً في صلواتهم وخطيباً في جمعهم وأعيادهم، ومدرساً، وواعظاً للصغار الكبار في مسجدهم.

وسرعان ما التف الناس حوله وأحبوه، وأنسوا به، وأولوه ثقتهم وأسلموا إليه أمورهم وأبناءهم واستودعوه غالي أسرارهم، وغشوا مجلسه أنى كان؛

¹ - سورة الطلاق (٣).

فقد جعل من بيته مدرسة، وأعاد إلى المسجد رسالته، فلم يعد لمجرد إقامة الصلاة، بل سار سيرته الأولى فصار مرجعاً لرواده إذا أرادوا التزود من العلم، ومآباً لهم إذا عرض أمر يستوجب الفتيا، ومثابة لهم إن أعوزهم أمر إلى المشورة، وصدقاً لإصلاح ذات البين، وصار اسم الشيخ يتردد في كل بيت، ويذكره الصغار والكبار، ولا يخلو مجلس ذو شأن من حضرته؛ إليه يرجعون فيما دق من أمورهم، وما عظم من شؤونهم.

لقد رأى فيه أهل ((دارين)) نمطاً فريداً في الدعوة إلى الله، شغفاً بالعلم واعتزازاً بالإسلام، وحرصاً على الدعوة إلى الله، متخذاً فيها المنهج القويم الذي وضعه رب العزة لحبيبه ومصطفاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولكل من تأسى به حيث قال جل شأنه:

{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ }^(١)

كان رحمه الله - لين الجانب تأسياً بمن قال الله تعالى فيه:

{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ }^(٢)

رفيقاً في غير تفريط، والدعاة إلى الله أولى الناس بذلك: ((ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه)).

وكيف لا يتمثل هذا في داع إلى الله، حريصاً على إحياء قيم الإسلام، جاد في استتقاذ الأمة مما ألمَّ بها؟

والداعية طبيب ما يلفظ من قول، أو يسلك من سلوك إلا أحصى في قائمة علاجه فكان له أو عليه.

واجتماع هذا الخليط المتباين من شيوخ وكهول، وشباب وصبيان إنما ينبئ عن عبقرية رائدة؛ لقد وجد كل من هؤلاء في الشيخ عبد الله ما يتفق

¹ - سورة النحل (١٢٥).

² - سورة آل عمران الآية (١٥٩).

وميوّله ويجيب على تساؤلاته، ويقرأ طموحه وتطلّعاته، ويغذيه بما يناسبها وما يتفق واستعداد صاحبها.

لو لم يجد الكبار فيه ما يحملهم على السعي إليه، والالتفاف حوله، والإنصات إليه، والأخذ عنه ما أولوه هذه الثقة وما أعطوه من أنفسهم ما أعطوه.

قل لي بالله عليك: ما الدافع إلى تسابق الشباب إليه وفي الشباب ما فيه من رؤية للنفس، وخروج على كل قديم وإن أخفوا ذلك لأمر تحيط بهم، وحدود وضعها لهم المجتمع؟

ما الذي طوّع الشباب له؟

وما الدافع لهم إلى أن يلقوا بين يديه ما أثقل فكرهم، وشق على نفوسهم؟

لا شك أنهم رأوا فيه الداعية الأريب الخبير بأدواء النفوس، العليم بما يقيمها؛ فوضعوا بين يديه خواطرهم دون وجل، وطرحوا أمامه مشكلاتهم، فأتسع صدره لما خصوه به، ودلهم على ما يجعلهم بمنجاة من هوى النفس، ويقيمهم على صراط الله العزيز الحميد.

وما بال الصبية يتبارون في خدمته ويتنافسون في الدنو منه والظهور معه في درسه ووعظه، أو في سيره إلى المسجد أو عودته وكما يقول أحد الذين شبوا معه: منا نسابق لحمل المصباح ((التريك)) ليلاً والمشي إلى المسجد والعودة منه.

لقد علمنا كيف يحترم الصغير الكبير، وكيف يعطف الكبير على الصغير، وكيف يكون البر بالوالدين، وحسن التعامل بين أفراد المجتمع الواحد.

إنهم لمسوا فيه ما أشبعهم، ووجدوا عنده ما يجذبهم إليه وصادفوا في هذا الشيخ الوافد من قطر ما يؤنسهم فما كان لهم أن يطيقوا بعده أو يفتروا عن صحبته.

وهكذا تبوأ الشيخ مكاناً كريماً في نفوس أهل دارين على اختلاف أعمارهم، وتباين طباعهم، فأقبلوا عليه، ورغبوا في عشرته ولزموا مجلسه، وخصوه بحبهم، وأولوه ثقتهم، ووجد فيهم قلوباً خصبة ونفوساً متعطشة على المعرفة، وعقولاً مفتوحة لنور العلم.

فلماذا لا يبدأ معهم، ويعطي ما عاهد الله تعالى عليه؟

الداعية والمعلم الأول في دارين

والنفس التي فطرت على الخير، وأشريت حبه، وألفت العطاء وتعودت البذل تأبى أن تمر لحظة دون أن تترك أثراً، أو تخلد ذكراً وقد وجد الشيخ عبد الله - رحمه الله تعالى - التربة خصبة وألقى نفسه في بلدة طيبة؛ فالنفوس مشوقة إلى العلم، راغبة فيه، يسعى إليه شبابهم وكهولهم، ويتنافس الآباء في تعليم أبنائهم، وتفيض نفوسهم بغضا للأمية، وثورة على الجهل.

وهنا وجد الشيخ - رحمه الله - طلبته، وأدرك غيته، فأنشأ مدرسة مجانية كانت أول مدرسة في دارين - لتدريس العلوم الدينية واللغة العربية، والحساب، والخط العربي، لا يبتغي بذلك إلا وجه الله تعالى، والأجر والثوبة منه جل شأنه.

ولإيمانه الراسخ بأن العلم قوام رسالة الإسلام، وأن مفتاح الدعوة لم يكن غير دعوة إليه على أساس من العقيدة، وحسن الصلة بالله تعالى فكان أول ما نزل من القرآن الكريم:

{ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣)
الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) }^(١).

ثم ليقينه أن العلم غذاء للعقل، وتهذيب للنفس، وسمو وارتقاء بالروح فقد أخذ على عاتقه هذه المسؤولية التي نذر نفسه لها محتسباً ذلك عند الله عز وجل، راجياً أن يحقق الله به النفع، فيمحو به أمية ويزيل به جهلاً، وينشر - بفضلله جل شأنه - على يديه علماً.

وقد التحق بالمدرسة شباب في أخطر مراحل العمر؛ حيث تكوين الشخصية المستقلة في نظرتها إلى الحياة، وتطلعاتها، وطموحها والمواجهة الصريحة لعالم مليء بالمتناقضات، حافل بالصراع بين الخير والشر فكان لهم نعم المربي الفاضل الخبير، والمعلم القدير الحكيم والموجه الناصح الأمين.

وشاركهم رجال تقدم بهم العمر غير أن طموحهم دفعهم إلى طلب العلم، فكانوا جميعاً يتطلعون إلى التزود بزاد من المعرفة ويرجون أن لو تخلصوا من الأمية بأوزارها، والجهل بقيح آثاره.

وبين يدي الشيخ ذابت الفوارق، وتعانقت الغايات، وظهر التنافس الحميد، فأخذ الشباب حكمة الشيوخ، واستعار الكهول حيوية الشباب ونشاطه ووقف بين الحشد الكريم ذلكم الرجل الذي وقف نفسه على العلم معطاءً، صبوراً، واسع الصدر، يعطي بغير حدود، ويُعلم أئى تيسر له التعليم، فلم تعد دروسه قاصرة على المدرسة، بل ألقى دروسه في المسجد، وفي بيته، وفي أي موقع أتيح له، فكانت لا تراه معلماً حتى آتى الجهد المبارك أكمله، وظهرت آثاره المبشرة في أهل هذا البلد الكريم المضيف ((دارين)).

ولم يدع الشيخ - رحمه الله تعالى - مجالاً أو فرصة لنشر العلم إلا انتهزها فحول شهر رمضان إلى ساحة للخير فلياليه عبادة ووعظ ومجالس علم وتثقيف، ونهاره تلاوة، ومدارس للقرآن الكريم وعلم وطاعة، وامتنال لأوامر الله العلي الأعلى، كما اعتاد الشيخ - رحمه الله تعالى - الاعتكاف في العشر الأواخر من هذا الشهر المبارك مما شجع كثيراً من أهل ((دارين)) على مشاركته.

والشيخ شغوف باللغة العربية مولع بها، يحبها إلى أبنائه ومريديه كلما أتيح له ذلك، فقد عود الطلاب أن يحضروا له مجلساً بعد العشاء،

ويشاركهم الحضور الآباء، فيكتب لطلابه في أعلى الصفحة حكمة من النثر أو الشعر فيها تهذيب وتوجيه ويطلب إليهم تكرار كتابتها بخط حسن فيكون بذلك قد جمع بين التربية وتجويد الخط.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد فكان يطلب من طلابه حفظ أبيات من الشعر يحددها لهم كل مرة، ثم يطلب إليهم إلقاءها جيدا دقيق الضبط، مصحوبا بالتعبير بحركات اليدين، وإشارات مناسبة وتغيرات في ملامح الوجه إبرازا للمعنى، وتجسيدا للفكرة، وتقريبا لمفهوم الكلمات ومدلول العبارة، كل هذا وأولياء الأمور يشهدون ويعجبون، فيغرس في الدارسين الشجاعة، والثقة بالنفس، والقدرة على المواجهة، والتغلب على الخجل منذ الصغر، وينمي فيهم موهبة الخطابة.

وكان عليما بأصول التربية يختص بعض أبنائه بمزيد من العناية حفزا لهم، وتنمية لقدراتهم الخاصة، وغرسا لقيم يرى أهميتها في تنشئتهم، فنراه - على سبيل المثال - يعزم على الحج فيختار تلميذه محمد عبد الله أبو عايشه الذي لم يبلغ العاشرة من عمره ليكون رفيقه في تلك الرحلة، متقلبا به بين وسائل المواصلات بحرا وبرا، ويغشى به مجالس أحبابه من علية القوم وأعيانهم، ويمتعه بصحبتهم في السفر، وسماع حديثهم، فإذا ما وصل الركب إلى مكة المكرمة كلفه أستاذه بحفظ كتيب يحوي أدعية في الطواف والسعي والمشاعر، ومع صغر سن الفتى لكن هيبة الشيخ وحرص الطالب على رضاه جعله يستظهره عن آخره في وقت قياسي.

ويتجه للسلام على شيخه ومعلمه الشيخ علوي، وبرفقته الفتى يرى الوفاء في درس عملي عايشه مع أستاذه.

انظر كيف يمزج الشيخ في تربيته بين العلم والقيم، وبذلك يسبق بسلوكه كثيرا من نظريات التربية الحديثة التي طار بها الغرب، وتاه على الشرق.

أول مدرسة نظامية في دارين

لقد كان للشيخ - رحمه الله تعالى - طموحاته، وتطلعاته التي لا تقف عند حد؛ فهو شغوف بالعلم، حريص على نشره، وقد دفعه هذا إلى الدعوة لإقامة منشأة تعليمية نظامية يبدأ بها التعليم المنهجي في دارين، تلك البلدة التي اختاره الله تعالى لها، وحببها وأهلها إليه، وجمع بينه وبينهم على هدى وإيمان، فقامت علاقات وثيقة ونشأت روابط قوية أساسها الحب في الله ولله، وقد وجد في هؤلاء الأحبة الأعزة صورة مشرقة للخير، وذروة سنامه ألا وهو العلم ورآهم يتدفقون على مجالسه أنى كانت، ومتى أقيمت دافعين بفلذات أكبادهم إلى رحابه في أعمال مختلفة، متابعين لهم، مستقصيين أحوالهم مع الشيخ، متأملين اتجاهاتهم إذا خلوا منه، متعجبين لهذا الذي يألف ويؤلف، مكبرين قدرته على صناعة أبنائهم صناعة ممتازة وتحويلهم إلى أكرم ما يرجون لهم عقيدة وسلوكا.

قل - ولا حرج - لقد وجد الشيخ في دارين مجتمعا متميزا صغاره ظمأى إلى العلم، الآباء والأمهات يرقبون ثمرته في أبنائهم وكم تكون سعادة الأسرة حين ينطق، أو يكتب الابن كلمة. فما بالك إذا أتم جملة؟

ثم تخيل سعادة الأسرة حين يسمعها الصبي قرآنا مرتلا مجودا أو يروي لهم حديثا يحسن نطقه، ويجيد ضبطه، أو يسوق في دقة وإتقان بيتا من الشعر، أو أثرا من الآثار.

إن رجلا واحدا قادمًا من قطر استطاع في زمن وجيز أن يغير وجه الحياة في هذا البلد، وأن يسرع حثيثا بهم ليروا الحلم حقيقة ويلمسوا الأمانى واقعا.

لقد كان كل من وما في القرية يتطلع إلى شمس مشرقة بالعلم ويهفو على مستقبل ينير فيه العلم مسيرة الجيل القادم.

لقد بات العقلاء يحضون على العلم، ويحفزون الجهود الصادقة حتى تتخذ كل الوسائل لنشر العلم.

وكان ظهور الشيخ فاتحة خير، وداعية نهضة، فأعلن ما يجيش بخاطرهم، وطرح بما أوتي من فصاحة، وما عهد فيه من فطنة، وما شاع عنه من قدرة فائقة على الإقناع.

لقد عرض الشيخ - رحمه الله تعالى - فكرته، وأوضح دوافع دعوته تلك، فشرح الله تعالى الصدور لقوله، ووضع له القبول في قلوب أبناء هذا المجتمع الطيب، وأحسوا انه إنما يحدثهم بما في نفوسهم، ويعيد على أسماعهم ما أضمرُوا من تطلعات، فانبرى رجل كبير كريم صالح طالما أجرى الله على يده الخير، ويسره للنفع، وحببه إلى الطيبات، وحبب الطيبات إليه، وأودع حب العلم والعلماء قلبه ذلك الرجل هو الشيخ عبد الله محمد أبو عايشه - يرحمه الله - فبادر بإحدى مكرماته الوفيرة، حيث قدم من طيب ماله بيتا كبيرا فيه عدد من الغرف، ويتوسطه فناء كبير، وجعله تجارة خالصة مع الله، لا يبتغي الثمن إلا منه، ولا يطلب بما قدم إلا رضاه جل شأنه محتسبا ذلك عنده، راجيا ثوابه، طامعا في رحمته، فربح البيع إن شاء الله تعالى.

افتتحت المدرسة النظامية عام ١٣٦٦هـ، واستقبلت بها دارين عهدا جديدا، وامتلت القلوب فرحا، وفاضت الوجوه بشرا، وهنأ الناس بعضهم بعضا بهذا الصرح الذي اعتبروه مقدمة لخير كثير وهكذا دخل التعليم الحكومي بلدة دارين على يد المعلم الداعية المهاجر إلى الله تعالى بما حمل من آمال طيبة، وتطلعات سامية لأمة الإسلام وقد قدر الله أن يكون مطلع هذه الآمال في تلك الدرّة الرابضة على الخليج العربي، فكان ذلك منعظفا تاريخيا لهذا المجتمع الصغير في حجمه الكبير بهمة أهله، وعظيم طموحهم، ومرحلة متطورة في حياته، وتقاليده، وتفكيره.

لقد كان التعليم في دارين مقتصرًا على الكتاتيب حيث يدرس القرآن الكريم، وكانت كوكبة من الرعيل الأول قد درست في تلك الكتاتيب فحفظت كتاب الله تعالى، وتلقوا على يد (المطوع) دروسًا في علوم الدين واللغة العربية والخط والحساب.

أما في عصر التعليم النظامي فالدراسة أعمق، والترقي فيها ميسور، وهي في انطلاقتها تسير عصر النهضة التي تعيشها المملكة العربية السعودية إبان هذا العهد الميمون.

التربية الناجحة

لم يكن الشيخ - رحمه الله تعالى - معلما محدود الأفق، تكبله قيود المنهج، وتحكمه سطور الكتب، بل كان مربيا خبيرا بشعاب النفس البشرية، عليما بأسس التربية الناجحة التي تبني العقول والرجال، وتهيئ النفوس لحياة تتناسب مع خلافة الإنسان في الأرض.

لقد كان مؤمنا بحاجة العقل إلى موالاة دائمة وإثارة مستمرة حتى لا يغلبه الخمول أو يجمده الملل، فتراه يقيم المسابقات، ويزكي روح المنافسة بين طلابه، خاصة فيما يتعلق باللغة العربية التي عشقها وقد شرفت بنزول الكتاب العزيز بها، فهي جزء من عقيدته، وكان قادرا على أن يحول حلقة الدرس إلى حلبة سباق يُظهِرُ كُلَّ فرسانها ما كمن فيهم من قدرات، وما انطوا عليه من مواهب، وتطير بكل فارس رغبة صادقة في الحصول على مركز متقدم متميز. ولعل القارئ الكريم يظن أن الشيخ قد أعد للفائقين الهدايا القيمة، أو صفَّ أمامهم الكؤوس والدروع، أو طرَّز لهم الشارات، وزخرف شهادات التقدير.

الأمر مخالف تماما، إن المربي أخبرُ بميول طلابه، وأدرى بما يحفز همهم، ويشحذ عزائمهم.

لقد جعل للفائز الأول لقباً يزينه، ويعرف به بين رفاقه، ألا وهو (سيبويه)، وعلى هذا اللقب كان التنافس، وبه كان فخر من يناله على أقرانه، وله به التقدير من كل من عرفوه.

إنها كلمة، ولكنها كما يشير ببعض طلابه كانت أعظم أثرا من كل ما يمكن تخيله من الجوائز، أو الإتحافات المادية المعاصرة، وربما لازمت بعض طلابه فصارت فخرا له طوال حياته.

وسعادته بالفائق، وإعجابه به لا يقل عن سعادة هذا الذكي النابغة بسبقه، فيضمه إليه ليُجدَ برد الأبوة الحانية، ويستشعر الحب الصادق، ويسوق إليه كريم البشارة بمستقبل عظيم، فيرى نفسه محاطا بهالات تدفعه دفعا إلى أن يحافظ على الفوز، ويلزم التميز.

وهو مع هذا شديد في حكمة مع من يقعد به جهده، أو ترجع به همته، فيؤثر الكسل والخمول - حتى ولو كان أكبر من الشيخ سينا - مما يحفزه إلى مراجعة نفسه، وحشد طاقاته حتى يرى فائزا متميزا.

المعلم الصادق

إن التعليم رسالة مقدسة، لا تؤتى أكلها إلا بصدق حاملها المبلغ لها، وبمقدار إخلاصه تكون ثمرة جهده، ومدى استجابة سامعيه له وتأثرهم به، واستيعابهم لما يصدر عنه، وامتزاجهم بهم؛ ليكون كل ما يصلهم منه فكراً، وسلوكاً، بل منطلقاً في الحياة كلها.

لقد كان الشيخ - رحمه الله تعالى - معلماً صاحب رسالة ناجحاً بالغاً من طلابه كل ما يريد، واني لأسوق إليك - أيها القارئ الكريم - قصة، وأتركك للحكم على من تقرأ سيرته، وتقديره كمعلم.

كان بقرية دارين رجل معتوه هادئ لا يؤذيه أحداً إلا إذا بادره بالأذى، وقد اعتاد الجلوس على قارعة الطريق حيث يطيب له المقام ولم تكد الأمور تستقر، وتأخذ الدراسة مسارها الطبيعي في مدرسة دارين النظامية حتى ألف ذلك المعتوه - صالح بن مقرن - الجلوس أسفل الصف الذي يدرس فيه الشيخ وأحب الإصغاء إلى ما يقول خاصة دروس التجويد والحديث وكان يحفظ بعض الأحاديث النبوية الشريفة كما كان يرويه الشيخ، ويردد بعض مقاطع التجويد، وينغم أبياته الشعرية كما يسمعها من الشيخ حتى يقول بعض الطلاب النظامين إنا كنا نرجع إليه - أي المعتوه - أحياناً فيما يفوتنا من متابعتة، أي الشيخ عبد الله.

أليس في ذلك ما يستوقفك، ويدعوك إلى أن تقلب فكرك وتطيل النظر حتى تبدي رأيك في مثل هذا؟

ما الذي حمل المعتوه على أن يحول مجلسه حتى يكون قريباً من الشيخ؟ ولم كانت كلماته تصل إلى قلب المعتوه، وتستقر في فكره وتتسق مع وجدانه؟

وإذا كان هذا أثره في هذا الشخص، فماذا يكون أثره في طلابه

ومريديه؟

الأب المعلم

لم تكن علاقة الشيخ بطلابه موقوتة بساعات الدراسة، محصورة في مدى إقبالهم على الدرس، واستيعابهم لما يلقي عليهم، أو تقصيرهم فيه، وإنما كانت علاقة المربي الفاهم لدوره، المقدر لرسالته فهو أب بما تحمل هذه الكلمة من معان سامية، يحصي حاجاتهم وتستقر عنده مشكلاتهم، ويرى ما ينفعهم فيقره، ويدرك ما يخشى عليهم فيرفضه.

قوله أمر مطاع، ورؤيته موثوق بها، يباركها الأهل، وينقاد لها الطلاب دون أدنى اعتراض.

ولم لا؟

لقد لازموه بعد الدراسة حباً وتقديراً، وسعوا بين يديه إلى المساجد في الأوقات الخمس، وتنافسوا على حمل المصباح بين يديه في الطريق إلى المسجد لصلاتي العشاء والفجر، وكان إذا رأى في واحد منهم ما يكره صب عليه غضباً في حكمة، وأراه سوء فعله، وبصره بما هو أقوم فلا يلبث أن يعود معرفاً بذنبه، معلناً استقامته.

وأني لأضرب مثلاً لأبوه ذلك المعلم - رحمه الله تعالى - لقد تدرج طلابه في المدرسة الابتدائية بدارين حتى أتموا الصف الخامس الابتدائي ولقلة عدد الطلاب لم توافق إدارة التعليم على فتح صف سادس.

ما دور المعلم هنا؟

ربما تظن أن المعلم قد انتهى دوره حين أنهى منهجه، ووصل بطلابه إلى الامتحان فإن اجتازوا كان فخراً له، وإن كانت الأخرى ألقى اللوم على طلابه، وبراً ساحتها من أي عيب أو نقيصة، لقد بدأ - فيما يرى ذوو النظرة

العاجلة - دور ولي الأمر ليرى رأيه في مستقبل ولده ويحدد مساره التعليمي الجديد.

غير أن الشيخ - رحمه الله تعالى - أب لهم جميعاً فدوره قائم بأبويته لهم، والتي يعتز دائماً بها، فيختار هو لهم المدرسة التي يفضلها لإتمام دراستهم، وإن خالفت رغبتهم، أو رأي غير ذلك أولياء أمورهم فاختار لهم مدرسة الهفوف الأولى لمواصلة الدراسة بها، وإن كانت رغبتهم في الدمام لأنها أقرب، ولكن ثقة الآباء، وإيمانهم بحكمة الشيخ، وبعد نظرته، وتقدير الأبناء، واحترامهم له جعلهم يقدمون رغبته على رغبتهم، وينزلون على رأيه، فأخذ أبناءه الطلاب وهم:

١- محمد عبد الله أبو عايشة.

٢- خليفة السيد أحمد.

٣- هاشم السيد إبراهيم.

٤- إبراهيم عبد الرازق الهارون.

٥- محمد بن حمد اليوسف الذوادي.

وسافر بهم، والتقى بمدير التعليم آنذاك وهو الأستاذ عبد العزيز التركي - رحمه الله - وأتم الموافقة، وألحقهم بمدرسة الهفوف عاد إلى أهلهم ومعه بشارات التوفيق في سعيه، وبلوغ مراده في مواصلة هؤلاء الأبناء تعليمهم.

إنها الأبوة الصادقة بما لها من سمات، وما تحمل من مزايا.

الشيخ والقضاء بالقطيف

لقد أقام الشيخ عبد الله الأنصاري - رحمه الله - في بلدة دارين إقامة حميدة يعلم صغارهم وكبارهم، ويؤمهم في صلاتهم، ويقوم فيهم خطيباً في جمعهم وأعيادهم، ويعظمهم ويذكرهم، ويفزعون إليه في حاجاتهم، ويخصونه بمستور أمورهم ليروا رأيه، ويستضيئوا بمشورته لسوا فيه أمانة المستشار، وصدق الناصح الأمين، ودقة الخبير، وفقه العالم، إذا حدث فعلى بصيرة، وإذا نظر فبنور من الله تعالى، وإذا فصل فعلى هدى يحق الحق، ويبطل الباطل، ولا يخشى في الله لومة لائم، ويرشد الضال ويريه عثرته ليتوب منها، ويجلي له الحق ليعود إليه ويلزمه، فولوه الفصل في منازعاتهم، فحالفه الصواب فيما قضى به، وأعانتة فطنته، وحضور بديهته، وبلاغة حجته على احتواء الخصوم، وإقناع كل بما يخصه، فرضي الناس حكمه، ونزلوا على رأيه وأسندوا إليه النظر في أحوالهم الشخصية، وعقود النكاح، وغير ذلك فذاع صيته، وعلت شهرته، وسمع به قاضي القطيف، ووقف على كثير من أمره، وبلغه فصله في كثير من المنازعات، وحسن قضاؤه فيها، فاستدعاه وأكرم وفادته، وعرض عليه أن يكون مساعداً له في القضاء، وبعد إلحاح وإظهار حاجة القضاء الشديدة إليه، وتمسك قاضي القطيف به رغبة في الإفادة من فقهه وخبرته وورعه وتقواه، ولكثرة القضايا التي تحتاج إلى بعد نظر، وسرعة بديهة لدى هذا القاضي وصعوبة وفائه بها قبل الشيخ مضطراً رغبة في إقامة العدل وتعاوناً على البر والتقوى، وإن كان يدرك بعلمه عظم هذا الموقع، وخطورة هذا العمل مما كان سبباً في تورع كثير من الصحابة والتابعين والسلف الصالح عن ولايته.

تحمله صابراً محتسباً، مستعيناً بالله تعالى في كل ما يأتي منه سائلاً إياه أن يهبه السداد والرشاد، وأن يجري الحق على لسانه وقلبه فأظهر براعة

في عظام القضاء، وأثار من حوله إعجاباً بما أنطقه الله تعالى به من أحكام، مما جعل قاضي القطيف يزداد استمساكاً به وحرصاً عليه.

لكن صلواته بأهل دارين كانت تلح عليه، وتشده إلى هذا البلد الطيب، وحبه للتربية، وشغفه بالدعوة يهيئان به للعودة إلى هؤلاء الذين أحبهم وأحبوه، والرجوع إلى تلك المجالات التي يسرها الله له ونفع به كثيراً، وأجرى على يديه خيراً لكثير من عباد الله، وكانت تلك الدوافع مجتمعة تتنازع، وتدعوه إلى العودة إلى تلك المجالات التي خلت من جهوده، وافتقدت نشاطه، والتي لا يقل أي منها في قيمته وخطره عن القضاء، وظل يتحين الفرص للخلاص والعودة، ولذلك لم يلبث أن فر من القضاء عائداً إلى دارين بعد ثمانية أشهر حين هيا الله تعالى له ذلك، وواتته الفرصة المناسبة، فاستقبلته دارين، وسعد به أهلها، واستبشر كل من فيها وقد ظل مشوقاً إليه فترة غيابه عنه.

ബഹുമാനപ്പെട്ട

പ്രൊഫ. ഡോ. എ. ടി. ഐ. എ. ഐ.

പ്രൊഫ. ഡോ. എ. ടി. ഐ. എ. ഐ.

وكما يحن العظيم إلى وطنه، ويتطلع إلى حياة طيبة في ظلالة حيث يعطي في سخاء، ويبذل في صدق، ويشارك في بناء حضارته ويساهم في صنع أجياله كذلك الوطن يحن إلى النابغين من أبنائه إن غابوا عنه، ويتلهف إلى عودتهم، وينتظر أن يرى على أيديهم ما يذكره له ولهم التاريخ، وأن يشاهد آثار عقولهم، ونتاج أفكارهم في صنع الحياة والأحياء على أرضه، وهذا من حقوقه الكبيرة عليهم.

وإذا كان الشيخ - رحمه الله تعالى - قد حقق خلال سنوات معدودات ما حقق في المنطقة الشرقية عامة، ودارين خاصة فإن قطر الأم الحبيبة، تنتظر إليه - وهو نبتها - نظرة إعجاب وإكبار، وتعلق عليه آمالاً كباراً، وتأمل أن ترى وفاءه كفاحاً ونهضة على أرضها في وقت يسعى فيه قاداتها سعياً حثيثاً نحو النهوض بها، والانطلاق بأبنائها إلى غايات كبرى توفر الخبرات اللازمة من أبنائها في كل نواحي البناء الحضاري، فقد قيض الله لقطر في تلك الحقبة من تاريخها المجيد حاكماً طموحاً، شغوفاً بالعلم والعلماء، مؤمناً بدور العلم في بناء الشعوب، وأثره في صنع حضارة الأمم، وقد كره الله تعالى إليه الأمية، وجعله حرباً على الجهل والتخلف كان ذلكم الحاكم هو الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني - رحمه الله تعالى - وجزاه بما فعل خيراً، وقد أدرك بفطنته - غفر الله له - أن ما يصبو إليه من رقي وما ينشده لوطنه العزيز المبارك لا يكون إلا بنهضة تعليمية اجتماعية توفر لها الحكومة الرشيدة كل إمكانياتها المناسبة، وتجمع لها الكفاءات النادرة، والخبرات الواسعة، كما تهيب النفوس القطرية لها، بحيث يسعى الكبار في شوق إلى ساحات العلم، ويدفع الآباء فلذات أكبادهم دفعاً إلى ذلك النور الذي أصر حاكمهم آنذاك - رحمه الله تعالى - على نشره، وتيسيره لكل قطري، ويبدو أنه كان قد عاهد الله تعالى على الجهاد

لتأصيله في المجتمع القطري الجديد، وسأله - جل شأنه - أن يهيئ له من أمره رشداً، وأن يوفقه فيما هو مقبل عليه.

وما دامت الخبرات هي الأساس الأول، والمنطلق الصحيح فإن لقطر خبرة مهاجرة ملأت - بفضل من الله تعالى ورحمة - كل درب سلكته إيماناً وعلماً، وزودت كل من عاشرتة بزاد طيب من العلم يعينه على أن يكون يوماً ما مصدر عطاء، ومساهماً في بناء حضاري يصل حاضرنا بماضينا العريق، ولم تكن تلك الخبرة المهاجرة إلى الشقيقة الكبرى المملكة العربية السعودية سوى ذلكم الشيخ عبد الله ابن إبراهيم الأنصاري - رحمه الله تعالى - وهو قطري المنبت والمنشأ، والحياة، بل قل كل ما فيه من قطر وإلى قطر - وإن كانت طموحاته التي فطر عليها تتسع للعالم الإسلامي كله، وما الوفاء إلا خلق إسلامي رفيع، فهو وفي لوطنه، حفي به.

لقد رأى الرجل الصدوق، والراعي الأمين، والحاكم الذي يرمى مسؤوليته في شعبة الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني - نضر الله وجهه وطيب ثراه - أن غياب رجل كهذا عن بلده، وإقامته خارج وطنه فقد كبير، إذ تستدعي النهضة الشاملة استحضار خبرات من أبناء الدول العربية الشقيقة، فكيف بخبرة هواها مع قطر، وحبها لها، وتعلقها بها؟

والنفوس هنا متعطشة إليه، راغبة فيه، طامعة في أن تتال حقا عنده، ليلقي البذر الطيب، ويتعهد حتى يستوي على سوقه، ويؤتي أكله، والوطن في ذلك الوقت - بل في كل الأوقات - أحوج ما يكون إلى تلك النماذج الرائعة الرائدة.

أصر الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني - رحمه الله تعالى - على دعوته للعودة إلى مهد طفولته، ومريع صباه، ومنطلق شبابه.

غير أن ذلكم الرجل - رحمه الله تعالى - كان أمة في حركته وعطائه، يأنس إليه جلسه، ويشتغل به سامعه، ويألفه معاشره مما هياً له أن يجري في دماء السعوديين حياً ووداداً، وألفة ووفاء حتى أصبح موضع ثقة حكامها، فحين قوى عود المدرسة التي أسسها وآتت ثمارها احتاجت إلى مدير يدير شؤونها، ويراقب مهام العمل بها رشحه لهذا العمل مدير التعليم آنذاك، لما عرف من شأنه، وما اجتمع لديه من مزاياه، فكان مديراً لها، ولم تمنعه الإدارة من ممارسة التعليم الذي أحبه ونذر نفسه له، وشغف به، فكان معلماً بها أيضاً، إضافة إلى ما له من نشاط في الدعوة، والإصلاح الاجتماعي، وغير ذلك، بل اعتبر رائداً من رواد النهضة التعليمية والإصلاحية في المملكة العربية السعودية فانتزاعه من هذا المجتمع شاق عليه، عسير على هؤلاء الذين ألفوه وأحبوه، مخالف لما خصه به مسئولو تلك البلاد الطيبة الوفية العزيزة.

ولكن ما دامت قطر الأم قد بدأت نهضتها، واتجهت إلى بناء أجيالها وانطلق بها حاكمها إلى مرحلة جديدة، ودخل بها عصراً من الكفاح تبرز به موقعها، وتغير على أساسها وجه الحياة على أرضها وتسلم الراية إلى أبنائها ليلحقوا بها في آفاق الرقي، فلا بد من استدعاء ذلك الرائد المهاجر ليكون له دوره، وفاء لحق الوطن وبراً بأهله وعشيرته أرسل حاكم قطر الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني إلى أخيه الملك سعود بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية يطلب منه السماح للشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري بالعودة إلى قطر - رحمهم الله تعالى جميعاً - وما كان المرحوم الملك سعود ليرد طلب أخيه حاكم قطر فأصدر مرسومه الملكي إلى الأمير سعود بن جلوي أمير المنطقة الشرقية بالسعودية متضمناً الإذن للشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري بالعودة إلى قطر، فكانت عودته لمباركة عام ١٣٧٢هـ.

အလင်း နှင့် အမှောင်

အမှောင် နှင့် အလင်း

استقبلت قطر بكل مشاعرها وأحاسيسها الفارس العائد، ورحبت به، وهي تعلق عليه آمالاً ليتقدم مسيرة التربية والتعليم والإصلاح الاجتماعي صابراً مصابراً مناضلاً مجاهداً، حتى يدخل نور العلم كل بيت قطري، ويشرق في كل قلب، ويعمر عقول أجيال البلد الطيب قطر بما فيه رفعة هذا الوطن، وعلو شأنه.

استقبلته وهي ترجو على يديه خيراً، وتأمل أن يكون له دوره في صنع الحياة المرتقبة على أرضها الطيبة.

والشيخ - رحمه الله تعالى - صاحب رسالة، وهبها نفسه، وجهده وكل عزيز لديه، رسالة قوامها العقيدة السليمة، ومنها يكون منطلقه في كل اتجاهات العطاء الطيب المبارك، فهده الله - جل شأنه - إلى التفكير في إقامة أول معهد ديني بدولة قطر يكون فاتحة خير للدين والدنيا، يجمع به الدارسين على عقيدة سليمة، ويدعمها بكل علم نافع، فإذا انتشروا في مناكب الأرض، وولوا أمورها كان دينهم عصمة لهم في تفاعلهم مع الحياة والأحياء أخذاً أو عطاءً، فجعلوا دنياهم تبعاً لدينهم، وحكموا بشرع الله - جل شأنه - خطاهم، ووزنوا به اتجاهاتهم.

أعد الشيخ خطته، وأوضح تصوره، وكان الله تعالى قد وضع له قبولاً لدى أهل السلطة، ينزلونه منزلاً كريماً، ويعجبون برأيه، ويقبلون منه ما لا يقبلون من غيره، فأعجب الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني - رحمه الله تعالى - بعرضه، اقره، وباركه، وأقامه على إدارته، وكلفه باختيار الجهازين الفني والإداري اللازمين.

وقع الشيخ - رحمه الله تعالى - بتوفيق منه جل شأنه - على صفوة من علماء قطر، وطلبة رجال التعليم بها، منهم - على سبيل المثال لا الحصر - الشيخ عبد الله بن تركي، والشيخ محمد سعيد بن غباش، والشيخ

مبارك سيف الناخي، والشيخ أحمد القدسي، والشيخ عبد المقصود، والشيخ راشد حسن الدرهم، والشيخ عبد الرحمن أحمد الملا، والمطوع خميس فياض، والسيد عبد الله عبد اللطيف سكرتيرا - رحمهم تعالى أحياءً وأمواتاً - وغيرهم من رواد ذلك العصر، ممن لهم باع في التربية، وخبرة في مجال التعليم، فكانوا خير عون له، أمناء على تلك الرسالة التي اختارهم الله تعالى لها، بررة بالعلم الذي جعلهم الله - جل شأنه - به، واستأمنهم عليه، أوفياء للأمة التي شرفهم الله - جل وعلا - بالانتماء إليها، مخلصين للوطن الذي سعدوا بخيره، ونعموا بعطائه، حكماء في ريادة جيل تنتظره أعباء كبرى، وتواجهه الحياة بما لم تكاشف به الأجيال السابقة، فكان حسن الاختيار دلالة توفيق وكريم رعاية من الله تعالى.

لقد أعطى هؤلاء الأفاضل الأمجاد صادقين، وعملوا مخلصين وجاهدوا حق الجهاد في سبيل الغاية الكريمة التي اصطفاهم الله تعالى لها، وقدموا عن سعة في ظل قيادة تربوية رشيدة موفقة، تقدر قيمة العمل التربوي، وتدرک عظمتة.

وهكذا شهدت قطر مع عودة ابنها البار عبد الله بن إبراهيم الأنصاري قيام أول صرح تعليمي ديني في قطر عام ١٣٧٤هـ.

لقد أقام المعهد عملاقاً، وضع مناهجه، وحدد مساره، ورسم سياسته التعليمية، واختار أساتذته صاحب فكرته مما كلفه جهداً كبيراً، وعملاً دؤوباً، فاختيار مناهج - مثلاً - ليس بالشيء الهين، ولكنه أمر له خطورته يحتاج إلى مراجعة، وتدقيق، وموازنة، وقد تعقد لجان ولجان، وقد تكون هناك فترة اختبار لصلاحيته وغير ذلك، ولكن الأمر اختلف تماماً فقد كان الشيخ أساس اختيار المناهج، وتنسيقها وتحديد أزماتها، وتبوع المواد مستفيداً بخبرته التربوية، مستعيناً بمن يثق فيهم من ذوي الرأي في هذا المجال، وكان الاختيار موفقاً سديداً مؤدياً أهدافه التربوية.

ورغم مسؤوليات الإدارة، وتبعات ريادة هذا العمل التربوي الشامخ قام الشيخ بتدريس مادتي التفسير والحديث، وكان محباً لطلابه يحثهم على القراءة، وحفظ ما استطاعوا من عيون التراث، وبادله طلابه حباً بحب، بل كانوا أبناء بررة أوفياء لأب بر رحيم خبير بما يصلحهم حريص على النهوض بهم.

يحدث بعض العاملين معه في المعهد الديني، فيؤكد أن علاقته بالطلاب كانت وثيقة أبوية تربوية، كان يجمعهم، ويحاورهم في كثير من أمور الدين والدنيا، ويستمع إليهم، فيقر ما يراه صواباً، ويعدل ما يراه غير ذلك بعد إقناع صاحبه، وكان يوجههم بالموعظة الحسنة مخاطباً العقول، مستملاً منهم القلوب، منتزعا نفوسهم من أحوال الطين وأشواك اللهو واللعب، كما كان يجمعهم في كل مناسبة - صباحاً أو مساءً - يعظهم، ويذكرهم بالبعد عن قرناء السوء، ويحثهم على حلقات العلم والذكر، ويحبب إليهم معالي الأخلاق، ويذكي فيهم عاطفة الرحمة، ويحفزهم على المساعدة ومد يد العون لكل محتاج إلى غير هذا، أو قل إنه كان يستقصي الفضائل، ويفرغها في قلوب أبنائه الطلاب الفينة بعد الفينة.

وكان الشيخ غيوراً على المعهد، حريصاً على ألا تمس مناهجه، معارضاً أن يضم إلى وزارة التربية والتعليم خوفاً من المساس بأصوله التي قام عليها، ورغبة في بقاءه للرسالة الكبرى التي أقيم لها، وعند انتداب أساتذة لسد العجز في المعهد كان يضعهم - كما يقول أحد هؤلاء الأساتذة - تحت الميكروسكوب خشية أن تتطوي نياتهم، أو اتجاهات باعثيهم على أمر يقصد به التعديل، أو مجرد المساس بشيء من قيم هذا الصرح، مهد الدعاة، ومنشأ الذين يتحملون مسؤولية العقيدة، وعبء حماية التراث، وتحقيق السبق العلمي لدولة قطر في جميع المجالات، ولا تسكن نفسه إلا حين تثبت لديه صحة نواياهم وصدق توجههم، وكان موقفه هذا واضحاً

تجاه ندب كل من الأستاذ عبد الله اليوسف (مدرس الرياضيات)،
والأستاذ رضا فاخوري (مدرس التربية الفنية)، والأستاذ عمر الخطيب
(أول معلم للتربية الرياضية بالتربية والتعليم القطرية)، وقد يعث بهم مدير
المعارف لسد العجز في هذه المواد بالمعهد الديني، ولم يلبث هؤلاء أن تحولوا
إلى أعضاء كرام في أسرة المعهد بما قدموا من جهد طيب، وتعاون بناء،
وإخلاص شهد لهم به الجميع في كل ما ولوا من أمر من أجل النهوض
بالمعهد، والرقى بأبنائه.

ولم يكن نشاطه مقصوراً على المواد العلمية، أو محصوراً فيما حدد من
مناهج بل كان يؤمن بأهمية النشاط، وأثره في بناء الرجال فكان ينظم
رحلات خارج الدوحة، ويقوم بأعمال تحفز الطلاب والمعلمين على مواصلة
النشاط، واستمرار التفاعل بينه وبين التحصيل العلمي بجانب تلك التمارين
الرياضية التي يمارسها الطلاب، ومعهم الشيخ عبد الله يشد أزهم،
ويضاعف حماسهم، ويحبب إليهم ذلك اللون الطيب من النشاط بمشاركتهم
وتشجيعهم.

وقد يثير هذا شيئاً من الدهشة في نفس القارئ....

شيخ مشغول بالدين، مأخوذ بالدعوة يتخذ كل وسائله، وإمكاناته في
الترغيب فيه، والتمسك بشرائعه تجد عنده التربية الرياضية هذه الرعاية؟ بل
التشجيع والحث؟

وربما كان هذا الظن دافعاً للأستاذ عمر الخطيب إلى التفكير في عدم
قبول الندب للعمل بالمعهد الديني، حيث يقول: لقد أبديت لمدير المعارف
الأستاذ عبد الله عبد الدايم عدم رغبتني في الانتداب للمعهد الديني،
وكانت مبررات الرفض أنه لا ملاعب بالمعهد يمارس فيها النشاط الرياضي
وليست هناك دروس رياضية ومديره لا يحب الرياضة كما كنت أعتقد،
وكان اعتقادي خاطئاً.

ولكن نعود فنقول: لم هذا الاعتقاد، والدين الذي يعتصم به الشيخ - رحمه الله - يدعو إلى القوة قال تعالى: { وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ }^(١).

والرسول الأكرم - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير))^(٢).

وأي قوة لقوم كسالى خاملين لا همة لهم، ولا نشاط فيهم؟

ولكن الأحداث تُجَلِّي الحقيقة، حقيقة هذا الشيخ، وتكشف عن بعد نظره، وعمق فهمه وسعة أفقه، فالتربية عنده بناء متكامل، وتكوين متناسق لشخصية الطالب عقلياً، وجسمياً، ونفسياً، فلا يعقل أن ينمو عقل في جسم يأكله الضعف، أو تستقيم نفس لمنطو على نفسه، مؤثر للعزلة، هارب من الحركة والتفاعل.

والشيخ داعية إصلاح يتخذ ما استطاع كل الوسائل الممكنة التي تتناسب مع أهدافه، وتساعد على تحقيقها، فلم يكن ليعارض إضافة نافعة، أو يتصدى لنشاط مباح، وهو بطبيعته رياضي ماهر في أقسى ألوان الرياضة.

ألم يكن - رحمه الله تعالى - غواصاً يضرب به المثل؟

فكيف يُظنُّ أنه لا يفسح المجال للنشاط الرياضي؟

والشيخ إنما يستمد توجهاته من ذلك الدين القيم، والإسلام بطبيعته لا يرفض الوافد عليه إلا إذا ناقض أصلاً، أو خالف تشريعاً من تشريعاته، فإذا

¹ - سورة الأنفال (٦٠) .

² - رواه مسلم .

لم يكن كذلك، ورئي فيه الخير ربح به، وحض عليه، وباركه، على هذا كان شيخنا.

لقد انتدب الأستاذ عمر الخطيب لتدريس مادة التربية الرياضية بالمعهد وهو خال تماماً من الملاعب، فهل ترى الشيخ ينتظر حتى يخاطب الجهات المسؤولة، وترد عليه، ويمضي الوقت حتى يسوي الأمر، ويعتمد له ما يمكن اعتماده؟

إن الشيخ - رحمه الله تعالى - أكبر من هذا، وهو يملك ثروة وطاقه لا يتحكم فيهما غيره، أما الثروة فنشاطه المشهود له به، وقد أفاضه على أبنائه الطلاب، فكانوا أهلاً لتحمل أعظم المسؤوليات، وتلك الطاقة الكامنة فيمن يصنعهم على عينه أشد ما تكون احتياجاً إلى مصارف طيبة تتفق فيها.

لقد ألمح إلى أبنائه أحبائه الطلاب برغبته في تجهيز ملعب في أرض بور مجاورة للمعهد، ولم يكذب يتم حديثه حتى تهلت الوجوه واستبشرت، وتحركت عزائم الشباب، وانطلقوا باسم الله، وقد وضع الشيخ - رحمه الله - يده في أيديهم، وقد فاق فورة الشباب وبهرهم نشاطه، وأدهشتهم مشاركته، فحملوا التراب والأحجار فخورين، وسوا الأرض مستبشرين، فلم يمض غير أيام قلائل حتى أصبح في حوزة المعهد ملعب يفوق نظيره في أي منشأة تعليمية أخرى أنفقت فيه أموال طائلة، وبذلت في سبيله جهود متضافرة.

وبدأ الإعداد للمشاركة في المهرجان الرياضي، وليس بالمعهد فرق رياضية، ولكن الهمم التي أقامت الملعب قادرة - بعون من الله تعالى - على أن تُعدَّ نفسها ليوم المهرجان.

لقد أقيمت حلقات التدريب ليلاً ونهاراً، والرائد المربي بينهم يُفيضُ عليهم من روحه، ويذكي نشاطهم بحماسة، ويمنيهم بالفوز والسبق ليؤكدوا كفاءتهم، وعظمة المعهد الذي ينتمون إليه، وجاء يوم المهرجان وانطلقت فرق السويدي والكشافة والأشبال في مشهد رائع، وكأن الرجال أعدوا من أعوام، والشيخ يتقدمهم فخوراً بهم، مباحياً بنشاطهم، ومعه إخوانه المعلمون حتى وصل الأبطال إلى ملعب استاد الدوحة، وقدمت وسط هتاف الجماهير وتشجيع المسؤولين الذي أثارهم ما رأوا، وأدهشهم ما شاهدوا.

هنا كانت المفاجأة، إن المعهد منذ شهرين كان بلا ملاعب، ولا فرق رياضية، وأستاذ التربية الرياضية العملاق لم يصل إلا في هذا التاريخ، فكيف صنع الشباب؟

ومتى أقيمت الفرق؟ وكيف تم تدريبها؟

إن القيادة الواعية لا يحكمها الوقت، ولا يقعد بها ضعف الإمكانيات، كما أنها لا تعرف التعلل، أو اختلاق الأعذار، وإنما تؤمن بأن الحياة عطاء، وأن العقل مدد دائم، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وعلى هذا الأساس تم الإنجاز، إنه إنجاز لم يكن أحد يتصوره حتى المدرب نفسه يقول: حتى أنا نفسي لا أتصور ما وصلنا إليه وأشرق وجه الشيخ، وتهللت أساريره، وقرت عينه، وطابت نفسه واطمأن خاطره بما قدم شبابيه، وما بذل أستاذهم العظيم من جهد أثمر السبق والتميز، وانهالت التبريكات والتهاني على الشيخ كل هذا النشاط فوار معطاء لا يتوقف، بل يضاعفه الحب، وينطلق به الوفاء إن حب المعلمين للشيخ جعلهم إلى جواره بالمعهد صباحاً ومساءً دون انتظار مقابل، وكذلك تعلق الطلاب به، وإقبالهم عليه، وإيثارهم لجواره جعلهم يلاحقونه، ويلتفون به أينما حل، ولذا فهم دائمو الحضور إلى المعهد يسألون، ويناقشون، ويستزيدون علماً وخبرة لذا لم

يكن عجباً أن يتخرج في المعهد الديني الأول بدولة قطر كوكبة من العلماء والمفكرين نفت فيهم الشيخ - رحمه الله تعالى - من روحه، وورثهم نشاطه، وخلع عليهم بالغ همته، ورياهم على مبادئ تجلت في عطائهم حين أحلهم المجتمع العربي مواقع العطاء، وأنزلهم منازل الريادة، بل قل - ولا حرج - إن هذا الجيل هو جيل الرواد الشامخين.

وإني لأستسمح القارئ الكريم حتى يقول كلمته بعد عرض نماذج ممن ربوا على يد الشيخ - رحمه الله تعالى - في المعهد الديني الأول بدولة قطر الذي أسسه، وأداره، وعلم فيه، وربى، وتعهد طلابه ليصبحوا فيما بعد صوراً مشرقة، ومثلاً تحتذى.

من هؤلاء الرواد على سبيل المثال لا الحصر:

الأستاذ راشد عبد الله علي، وزير الخارجية بدولة الإمارات العربية.

الأستاذ عبد الله حميد المزروعى، وزير العدل الأسبق بدولة الإمارات العربية.

الأستاذ ثاني بن عيسى بن حارب، وزير الأوقاف والشئون الإسلامية الأسبق بدولة الإمارات العربية.

الأستاذ أحمد عبد الله عسكر (رحمه الله تعالى).

الأستاذ محمود هزاع عبد ربه (يمى) من رجال التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية.

الأستاذ عبد العزيز عبد الله تركى، وزير التربية والتعليم السابق بدولة قطر.

الأستاذ محمد سالم الكواري (سفير سابق).

الأستاذ راشد سالم الكواري (متقاعد).

الأستاذ يوسف عبد الرحمن الملا، مساعد وكيل وزارة التربية والتعليم
بدولة قطر للشئون الثقافية.

الأستاذ سلطان محمد الملا، مساعد إدارة التربية الاجتماعية بوزارة
التربية والتعليم بدولة قطر.

الأستاذ نصير اختر بشير (باكستاني) بالتعليم الأهلي بالتربية والتعليم
بدولة قطر.

الأستاذ عبد الرحمن عبد الله المولوي مدير إدارة العلاقات الثقافية بوزارة
التربية والتعليم.

كما شرفني الله تعالى بأن أكون تلميذاً لسيدي ووالدي فضيلة الشيخ
- رحمه الله تعالى - وأن أكون زميلاً لهؤلاء الرواد الأعلام.

وإنه لم يمن الافتتاح أن تضم هذه الكوكبة أعلاماً من دولة عربية
أخرى كدولة الإمارات العربية، ودولة اليمن، ودول إسلامية كدولة
باكستان، وما كان بوسعي أستقصي فقد ضم المعهد بين أرواقه كثيراً من
أبناء قطر، وأبناء دول عربية مجاورة، وأبناء دول إسلامية التقوا جميعاً من
أجل غاية واحدة، وارتووا من معين واحد، وأتيحت لهم فرص متكافئة،
ورأوا في مدير المعهد وأساتذته جميعاً آباءهم يمثلون وجه قطر بما فيه من
بشاشه، وما يكسوه من إشراقة الحب الشامل، والبر الذي لا يعرف
التفرقة، والعطاء الصادق الذي لا يفرق بين قطري وغيره.

واستمر المعهد في أداء رسالته، ورعاية قاصديه، وبذل أقصى الجهود
لبناء تلك الشخصيات الناشئة، والنهوض بها دينياً، وعلمياً إلى أن رأت الدولة
إنهاء خدماته بعد ثلاث سنوات لتأخذ المدارس النظامية دورها، وتتحمل
مسئوليتها في المجتمع القطري، فكان شبابها زينة المدارس التي انتقلوا
إليها، يعرفون بتفوقهم العلمي، وتميزهم الخلقى، ونشاطهم الواضح، حيث

قد أتيح لهم ما لم يدركه غيرهم وأخذوا عن شيخهم - رحمه الله تعالى -
ما يمهد لهم الطريق لبلوغ أقصى الغايات.

الشيخ محمد

المرسي في الصلاة الصالحة

وتلقي إليه قطر بأماناتها الواحدة تلو الأخرى وهي واثقة أنه أهل لما يناط به، بل إن حكام قطر بما أوتوا من سداد الرأي، وبعد النظر وصدق الفراسة ليرون أنه أكبر مما يختار له، ولذا فهم يخبئون له عظام الأمور، وهم موقنون بكفاءته، واثقون بقدرته على النهوض بها والوصول إلى أعظم ما يتصوره أولو الخبرة.

اختاروه مديراً لأكبر مدرسة - آنذاك - بدولة قطر، ألا وهي المدرسة الابتدائية الجديدة والتي أطلق عليها اسم البطل المنقذ صلاح الدين فاشتهرت بمدرسة صلاح الدين، فإذا هو نشاط يفيض على كل من فيها، وإذا هو حب يغمر من حوله جميعاً.

طلابها - وهم من أهم أسس العملية التعليمية - أحبوه، فأحبوا العلم من خلاله، وآباؤهم تعلقوا به، فعشقوا التربية بعشقهم له والمعلمون العاملون بالمدرسة ألفوه، فأخلصوا العمل، وتفانوا في أداء الرسالة وفاء للعلم، وتقديراً للشيخ عبد الله الأنصاري - رحمه الله - أوفى الأوفياء، وقد أنزله خلقه من معاشريه منزلاً كريماً، وجعلت له سماته المتميزة مستقراً في قلوبهم، فقد كان - رحمه الله تعالى - مثلاً للقيادة الذكية الواعية الحكيمة في كل موقع من مواقع المسؤولية التي وليها، والعمل التربوي بطبيعته يختلف عن أي عمل، وقيادته تستلزم من القدرات ما قد تستغني عنه القيادة في كثير من مجالات العمل الأخرى، فهو علاقة بالدارسين، وهم نشء في سن متقدم، وارتباط بأولياء الأمور، وطباعهم مختلفة اختلاف بصماتهم، وتنوع أمزجتهم وتعاون مع هم دونه في المسؤولية من هيئة التدريس والعاملين بالمدرسة واتصال بالمسؤولية، وعرض لقضايا العمل، ومناقشة لمشكلاته، ولكل فئة من هؤلاء طريقة في التعامل معها، والالتحام بها، والتفاعل معها، والاستفادة بكل إمكاناتها.

فالطالب إذا أحب المدرسة أحب العلم، ، اقبل على الدراسة، وشغف بها، ولن يحب المدرسة إلا إذا وجد فيها آباء يسبغون عليه رحمتهم ويشملونه بعطفهم وحنانهم ومودتهم، فيجد راحة في تلك الدار التي تزيل أميته، وتخرجه من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ويرى فيمن حوله آباء أحرص ما يكونون على امتلاك قلبه، والسيطرة على عقله والتحكم في سلوكه بحسن سياسة، وراشد حكمة، فيغدو إلى المدرسة فرحاً مستبشراً كأنما يختلف إلى روض مزهر مثمر ظلليل عطر النسيم عذب الماء، تتنوع فيه مظاهر الجمال، يستهوي النفس، ويملك القلب.

وأولياء الأمور يستودعون المدرسة فلذات أكبادهم، وأحب الخلق إليهم ويسلمونهم إلى أصحاب الرسالة العظمى، لينشئوهم إنشاءً جديداً، ويبدعوا في توجيه أفكارهم وسلوكهم، فإذا وجدوا من يخلص لهذه المهمة، ويصدق في تحمل أعبائها أعطوه من أنفسهم كل ما يستحقه عظيم من مقدره المؤمنين به، المعظمين لرسالته.

أما العاملون بميدان العطاء التربوي (المدرسة) فهم في حاجة إلى حكيم يقدر الإخلاص، ويشجع عليه، ويفطن للمخالفة، ويعرف كيف يحتويها، ويستقطب المخالف، ويسيطر عليه، ويعدل من سلوكه، بل يحتويه، ويجعل منه نموذجاً طيباً للعطاء الجاد المخلص.

أما المسؤولون على مختلف مستوياتهم فهم في حاجة إلى عقل كبير وقلب قوي، ونفس مطمئنة بالإيمان ترى الحق فتقره وتحسن إبلاغه، وتكبر العدل، وتأبى الظلم، وتواجه فيه، ولا تخشى في الله لومة لائم.

وقد شاء الله تعالى أن تجتمع تلك المزايا وأكثر منها في شيخنا - رحمه الله تعالى - فقد كان وثيق الصلة بطلابه، قريباً منهم، دائم الحديث إليهم ناصحاً ومرشداً، ومرغباً ومنذراً في موقف الصباح، أو أي مناسبة تجمعهم بهم، وما أكثر تلك المناسبات، فهو يحثهم على طلب العلم، ويحبب إليهم

الانتظام فيه، والاهتمام بالدراسة، ومواصلة التحصيل، يشيد بالفائقين، ويكرمهم، ويحفزهم، ويعاتب المقصرين - في غير ازدراء بهم - ويفسح لهم صدره، ويوسع لهم في مجلسه ويرعاهم بنصحه، فإذا احتاج الأمر إلى عقاب عاقب المربي الحكيم، والمؤدب الفطن، لا عقاب الجلاد الأحمق المنفر من العلم والتعليم، ولذا يحدث كثير من معاصريه طلاباً أو غيرهم أن منهجه التربوي كان حافظاً للفائقين قل أن يجدوه عند غيره، كما انطلق بكثير من المقصرين إلى الجد والجهاد حتى نافسوا الفائقين، فأحبه أبناءه الطلاب حباً كثيراً، والتفوا به وأحاطته قلوبهم، واستراحت إلى كلماته أسماعهم واستجابوا لنصائحه، واتبعوا إرشاده.

وأولياء الأمور حظوا عنده بعلاقات ما كانوا ليجدوها عند غيره فهم يجدون عنده أخبار أبنائهم، فيطلعهم على المزايا ليحثوا أبناءهم على الاستزادة منها، ويسوق إليهم - في حكمة - جوانب التقصير كاشفاً عما بذل من جهد في علاجه، مبدياً وجهة نظره في دور الأسرة ومشاركتها، فاستراحوا إليه، واطمأنوا لجهوده، وأمنوه على ودائعهم.

والعاملون بالمدرسة يمثلون جسداً رأسه مدير المدرسة، فإذا صلح الرأس صلح الجسد، ولا يكون صلاحه إلا باستقامته على الحق والتزامه العدل، وحيدته في تعامله مع أعضاء هذا الجسد، لا يحابي على حساب الرسالة الكبرى، ولا يدني فلاناً لظرفه، ومعرفته بفنون القول، وإن خرب الأداء، وفقد الصلة برسالته، رسالة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا يقصي فلاناً لأنه لا يستسيغه، أو أنه لا يجيد اللعب بالعبارة، وإن كان جاداً في عمله قريباً من طلابه.

لقد كان الشيخ - رحمه الله - شخصية فريدة يزن من حوله بميزان الصدق والعدل، ويبلوهم بذكاء وفطنة حتى يتبين كوامن صدورهم ويكشف الله تعالى له خوافيهم، فإذا بان اعتدالهم أولاهم ثقته ومنحهم

حبه، وكثيراً ما كان يقول: نحن نعطي الثقة، ولكن لمن يستحقها، ولمن هو أهل لها.

وإن ظهر خلاف ذلك عالج بحكمة، وأصلح ما استطاع، فإن استقام العود رعاه، وحمد الله تعالى، وإن لم يجد العلاج – وذلك أمر نادر في حياته العملية – لم يكن جباراً، ولا متسلطاً منتقماً، وإنما يفسح له الطريق لعله ينجح في موضع آخر.

لقد كان حريصاً على أن يجعل من نفسه مثلاً وقدوة.

كان كما حدث عنه معاشروه أول الحضور إلى المدرسة صباحاً، ولا يتغيب عنها أبداً، ولو كان مريضاً.

كان للعاملين معه أباً رحيماً، وأخاً كريماً، حريصاً على ما ينفعهم ساهراً على مصلحتهم وراحتهم، يتفانى في حل مشكلاتهم، فإذا عصفت الأهواء وخيف على حقوق الضعفاء كان حصناً لهم، وأماناً واطمئناناً لنفوسهم، وضمناً لحقوقهم.

جرى سوء فهم بين مفتش إداري ومالي، وبين أحد موظفي المدرسة استغله المفتش الإداري استغلالاً سيئاً، فوقع على هذا الموظف الذي يعمل معه.

ماذا تتصور أن يكون موقف الشيخ؟

أيكون التباكي، وإرسال عبارات المواساة؟

ليس هذا شأن العظماء، وإنما تكون العظيمة بالمواقف، فتعد لكل عظيم مواقفه، وبها يأخذ قدره بين الناس.

لقد رفض الشيخ – رحمه الله تعالى – العمل في أي موقع من مواقع عمله إلا بعد أن يعود الحق إلى نصابه بإنصاف المظلوم، وفعلاً اعتذر مدير دائرة

المعارف لهذا الموظف المظلوم، وأعاد إليه حقه، فعاد الشيخ - رحمه الله - إلى عمله مسروراً.

إنه كما قال عنه الشيخ عبد المعز عبد الستار - بارك الله فيه ونفع به - في حديث له: وأشهد لقد كان الشيخ عبد الله الأنصاري - رحمه الله وأجزل مثوبته - من أسرع الناس نهضة في الصريح، وإغاثة للملهوف، ونصحاً لعباد الله ورغبة في عمل الخير، بل حرصاً على خير العمل، ونجدة المحتاج، وإنصاف المظلوم. أهـ.

هذا مع الناس عامة، فماذا يكون مع مخالطيه العاملين معه؟

كان لأحد مدرسي مدرسة صلاح الدين قريب في النمسا، وكان له بنتان وولد، وقد كبرت البنتان، واتصل أبوهما بقريبه هذا، لينقذه بنقل البنتين إلى بلد عربي مسلم حيث يخشى عليهما الفساد، وكانت التأشيرات صعبة آنذاك بعد حرب يونيو ١٩٦٧م، فما اعتذر الشيخ أو تعلق بصعوبة الموقف - وهو محق لو اعتذر - ولكن الشيخ لم يكن يعرف مثل هذا الخلق، فانبرى دون تردد في عزم وثقة بالله، والتقى مباشرة بأعلى الجهات المسؤولة بالدولة، وعاد بالتأشيرتين، وحضرت البنتان، وعاشتا في رحاب دولة عربية مسلمة، تقيم شرع الله تعالى وترعى حدوده، وأقامتا حتى تزوجتا منذ عدة سنوات، بالدوحة المباركة.

ترى ماذا يكون موقف عاملين يرون في قائدهم هذا التفاني في خدمتهم، والعمل على استقرارهم.

لابد أن يبادلوه وفاء بوفاء، وإن كانوا لن يبلغوا شأوه، فكانوا في عملهم طاقات خارقة، متميزين في العطاء، متنافسين في العمل جزاءً وفاقاً لما يقدم الشيخ في خدمتهم.

لقد كان مدرسو المدرسة يأتون وقت فراغهم إلى المدرسة بعد الدوام الرسمي حيث يجمع كل معلم طلابه مراجعاً، مجيباً على تساؤلاتهم واستفساراتهم، موضحاً لهم ما أبهم عليهم، وربما يتخاصم المعلمون لأن بعضهم نال قدراً من الوقت مع طلابه بينما قضى آخرون وقتاً أطول، وكل هذا بلا مقابل مادي.

إن روح الشيخ - رحمه الله تعالى - سرت فيهم، فحبيب الله تعالى إليهم العطاء الطيب النظيف غير المشروط، وروعيت مصلحة الطلاب بأعظم وأروع الصور ببركة إخلاص القيادة، وصدق الراعي، وإخلاص العاملين معه.

انطلقت المسيرة التربوية مسيرة البناء يسرع بها الأمل في إخراج جيل يعزه الله بدينه، ويعز به أمته الإسلامية والعربية، ويعلي به شأن الوطن الحبيب الذي يسابق الزمن، ويصارع الأحداث ليستكمل أمجاد نهضته، ويطالع العالم بالوجه الجديد العملاق لحضارته.

مسيرة لا تناقض بين أفرادها ولا تدابر، بل وئام يجمعهم، وإخاء يشد أزهم، وتناسق يزين المسيرة ويدعمها، ووحدة هدف تبارك مسعاهم، القائد له من المعلمين أجنحة صدق، يرى بعيونهم، ويحسون بقلبه، ويفكرون بعقله، ويستتيرون ببصيرته، ومن حولهم براعم متفتحة تستشق أنسام الطموح من هؤلاء الرواد، وتغذوها، حكمتهم، وتروبوها أفكارهم، حتى تستوي على سوقها، وتؤتي أكلها بإذن ربها.

كانت المدرسة تستقطب الغالبية العظمى من أبناء الوجهاء ثقة منهم في إدارتها التي تولاهم شيخنا - رحمه الله تعالى - وإيماناً بعظمة منهجه التربوي، ورغبة في إفادة أبنائهم من جهوده المخلصة وعطاء صفوة الأساتذة الذين لا يألون جهداً في أداء الواجب بصورة يرضى عنها الله تعالى أولاً، ثم تتناسب مع رسالتهم، وثقة الوطن الأعز، والبلد المضياف فيهم، وتأسياً بالمدير الرائد الذي لا يعرف السأم، ولا يخلد إلى الراحة.

لقد كانوا جميعاً يعملون على قلب رجل واحد ليصلوا إلى الهدف المنشود، ويبلغوا بطلابهم أسمى الغايات.

ناهيك عن عظمة هؤلاء الرواد - قطريين وغيرهم - وما لهم من نشاط متنوع في التربية، وغيرها من المجالات، سجله لهم التاريخ في فخر واعتزاز، فكانوا موضع اختيار الشيخ، ومحل ثقته.

وكان الشيخ - رحمه الله - يؤمن بدور ولي الأمر في إنجاح العملية التعليمية، وإتقان البناء التربوي، فكان الأذن الواعية لكل ولي أمر وجيهاً كان أو فقيراً، ولذلك كان مقصد الجميع، يسعدهم منه وجه صبح، وابتسامة مشرقة، وسعة صدر، وحسن استقبال، يجدون عنده راحتهم، ويودعون مجلسه بنفوس راضية مطمئنة.

نوجهات تربوية

- علم وسلوك قويم.
- حسن توجيه لطاقت الشباب.
- درس لابد منه.
- التربية على منهج إسلامي.

علم وسلوك قويم

تتعاون المواد الدراسية في صناعة الطالب، وتكوين شخصيته وتحديد سماته العقلية والنفسية والجسمية والذوقية، وتختلف كفاءة القائمين على التربية في أي مؤسسة تعليمية باختلاف قدرتهم على الموازنة بين هذه الجوانب، وإعطاء كل منها حقه دون أن يطغى جانب منها على الجوانب الأخرى، وكثيراً ما يكون لاتجاه الرأس (مدير المدرسة) أثر كبير في تحديد الجانب المحفوظ، فقد يكون علمياً مشغولاً بقضايا الفكر، فيتركز طموحه في إبراز الناحية العلمية والتميز فيها، والنهوض بها.

وقد يكون مرهف الحس فياض المشاعر، فيوقف حياته وحياة من قدر لهم أن يصحبوه على النواحي النفسية والخلقية.

وقد يكون مولعاً بالرياضة حريصاً على تأصيلها، ولو على حساب بقية المواد، أو يكون ذا ذوق خاص متميز فيعني بتربية الأذواق وهكذا.

وفي كل هذه الحالات لا تثمر التربية شخصية سوية، ولا تبني الإنسان المنشود المستهدف لدى علماء التربية، إذ بناء الإنسان عملية متكاملة، تنمي فيه قدراته المختلفة، وترعى اتجاهاته كلها، وهي - وإن تفاوتت حاجة كل إنسان، واهتماماته في النيل من هذه الجوانب والتفاعل مع كل منها - ضرورة في البناء التربوي السليم.

والذين تتلمذوا على الشيخ - رحمه الله تعالى - لمسوا فيه تلك المزايا مجتمعة، فاهتمامه العلمي جعل مدرسة صلاح الدين مدرسة نموذجية من حيث الأداء والتحصيل العلمي والنتائج، كما تقام فيها الصلاة كمنهج لا يتخلف عنها معلم متخذاً في ذلك الأسلوب القويم للدعوة بحيث تتبع الصلاة من المصلي، ويترقب وقتها راغباً فيها لا يحركه غير حبه، ولا يدفعه إليها

إلا عقيدته، وإيمانه بعظمة الوقوف بين يدي الله تعالى، فهو لا يساق إليها، ولا يكره على الانتظام في صفوفها.

انظر كيف تؤدي الصلاة؟ وكيف يدعى إليها النشء فضلاً عن الكبار كما يرى شيخنا رحمه الله تعالى؟

تعود التلاميذ المشاركون في المهرجان أداء صلاة العصر جماعة مع المعلمين قبل الذهاب إلى التدريبات استعداداً للمهرجان الرياضي، وأذن لصلاة العصر يوماً ما - كالمعتاد - وإذا بأحد الأساتذة يلاحق التلاميذ والمعلمين، ويدعوهم إلى الصلاة بانفعال وشدة، وكأنه لو لم يسلك هذا المسلك ما ذهب أحد إلى الصلاة، فما كان من الشيخ - رحمه الله تعالى - إلا أن قاطعه، وقال له: لِمَ تنهرُ الناس؟

إن المؤذن أعلم الجميع، وهم - والحمد لله - في طريقهم إلى الصلاة، فلا تخرج الناس.

أما خاطب الله تعالى نبيه - صلى الله عليه وسلم - بقوله: { فَذَكَرْنَاكَ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (٢٢) }^(١).

إن الشيخ يريد اندفاعاً عن رغبة، وتنافس تمليه العقيدة، واستباقاً بحركة الحب لله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، وهو يأبى أن يكون الداعية فظاً غليظ القلب، وإنما يحرص - دائماً - على أن يكون منهج الدعوة - مع الناس عامة ومع هذه البراعم خاصة - كما علم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم:

{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَاتِّبِي هِيَ أَحْسَنُ }^(٢)

حتى لا يمل الناس الدعوة، أو يقبلوا على العبادة في فتور، ومجاراة للعادة.

¹ - سورة الغاشية الآيتان (٢١ ، ٢٢).

² - سورة النحل الآية (١٢٥).

ما أجمل أن يتعهد المربون النشء بهذا المنهج القرآني الكريم ويحببوا إليهم الصلاة ويتفنونوا في ترغيب الشارد عنها!

أليس من الممكن أن يكون من هؤلاء دعاة؟

فأي عمل أفضل من أن يلقنوا الأسلوب الصحيح للدعوة إلى الله تعالى في صور حياتهم العلمية على يد معلمهم الأكبر الشيخ عبد الله الأنصاري؟

حسن توجيه لطاقات الشباب

كان الشيخ - رحمه الله تعالى - ذا ذوق إبداعي رائع، وليس ذلك بغريب على من نشأ في رحاب القرآن، وطعم جمال التصوير من خلال أسلوب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وغذي بجمال الأداء، فأصبح الشيخ - رحمه الله تعالى - شغوفاً بتربية الأذواق حريصاً على تنمية الإبداع لدى أصحاب المواهب من طلابه، وتوجيه قدراتهم توجيهاً سديداً يتفق وتلك العقيدة التي شرفنا الله تعالى بها فوجدت التربية الفنية في رحابه خير رعاية، حيث وفر لها الإمكانيات وشجع على ممارستها، وكرم النبوغ فيها حتى أصبحت المدرسة معرضاً فنياً يحكي قدرات متفاوتة، وما أقيمت مسابقة إلا وشارك فيها أبناء المدرسة، ونافسوا، وحققوا فوزاً، ونالوا ونالت مدرستهم التكريم على ما قدموا من إنتاج فني رائع، ولقوا من أستاذهم ومربيهم الشيخ عبد الله خير تشجيع.

والشيخ الرياضي بطبعه ونشأته أكبر مشجع للرياضة، وخير مؤازر لطلابه لإدراك أكبر قدر منها، حتى اعترف أستاذ التربية الرياضية بفضل الشيخ عليه، وعونه له بالتشجيع، وتيسير الوسائل والأسباب المعينة له ولطلابه.

في آخر العام الدراسي، وعند بدء الصيف كان الشيخ - رحمه الله تعالى - يجمع حصتي التربية الرياضية والفسحة - وكان وقتها ساعة - ويطلب إلى معلم التربية وسكرتير المدرسة ومن لديه فراغ من الأساتذة الخروج بالطلاب إلى الخليج لتدريبهم على السباحة، وعقد صداقة بينهم وبين البحر، مع تزويد الجميع بنصائح غالية في هذا الفن الرياضي الذي أتقنه، وبرع فيه، وكانت الثمرة أن أتقن الطلاب السباحة، ولم يحدث بفضل تعالى أدنى حادثة.

وقد تكون الرياضة طريقاً لإضافة جديد متنوع من المعارف، وتتمية الذوق، وتوجيه القدرات، وحسن استغلال طاقات الشباب، وليس كالرحلات طريقاً إلى ذلك بما فيها من نشاط الحركة والتنقل، وما يتعوده الرحالة من الصبر، ويلتزمه من الاعتماد على النفس، وحب الجماعة والاتئلاف بها، والاستمتاع بمظاهر الجمال، والتعرف على بيئات وظروف قد لا تتيسر للإنسان في حياته العادية، وغير ذلك.

لقد اصطحب طلابه إلى منطقة واسط قرب الماجدة لقضاء أيام بها، ومعايشة الطبيعة الجميلة فيها، ولم تكن الطرق معبدة، ولا وسائل المواصلات بالصورة التي وصلت إليها الآن، وأقام المشرفون بأبنائهم الطلاب خمسة أيام، لم يكن يتركهم إلا لمتابعة مسؤولياته - وما أكثرها - وقد هياً لهم وسائل النشاط، وأمدهم بكل ما يحتاجون إليه في إقامتهم، فكان يعود إلى الدوحة، وهو لا يزال مشغولاً بهم، فهم نبتة، ولهم عليه حق الرعاية، يتعهدهم بأداب الإسلام وخلقه حتى وهو يتعهد ذوقهم وأبدانهم، فكان يقطع الطريق الوعر البالغ حوالي ثمانين كيلو متراً في الثلث الأخير من الليل بسيارته الخاصة، حتى يصل إليهم مع الفجر، فيوقظهم على أذانه للصلاة، ليفتحوا يومهم بعقد الصلة الوثيقة بالله ربهم، وليأخذ كل منهم ما قدر له من نور الصلاة يقطع رحلة يومه وإن كان يوم ترويح، فإذا ما فرغوا من صلاتهم، وأتموا - ما استطاعوا - ذكر ربهم فارتدوا ملابسهم الرياضية وانطلقوا يركضون بلا استثناء شيئاً وشباناً لا يختلف منهم أحد، فإذا نال الإعياء من واحد منهم يبطن الخطى، ويقطع ما يستطيع مشياً حتى تدركه الجماعة في عودتها، فيعود معها، فمسافة السباق ثلاثة كيلو مترات ذهاباً، ومثلها إياباً، وفي الركب كبار السن، ومن لا تعينه طاقته على الاستمرار والمواصلة، والشيخ - رحمه الله تعالى - ينافس الشباب، بل

قد يسبق فما يبطل أو يمشي، وإنما يظل يركض بخطواته التي بدأ بها حتى نهاية السباق، فلما سئل عن سر ذلك قال:

أنسيتم أنني غواص؟

ثم هو بعد ذلك يواصل معهم التمرينات الرياضية الصباحية.

أرأيت أخي القارئ الكريم كيف تكون مشاركة الرائد؟

وكيف يعطي من حوله من نفسه القدوة والمثل؟

درس لا بد منه

وعلى طريق التربية يحاول الشيخ - رحمه الله تعالى - أن يجتنب مع طلابه كل روافد التربية، ويستكمل جوانبها ما أمكن، ويخوض بأبنائه مجالات هامة، وإن أغفلتها المناهج، أو حالت دونها الظروف والإمكانات، والتربية عند الشيخ كل لا يتجزأ، وإذا اقتصر الأمر على استيعاب المناهج، وبعض السلوكيات، وما تيسر من النشاط فتلك تربية مبتورة.

إن التفاعل مع المجتمع أخذاً وعطاءً، والرفقة في السفر، وما يلزمها من آداب، والتعارف والتنافس مع مجتمعات أخرى قيم غالية فإذا أتاحت في رحاب العلم، ووقعت مشاهدة محسنة عن طريق القدوة الحسنة، وشارك فيها الطالب كدروس عملية يصيب فيشكر على إصابته، ويخطئ فيقوم الخطأ استقرت في النفس، وخالطت المشاعر وامتزجت بالطبع، ومن كشيخنا يحرص عليها أشد الحرص؟

لقد استطاع الشيخ - رحمه الله تعالى - باتصالاته أن يعقد لقاء رياضياً بين الفرق الرياضية بمدرسته ومثيلاتها بالمنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية (في الخبر والدمام)، وكان ذلك في إجازة نصف العام الدراسي (٥٩ - ١٩٦٠ م) ونشط معه رجال من المعلمين في طليعتهم معلم التربية الرياضية، واستأجرت المدرسة حافلة لقطع رمال أم حويض، حيث لم يكن هناك طريق معبد يربط قطر بالسعودية وصحب الشيخ - رحمه الله تعالى - الركب بسيارته الخاصة (فولكسفاجن)، وقدراتها معروفة، والطريق غير مناسب لها، ومع ذلك صمم الشيخ على السير بها - ربما لحكمة - فقد تتوقف القافلة لأمر ما....

فكيف يتم الإنقاذ؟

أو ربما انطوت نية الشيخ - رحمه الله تعالى - على حِكْمٍ أخرى لاصطحاب هذه السيارة، ويمر الراكب على الكرعانة، ويدعو وجيه من وجهائها - هو الشيخ فهد بن علي الثاني - الشيخ عبد الله، ومن معه لتناول القهوة، ويرى الشيخ فهد سيارة الشيخ عبد الله فيمازحه قائلاً: ستترك هذه السيارة في أول الطريق وتركب الحافلة مع الريح، لأنها لا يمكن أن تقطع الرمال وهي بهذا الحجم والقوة، ولكن الشيخ يبتسم كعادته، ولسان حاله يقول: ستذهب وتعود بإذن الله تعالى، وكأنه يريد أن يعلم من معه درساً مؤداه: إذا ضعفت إمكانياتك فاحرص على أن تصنع شيئاً بهذه الإمكانيات، ولا تلتمس لنفسك عذراً.

ذهب بها الشيخ - رحمه الله تعالى - ونظم للركب رحلته، وأماكن الراحة على الطريق للاستجمام والطعام والصلاة والمزاح الكريم الذي يهون وعناء السفر على هذا الطريق الموحش، فما أحسوا تعباً أو نصباً حتى وصلوا إلى مقر الضيافة المعد لهم لدى وزارة التربية والتعليم السعودية، فأقاموا ثمانية أيام نافسوا خلالها في عشر مباريات، وكان الفوز من نصيب شباب قطر في سبع مباريات، والتعادل في اثنتين وهزيمة واحدة.

عادت القافلة يتقدمها القائد بسيارته إعلماً بأن الثقة في النفس أساس النجاح، وأن العزيمة تصنع ما تعجز عنه الإمكانيات.

عاد شبابنا وقد لقنهم الشيخ - رحمه الله تعالى - مع كل لحظة درساً، وأراهم في كل خطوة سلوكاً، وعلمهم خلال أيام ما قد تضيق عنه سنوات طوال.

التربية على المنهج الإسلامي

الحق أقول دون إسراف أو مبالغة، مراعيًا الله فيما أحدث به، فالله وحده يعلم أنني ما أكتب كلماتي إلا إحقاقًا لحق، ووفاءً لتاريخ ورعاية لحق الأمة، إن عناية سيدي الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري - رحمه الله تعالى - بالتربية أمر ينبع من فطرته، ويتسق مع عقيدته، ويعبر عن حبه العميق لدينه، فقد علمه الإسلام أن الإيمان تربية، فقد آمنّا بالله ربًّا، ربانا - جل شأنه على نعمة، وتولانا بفضله، وربى رسله وأنبياءه - عليهم الصلاة والسلام - تربية معصومة، لا يأبها الباطل، ولا يدركها ريب، ولا يمسه هوى، فبلغوا الرسالة، وأدوا الأمانة، وأحسنوا البلاغ، وصبروا وصابروا، وجاهدوا في الله حق جهاده، فكانوا رحمة لمن آمن، وحجة على من أدبر..

ألم يقل الله تعالى لموسى عليه السلام:

{ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٣٩) }^(١).

وفي آية أخرى يقول لموسى - عليه السلام - أيضا:

{ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١) }^(٢)

فإذا ما رفع ذكر خاتم الأنبياء - صلى الله عليه وسلم - يقول له ربه - جلا وعلا - ممتنا عليه:

{ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا (١١٣) }^(٣).

1- سورة طه الآية (٣٩).

2- سورة طه الآية (٤١).

3- سورة النساء الآية (١١٣).

وربى الرسول الأكرم - صلى الله عليه وسلم - أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، كما ربى أمته الخاتمة، فكيف يعيش إنسان في رحاب هذه الأجواء الذكية النقية الخالصة، ويقلب صفحات التربية المصفاة ولا يؤمن بأن التربية أساس من أسس هذا الدين الحنيف، وأن العمل في مجالها جهاد لإبلاغ رسالة اختار لها صفوة خلقه رسلاً، والأخذ بها إتباع لنهجهم القويم.

لقد كان الشيخ - رحمه الله تعالى - ينطلق إلى جهاده التربوي وهو على يقين أنه إنما يجاهد في الله وبالله، ويعمل لإعلاء دينه، وهو في انطلاقه يصدر عن كتاب الله - جلّ وعلا - وعن سنة المعلم المعصوم خاتم أنبياء الله عليه وعليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام وقد أكسبه هذا رفقا في غير ضعف، ورؤية في غير إهمال أو تسويف فكان واسع الصدر، بعيد النظر، سديد الرأي، حكيماً في غير غرور خبيراً بطلابه، مدركاً لما بينهم من تفاوت، مقدرًا لكل منهم علاجه مخاطباً عقله، مصافحاً وجدانه، راداً ذلك إلى ما علمه من دينه، وما عايشه في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول - رحمه الله تعالى - في حديث أدلى به إلى مجلة العهد في عددها السادس الصادر في ١٣/٨/١٩٧٤م:

إن الإسلام ليس بدين جمود، الإسلام صالح لكل زمان ومكان، وهو لا يقف أبداً حجر عثرة أمام من يريد الرقي والتقدم، والإسلام فيه كل ما يخص حياتنا.

إن الطاقات الروحية التي يمدنا بها ديننا الحنيف كفيلة بأن تحمي شبابنا وأولادنا - لو تمسكوا بها - من كل سوء. أ. هـ. (مقال معاد)
وتسجل له جريدة الشرق في عددها الصادر في ٢٣/٤/١٩٩٠م قوله:

إن الإسلام يجمع بين الفكر المثالي والواقع الإنساني في اتزان يجعل
للفكر الإسلامي طابعاً خاصاً متميزاً. أ. هـ.

أما التربية حسب مفهومه الإسلامي فهي تنمية للجسد والعقل والخلق
يقول في نفس العدد السابق:

وترجع كلمة التربية في أصلها اللغوي العربي إلى الفعل (ربا - يربو) أي
نما وزاد، ونقول: رباه بمعنى نشأه، ونمى قواه الجسدية والعقلية والخلقية.
أ. هـ.

وحين سئل عن موقفه من النظريات التربوية الحديثة أجاب في مجلة العهد
- العدد السابق - بما يوحي بتشبعه بروح الإسلام، حيث ينبغي أن تعطى
كل مرحلة من مراحل الإنسان المراد تربيته ما يناسبها.

لقد طرح عليه هذا السؤال:

للتربية في عالمنا اليوم نظريتان الأولى تقول بترك الطفل حراً يتعلم من
التجربة والخطأ.

والثانية تطالب بتوجيه وتقويم الطفل، وعدم تركه. فما رأيكم؟

فيقول: إنني في مجال التربية أؤيد هاتين النظريتين معاً، فقد وجدت من
تجاربي أن الطفل لا بد أن ينشأ، ويربى ويتعلم، ولا يترك، وهذا ينطبق على
الغلام من سن سبع إلى الخامسة عشرة من عمره، فلا بد وأن نحذره من هذا
الخطأ ونرشده إلى الأعمال الصحيحة، ونلقنه مبادئ الأخلاق والتقاليد
والعادات الاجتماعية، نعوذه العادات الحسنة الصالحة والشاعر يقول:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت

ولا تلين إذا كانت من الخشب

التوجيه والنصح والإرشاد واجب بالنسبة للغلام، ثم ما تقول به النظرية الثانية؛ وهي تركه حراً يتعلم من التجربة والخطأ فهذه قد تصلح للشباب إذا ما بلغ الثامنة عشرة، هنا يكون لديه نشاط وقوة إرادة، وهذا قد يجعله في بعض الأحيان مخالفاً لما تعودنا عليه، وتعرفنا، وإذا ما اتبعنا القوة في هذه المرحلة قد يدفعه ذلك إلى الاختلاف معنا والخروج علينا، في هذه الحالة نأخذ بلطف وحنان وشفقة، ونقدر له اندفاعه وحيويته، ونترك له - أحياناً - المجال ولو علمنا أنه سوف يخطئ - إذا كان الخطأ لا يمس دينه أو عرضه أو شرفه؛ ذلك أنه قيل: من لم يخطئ لم يصب. أهـ.

أرأيت أخي القارئ كيف صاغته التجربة، وصنعتة صلته الوثيقة بالإسلام؟

وهو مؤمن بدور الأسرة في التربية، وأثرها البالغ في إنجاح العمل التربوي، وإيمانه بهذا الدور لم يتلقه عن بشر قد يصيبون، وهم - أيضاً - لا يسلمون من الخطأ، وكثيراً ما تحكم الأهواء والأمزجة أقوال من يقال إنهم مفكرون حيث لا يصدر عن عقيدة، ولا يعتصمون بدين قويم، ولكن مرد هذا الإيمان عند الشيخ - رحمه الله تعالى - إلى عقيدته التي نشأ في أحضانها، وتربى على مبادئها وقيمها، يقول لصحيفة الشرق في عددها السابق: والتربية في الإسلام مرجعها الأول الأسرة، فتعود إلى الأب والأم لقوله - صلى الله عليه وسلم - : ((كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)).

فالأب راع في أسرته، وفي تنشئة أبنائه، والأم راعية في بيتها ومال زوجها وتنشئة أبنائها وبناتها تنشئة إسلامية تقوم على المحافظة على الأخلاق والعادات والتقاليد الإسلامية، والأب والأم يجب أن يكونا قدوة حسنة لأبنائهم، وألا يفعلوا ما ينهونهم، فلا ينهون عن المنكر ويأتونه بأي صورة، ولا يأمرهم بالمعروف ولا يفعلونه، وأن يتبعوا قول العلي القدير الذي وضع

الأسس والمناهج فيقول عز من قال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ
(٢) كِبْرًا مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) }^(١).

فهذا أمر سماوي بالأ نقول ما لا نفعل، أمر يضعه كل أب وكل أم في
تنشئة أبنائهم موضع التنفيذ، ويتخذه مجالاً للاقتداء والتأسي.

وهكذا نرى العقيدة واضحة الأثر في اتجاهات شيخنا، وقد أعده الله
بها إعداداً سليماً لمواجهة الحياة، وإن اختلفت العصور، وتباينت البيئات،
ومهما ادعى الإنسان من رقي، أو أقام من حضارة.

لقد كان الشيخ - رحمه الله تعالى - حريصاً على أن يؤكد عظمة
الإسلام وعظمة الآخذين به، المعتصمين بحبله، المهتدين بهداه فرادى
وجماعات، وأنه لا نجاة للبشرية إلا بالعودة إلى دين الله.

¹ - سورة الصف الآيتان (٢، ٣).

إدارة الشؤون الدينية والقانونية

ولقد شاء الله تعالى أن تكون النهضة التي بدأها حكام قطر - نضر الله وجوههم - عامة شاملة، تطور المدن، وتوفي القرى حقها تعطي الحضر، وتيسر لهم، وهي على سكان القرى والبدو أحرص.

إنها السياسة العادلة التي ترى أبناء الوطن سواء، على كل منهم واجب نحو وطنه، وله حقوق في هذا الوطن، والحضارة التي تهمل ضعاف الأمة، وتتناسى أعماق الوطن حضارة قاصرة؛ فالرقي الحقيقي لا يكون سمة بلد من البلاد إلا إذا ظهر أثره في ملامح سكان المناطق النائية وحياتهم، وحدثت عنه تلك البقاع التي عانت العزلة، وتحالف عليها الإهمال وسوء الحال حيناً من الدهر.

وقد قيض الله تعالى لبلدنا العزيز قطر رجالاً آلواً على أنفسهم ألا يتركوا موضعاً حتى يسبغ عليه التقدم أنواره، وألا يدعوا فرداً إلا وينال حظه مما يسر الله تعالى للوطن على أيديهم، واتجهوا بعنايتهم وكريم رعايتهم إلى القرى، فأنشئت إدارة الشؤون الدينية والقروية التابعة لوزارة المعارف عام ١٩٧٧م وعهد إلى الشيخ - رحمه الله تعالى - بإدارتها إلى جانب إدارته لمدرسة صلاح الدين، وهي مهمة صعبة ينوء بحملها العصابة أولو القوة حيث يتولى الإشراف على تنظيم العلوم الشرعية وما تتطلبه من الكتب والمناهج، ثم القرى بما تحتاج إليه من صبر ومصابرة، وجهد صادق، وعمل متواصل ودأب، وخبرة واسعة لعظم تطلعات الناس وتنوع حاجاتهم وكثرتها، وقلة صبرهم وحرصهم الشديد على تحول أحوالهم، وكانت مسؤوليته رحمه الله تعالى - تشمل قطر عامة، كما تشمل كل ما يتصل بها من تعليم، ولقرى الشمال ظروف خاصة؛ فهي كثيرة متناثرة، لا تكفي قرية واحدة لإمداد مدرسة بالعدد المناسب من التلاميذ مما يدعو إلى اختيار القرى ذات الوضع المتميز، وإقامة المدارس بها؛ لتقدم كل مدرسة خدماتها التعليمية إلى أبناء عدة قرى، وبذلك يصبح الشيخ - رحمه الله تعالى - مسئولاً عن اختيار

الموقع المناسب لكل مدرسة كما يتحمل تبعة نقل التلاميذ والمعلمين إليها، وتوفير كل الخدمات اللازمة لإتمام العملية التعليمية بها، كما يدخل في اختصاصه سائر الخدمات العامة المتعلقة بتلك القرى كالمياه، والمواصلات وقضايا الإسكان عامة كما أولته الدولة ثقة غالية فأصبح مرجعا في أمور الناس عامة مواطنين وغيرهم، فمن يرغب في التقدم للامتحان في مرحلة من مراحل التعليم - مثلا - أو يريد الالتحاق بالمدارس وليس لديه جواز تكفيه شهادة الشيخ - رحمه الله تعالى - حين يعطيه ما يفيد أهليته لذلك، ولو قدر لنا أن نراجع ملفات هذا الجيل لوجدنا ضمن أوراق ملفات أبنائه شهادة الشيخ موقعة بيده معتمدة كمستند رسمي لصاحب هذا الملف، وكذلك كان الأمر لكل من يريد الحصول على جواز قطري من الوطنيين لابد أن يحصل من الشيخ على ما يزكيه وكأن الشيخ - رحمه الله تعالى - قد أصبح موسوعة بشرية كاملة اتسعت لأنساب وشخصيات وأحوال من حوله من القطريين وغيرهم وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانة حظي بها الشيخ عند المسئولين، ومنزلة في نفوس الناس جلته مقصدهم في كل ما يعرض لهم، فكان مكتبه لا يخلو من مراجعين، وطلاب حاجات من أنحاء قطر، وكان بما أفرغ الله عليه من صبر، وما أیده به من عزم، وما آتاه من حكمة حريصا على أن يأخذ كل حقه، وينقلب إلى أهله مسرورا، ولقد كان يتحمل كثيرا من ملاحاة ذوي الحاجات ومعالهم وقد يشتد النقاش، ويخاصمونه بخشونة وغلظة، وكما هي طبيعة البشر كل يريد أن يستأثر بالخير لنفسه، ولا يعنيه أمر الآخرين، ولا تؤرقه حاجاتهم، وقد يدفع هذا بعضهم إلى اتهام الشيخ - رحمه الله تعالى - بأنه لا يريد أن يعطيهم حقوقهم، والشيخ هادئ الطبع رضي النفس تأبى الابتسامة أن تفارقه، سمح لا عن ضعف، كريم عن أصالة وفطرة يؤمن بما علم الرسول الأكرم -

صلى الله عليه وسلم - سائله: ((أوصني ولا تكثر عليّ لعلي لا أنسى قال: لا تغضب))(١) إنها دعوة الرؤوف الرحيم صلى الله عليه وسلم لكل مؤمن - وخاصة - هؤلاء الذين استودعهم الله حاجات الناس، وطباع الناس متباينة، وأقدر الحكماء من يلقى كلاً بما يسعده.

فلا يلبث هذا الملاحى حتى يثوب إلى رشده، ويفطن لاندفاعه وسوء ظنه، فيكسوه الخجل، ويقر حاله باعتذاره، فينكب على الشيخ مقبلاً رأسه، شاكراً عدله، راضياً بحكمه.

وكان الشيخ - رحمه الله تعالى - يرى راحته في التعب لإسعاد الآخرين، وبذل الجهد في متابعة حوائجهم، ولا يطمئن خاطره إلا ببلوغها، ولا يرضى حتى يرى الابتسامة تكسو وجهه من كان بالأمس محزوناً، فهو يؤمن أن تتفيس كربة مكروب، أو إقالة عاثر، أو إنصاف مظلوم، أو إدخال السرور على أهل بيت جاهد محزون من أجل الأعمال، وأفضل القربات، وجزاؤه أعظم الجزاء.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ((من نفس عن مؤمن كربة من كربات الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه))(٢).

والشيخ بما فطر عليه من حب الناس والرغبة في نفع من يعرف ومن لا يعرف، وولعه بالسعي في حاجاتهم، وسعادته بإدراكها، وفرحه بالبلوغ فيها، وحرصه على ألا يرى مكدوداً أو محزوناً، وفرعه من أن تنساب دمعة.

1- رواه مسلم.

2- رواه مسلم.

اتسع صدره لشكايات الناس، وأصغى لمقالمهم دون سآمة أو ملل ووسع لهم في مجلسه، ولم يضق بملاحقتهم له في طريقه، ولم يتأفف من غشيانهم منزله في أي وقت بل كان يبش في وجوههم، ويحسن لقاءهم، ويفرح بقدمهم فرحه بأسباب التجارة الرابحة، ويستقصي برفق أحوالهم ويطيب خاطرهم، ويسمعهم ما يطفئ أحزانهم، ويذهب غيظ قلوبهم، ويبعث الأمل في نفوسهم ويضيء الحياة من حولهم.

وقد جمع الله تعالى في الشيخ - ولا أزكيه على الله والله حسيبه ووكيله - مبشرات؛ فصباحه وجهه، وإشراقه ابتسامته، وطلاقة لسانه، وعذوبة حديثه، وقدرته على احتواء محدثه مما جعل لقاءه - مجرد لقاء - بردا وسلاما على ذوي الحاجات، ثم هو بعد ذلك فطن قوي الذاكرة، لا تتسيه الحاجات بعضها بعضا، فتجدها عنده مرتبة منسقة، سابقها مقدم على لاحقها، ينطلق إلى المسئولين حاملا أمانات الناس لعرضها، والدفاع عنها، والوصول إلى الحق فيها.

وهو لا يكل ولا يسرب إليه فتور أو ملل، فقد يسعى أياما وليالي، متحملاً المشاق، مستعدبا السهر لإيجاد حل مناسب لأمر من أمور الناس. وكثيرا ما كان يذهب بنفسه إلى ذوي الحاجات، فيطوف بالقرى يتعرف على المشكلات أيا كان لونها مادية أو تعليمية أو اجتماعية، فيسوي ما استطاع منها ويضيف إلى أماناته ما يحتاج للرفع إلى جهات أخرى، وهو لا يكتفي بذلك، بل يلح في سؤال الناس عن أحوالهم، وما إذا كانوا بحاجة إلى أي شيء، وهم لا يجدون حرجا في الطلب منه؛ حيث أطمعهم فيه ما وثقوا به من حبه لخير الناس، ولين جانبه، وسلامة فطرته.

وإذا أحس بينهم خلافا، أو توقع حدوث مثل ذلك ألقى عصاه وجمع أطراف النزاع، وقد تمكن حبه من قلوبهم، فسوى خلافاتهم وأزال ما قد يعترض الوئام من معوقات، ثم تركهم وهم على وفاق تام.

إن أمر الشيخ - رحمه الله تعالى - لعجب؛ لقد كانت الجفوة وغلظة الطبع تجعل بعض ذوي الحاجات يشتد حتى يضيق جلساء الشيخ، وما يضيق أو يعبس، وقد يحتد على الشيخ حتى يظن الداخل - ممن لا علم لهم بطبيعة الشيخ - أن الشيخ قد منعه حقا، أو أوقع به ظلما، وما هي إلا لحظات حتى تطفئ سماحة الشيخ ثورة هذا المشتط، وتذهب غضبته، ويسلم الجاني الغليظ أمره راضيا إلى من علمه الله تعالى كيف يجمع الناس بحلمه، ويملك زمامهم بصبره وكريم خلقه، وصدق الله تعالى إذ يقول لرسوله - صلى الله عليه وسلم - :

{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) }^(١).

وتلك هي صورة الإسلام الصادق التي تجمع ولا تفرق، وتصون ولا تبدد، وتثمر أعظم العلاقات بين أبناء الأمة الخاتمة ليكونوا كالبنيان يشد بعضه بعضا.

ولكن ما بال هذا الشيخ - رحمه الله تعالى - يصبر على هذا ويتحمل كل هذه المشاق، وقد أعزه الله بما آتاه، وأنزله منازل كريمة؟ لم يتحجب إلى الفقراء، ويتودد إلى البسطاء، وينفق الوقت والجهد في استرضائهم؟

لقد عاش الشيخ في رحاب الإيمان منذ نشأته الأولى حين رباه والده - رحمهما الله تعالى - على الإسلام، وغرس فيه قيمه فعرف أن الضعفاء البسطاء ابتلاء للأقوياء وذوي السلطان؛ إما أن يفوزوا بهم أو يهلكوا بإهمالهم، ولذا كان شعاره الذي يردده كثيرا (من لهؤلاء الضعفاء لو تخلينا عنهم؟)

¹ - سورة آل عمران الآية (١٥٩) .

ثم إن حاجات الناس تجارة مع الله تعالى ، وهيئات أن تبور تجارة مع العلي الأعلى.

لعله - رحمه الله تعالى - يكون ممن عناهم الحديث.

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - :

((إن لله عبادا اختصهم بحوائج الناس ، يفرع الناس إليهم في حوائجهم ، أولئك الآمنون من عذاب الله))^(١).

أو عساه كان يسرع الخطى في الحاجات تأسيا بابن عباس - رضي الله عنهما - وإتباعا للرسول الأكرم - صلى الله عليه وسلم - فيما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس ، فقال له ابن عباس يا فلان أراك مكتئبا حزينا؟ قال: نعم يا ابن عم رسول الله لفلان علي حق ولاء ، وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه. قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك ، فقال إن أحببت؟ قال: فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد. فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ قال: لا ولكني سمعت صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم ، والعهد به قريب فدمعت عيناه ، وهو يقول: (من مشى في حاجة أخيه ، وبلغ فيها كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين)^(٢).

انظر - أخي القارئ - أين أنزل الرسول الأكرم - صلى الله عليه وسلم - حاجات الناس؟

¹ - رواه الطبراني.

² - رواه الطبراني والبيهقي.

وكيف ارتفع بأقدار الساعين فيها، وقدر تلك العبادة التي يغفل عنها كثير من الناس، وإن استغرقوا في الفرائض، وغيرها من الطاعات؟

ماذا يعني أن يطرق الضعيف بابك؟

بم تعلق طمع هؤلاء البسطاء فيمن وسع الله تعالى عليهم، وزادهم بسطة في الجاه والسلطان؟

لعل الآية تجيبك:

{ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) }^(١).

أي ثواب يعده الله تعالى لمن وسعوا على الضعفاء، فبشوا في وجوههم وأفسحوا لهم صدورهم ومجالسهم، وحثوا الخطى حرصا عليهم ورغبة في التفريغ عنهم؟

أظن سيدي الوالد الشيخ - رحمه الله تعالى، والله حسيبه ولا أزكي أحدا على الله - فطن لهذا، وتلك التي لا يلقاها إلا الذين صبروا، ولا يلقاها إلا ذو حظ عظيم.

لقد كان - رحمه الله تعالى - حريصا على أن تقضى حاجات الناس عامة، وخدمات القرى خاصة في موعدها دون إهمال أو إبطاء مشغولا بمشكلات الآخرين، دائم المراجعة لما بين يديه من حاجات.

¹ - سورة العنكبوت الآيات (١، ٢، ٣).

الشيخ

والقرآن الكريم

- ذلك الكتاب لا ريب فيه.
- التحدي بالقرآن.
- الحياة في ظلال القرآن.
- جامعته الأولى قرآنية.
- صحوة قرآنية.
- اختيار المحفظين.
- سياسة رشيدة.
- المدرسة الباكستانية
- لتحفيظ القرآن الكريم
- الندوة القرآنية.
- كرامة أهل القرآن.
- طباعته للقرآن الكريم.

القرآن الكريم هو كلام الله العلي العظيم المنزل على نبيه الخاتم ورسوله الأكرم سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته، المعجز في لفظه ومحتواه، المتحدي به، المنقول إلينا بالتواتر وقد سماه الله تعالى:

(القرآن) يقول جل شأنه: { **فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ** }^(١).

و(الكتاب) يقول تعالى: { **لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ** }^(٢).

وقال عز وجل: { **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** (٢) }^(٣).

و (الفرقان) يقول الحق جل جلاله: { **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** (١) }^(٤).

و (الذكر) يقول عز وجل: { **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** (٩) }^(٥).

إلى غير ذلك من الأسماء التي ميزه الله تعالى بها يقول الأستاذ الدكتور محمد عبد الله دراز غفر الله تعالى له: ((روعي في تسميته (قرآناً) كونه متلواً بالألسن، كما روعي في تسميته (كتاباً) كونه مدوناً بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه وفي تسميته بهذين الاسمين إشارة إلى أن حقه العناية بحفظه في موضعين، لا في موضع واحد، أعني أن حفظه في الصدور والسطور جميعاً، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى.

¹ - المزمل (٢٠) .

² - الأنبياء مفتتح السورة .

³ - البقرة (٢) .

⁴ - الفرقان مفتتح السورة .

⁵ - الحجر (٩) .

فلا ثقة لنا بحفظ حافظ حتى يوافق الرسم المجتمع عليه من الأصحاب المنقول إلينا جيلاً بعد جيل على هيئته التي وضع عليها أول مرة.

ولا ثقة لنا بكتابة كاتب حتى يوافق ما هو عليه من الحفاظ بالإسناد الصحيح المتواتر.

وبهذه العناية المزدوجة التي بعثها الله في نفوس الأمة المحمدية إقتداءً بنبيها محمد - صلى الله عليه وسلم - بقي القرآن محفوظاً على حرز حريز. إنجازاً لوعده الله تعالى الذي تكفل بحفظه.

حيث يقول: { **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** (٩) }^(١).

((ولم يصبه ما أصاب غيره من الكتب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند))^(٢).

وناهيك عن تلك الصفات التي وصفه بها منزله وهي كثيرة ضمنها كتابه، وعلمها رسوله صلى الله عليه وسلم منها:

أن القرآن (نور) يقول الحق عز وجل: { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا** (١٧٤) }^(٣).

وأنه (مجيد) يقول جل جلاله:

{ **ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ** (١) }^(٤).

وأنه مبارك يقول الله تعالى: { **وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ** }^(٥).

وأنه (هدى وبشرى) يقول العلي العظيم:

¹ - الحجر (٩) .

² - النبأ العظيم (دار القلم الكويت) .

³ - النساء (١٧٤) .

⁴ - مفتح سورة ق .

⁵ - الأنعام (٩٢) .

{ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) }^(١).

إلى غير ذلك من الصفات التي وصف بها قرآنه وعرفنا بها كتابه، والتي يضيق الوصف عن حصرها.

القرآن هو المنطلق الحق لهذه الأمة إلى كل خير، وسبيلها إلى كل رفعة، وطريقها إلى الفلاح دينا ودنيا.

هو الحق الذي لا تؤثر فيه العواصف، ولا تتال منه الأحقاد.

هو الكتاب العربي الذي أنزله الله بعلمه، وشرفنا نحن به حيث نزل بلغة العرب، ففاقت به، وسبقت باحتوائه.

قال جل جلاله:

{ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) }^(٢).

وقال جل شأنه:

{ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) }^(٣).

سعادتنا معشر المسلمين تتوقف عليه، وبمقدار اعتصامنا به يكون مداد الله تعالى لنا، وعطاؤه إيانا في ديننا ودنيانا.

فلا سبيل لرشادنا وفلاحنا - أفراداً وجماعات - إلا به.

قال جل شأنه:

¹ - البقرة (٩٧).

² - الشعراء (١٩٢ : ١٩٥).

³ - فصلت (٤٢).

{ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا }^(١).

القرآن الكريم جامع لحاجات البشر منذ نزوله على سيد الخلق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فيه للبشرية أنجح الحلول لقضاياها ومشكلاتها في كل دروب الحياة.
قال عز من قائل:

{ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ }^(٢).

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

((من أراد علم الأولين والآخرين فليقل بالقرآن))

فنفعه عام، وعطاؤه شامل، وهداه دائم.

روي عن علي رضي الله عنه مرفوعاً:

((كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن طلب الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين والذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشعب منه العلماء ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: ((إنا سمعنا قرآنا عجبا، من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم))^(٣).

¹ - آل عمران (١٠٣).

² - النحل (٨٩).

³ - الجامع لأحكام القرآن (فضائل القرآن).

فهنئناً لمن لازم جواره، وأخذ به، ورد إليه أمورہ وسلم لكل ما فيه تسليماً.

التحدي بالقرآن

إن هذا الكتاب الخاتم لهو المعجزة الكبرى الخالدة الباقية ما بقيت السموات والأرض، لقد أتى بالتحدي الذي أخرس الفصحاء، وأسكت أبناء العربية، وأرباب البلاغة، وعمالقة البيان.

لقد أتى بكلمات وعبارات من نفس حروفهم، ولكن أنى لهم بها؟

أنى لهم أن يحاكو أقل القليل من بلاغته، وأيسر اليسير من بالغ حجته؟

لقد كان التحدي الذي واجههم الله تعالى به ودعاهم إليه له مراحل أكادت العجز، وأثبتت الضعف وألزمت المعاندين للقرآن الصمت.

تلك اللغة لغتكم، فيها نشأتكم، وعليها كان مرباكم، وبها نزل ذلك الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فأتوا بمثله، وهيهات أن يأتوا، وإن اجتمعت الإنس والجن.

قال جل شأنه:

{ قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً (٨٨) }^(١).

وقد حكم الله تعالى عليهم بالعجز مسبقاً، وظل هذا التحدي خالداً باقياً.

انتقل التحدي إلى صورة أهون وأخف ودُعوا إلى ما هو أخف وقعاً.

يقول العلي الأعلى:

¹ - الإسراء (٨٨).

{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِلَهِم يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٤) }^(١).

ثم انظر على تدرج القرآن في التحدي، والوصول إلى أقل ما يظن قطعاً للألسنة، وإنهاء لجدل المبطلين.

يقول الله تعالى:

{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) }^(٢).

وتكرر التحدي، وتؤكد العجز

قال تعالى: { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) }^(٣).

وصدق الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم وخسر هنالك المبطلون.

وبقي النداء قائماً خالداً لكل زمان ومكان، ولكل أمة وشعب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال تعالى:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧٠) }^(٤).

¹ - هود (١٣ - ١٤).

² - يونس (٣٨).

³ - البقرة (٢٣).

⁴ - النساء (١٧٠).

وتتوالى القرون، وتتعاقب الأجيال، ويقوى المسلمون تارة ويسودون، ويملئون الدنيا بعدلهم، وينشرون في الناس حضارتهم هدى ونوراً وبناءً سليماً للإنسان والشعوب من منطلقات إيمانية مبعثها الوحي قرآنه الكريم وسنته الشريفة، فترى صورة الإسلام في كل مسلم، علمه وفكره، وعطائه ومنعه، ورضاه وغضبه، وسلمه وجهاده، وغير ذلك، كلها أمور تحكمها عقيدته، ويحركها إيمانه، ويمضي بها إسلام الوجه لله رب العالمين.

وقد يهون المسلمون - تارة أخرى - وتلفهم الدنيا بثياب معتمة تحجب فيهم البصيرة، وتشوه منهم الفكر، وتميت فيهم الطموح وتنزلهم مؤخرة الصفوف، لا حول لهم، ولا قوة، لا يؤخذ بما يقولون، ولا يرجع إليهم في أمر.

والقرآن العظيم - مع كل الأحوال - حق لا ريب فيه، وهدى لا ضلال معه، ونور لا تطفئه الأحقاد، وذكر لمبلغه - صلى الله عليه وسلم - ولأمته الوسط الخاتمة، ولو كره المشركون.

يقول العلي الأعلى:

{ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ
وَسَوْفَ تَسْأَلُونَ (٤٤) }^(١).

تختلف معطيات الحضارة، وتتفاوت - غاية التفاوت - درجات الرقي، ويتضاعف حظ الإنسان من العلم، ويغزو ما يغزو من حقائق الكون وعجائبه، ويغوص ما قدر له الغوص في أعماق نفسه، ودقائق تكوينه هو، والقرآن أكبر وأعظم لا يبلغون منه مجتمعين إلا ما يحمل المخيط إذا أدخل البحر.

يقول الحق جل جلاله:

¹ - الزخرف (٤٣، ٤٤).

{ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ
كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) }^(١).

إنه الداعي الذي يلزم من خاصمه الحجة، ويطبق عليه الدليل بعد الدليل،
ويمد أهله بالبرهان تلو البرهان، لا يفتر عطاؤه، ولا يتوقف فيضه، ولا يوهنه
عناد، بل يلوي عنق مَنْ حادَّ الله ورسوله.

¹ - لقمان (٢٧).

الحياة في ظلال القرآن

الذين تَرَبَّوْا على مائدة القرآن الكريم، فذاقوا حلاوته، واستشعروا جماله، وألفوا صحبته، واستطابوا عشرته، وصافح الذكر الحكيم آذانهم صباحاً ومساءً، فأنسوا به، واطمأنت بأعلى الذكر وأسناه قلوبهم قال جل شأنه:

{ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) }^(١).

ردوا إليه أمورهم، وحكموه فيما شجر بينهم، فَرَضُوا بِفِصْلِهِ، وَسَلَّمُوا لِحُكْمِهِ، فَفِيهِ لِكُلِّ أَدْوَانِهِمْ شِفَاءٌ، وَلِجَمِيعِ مَعْضَلَاتِهِمْ هُدًى يَقُولُ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٥٨) }^(٢).

أورثهم الله محبته، واصطفاهم لحفظه وتلاوته، قلوبهم بآيه مطمئنة، وبصائرهم بما أوتوا مستتيرة، لا يرون في حياتهم وحشة، لأن القرآن أنيسهم، ولا يشكون - وإن خلوا - عزلة، لأنه جليسهم.

أليس هو كما قال منزله سبحانه وتعالى:

{ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) }^(٣).

وكما قال جل شأنه:

¹ - الرعد (٥٧، ٥٨).

² - يونس (٥٧، ٥٨).

³ - البقرة (٢).

{ كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩) }^(١).

هم كما قال الله تعالى عنهم:

{ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا }^(٢).

إذا قرئ تأدبوا بأعلى ما ينبغي من أدب، فاستمعوا وأنصتوا واستقبلت أنواره قلوبهم، وتعلق بالله رجاءهم، فخصهم بفضله ووسعته رحمتهم.

{ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤) }^(٣). وإذا رتلوا

مهروا، فكانوا ملائكة أطهاراً أبراراً، وإن عايشوا البشر وكانوا معهم.

عن عائشة - رضي الله عنها قالت - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ((الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعت فيه وهو عليه شاق له أجران))^(٤).

وإذا تدارسوا باؤوا بنعمة من الله وفضل.

أي فضل كذاك الذي يجلوه لنا الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم -
- فيما روى أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -
- قال: ((وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده))^(٥).

¹ - ص (٢٩).

² - الأنفال (٢).

³ - الأعراف: (٢٠٤).

⁴ - رواه مسلم.

⁵ - رواه مسلم من حديث طويل.

وكفاهم من الله تعالى شرفاً وفضلاً، ومنةً من الله وسبقاً أن ينزل الله عليهم سكينته، فيكونوا على طريق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أول من حُصَّ بذلك، وشرف به، وذوو الفضل من المؤمنين تبع له.

{ **ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ** }^(١).

وأي فوز كهؤلاء الذين تغشاهم الرحمة، وتحفهم الملائكة تكريماً لهم، وتعظيماً لشأنهم وما اشتغلوا به، وشهادة بما هم عليه من هدى وما ألزمهم الله من تقوى، وما أفاض عليهم من كرامة؟

ثم تعالوا إلى ما ميزوا به، ألا وهو ذكر العلي الأعلى لهم عنده تحقيقاً لوعده: { **وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ** }^(٢).

وتشريفاً لذاكريه وهو القائل جل جلاله:

{ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ** }^(٣) (١٥٢)

وقد قيل:

وأكثر ذكره في الأرض دوماً لتذكر في السماء إذا ذكرت

وقيل أيضاً:

وساعة الذكر ثروة وغنى وساعة اللهو إفلاس وفاقات

وأسنى الذكر، وأرفعه، وأعلاه وأشرفه القرآن الكريم، كلام من ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير، وصفة من ليس له شبيهه، ولا ند، تبارك الله وتعالى علواً كبيراً.

1- التوبة: (٢٦).

2- التوبة: (١١١).

3- البقرة: (١٥٢).

وهو النور الذي لا ظلّمة بعده، والشفاء الذي لا علة فوقه، والهدى الذي لا ضلال لمن اعتصم به.

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) }^(١).

هو العصمة من الفتن، والمخرج من كل ضائقة يقول سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم فيما روي عن علي - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ستكون فتن كقطع الليل المظلم. فقلت يا رسول الله وما المخرج منها. قال: ((كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم هو الفصل، ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشعب منه العلماء ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا من علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم))^(٢).

الله الله فيمن نشأوا في ظلاله، ودرجوا في رحابه، وشبوا مع آياته، فالحياة في ظلال القرآن نعمة، نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها، نعمة ترفع العمر، وتباركه، وتزكيه، نعمة ترقى بالعبد، وتير له في الحياة مسالكه، تصفو بها نفسه، ويرقى بها حسه وتشرق بها سيرته، وتزكو بها علانيته.

¹ - النساء: (١٧٤).

² - القرطبي: (باب ذكر جمل من فضائل القرآن) وقد ورد هذا الحديث في صحيح الترمذي (ح ٢ ص ١٤٩ بولاق) مع اختلاف في بعض كلماته، وزيادة ونقص.

وكما يقول الشهيد صاحب الظلال غفر الله له:

((لقد عشت أسمع الله تعالى يتحدث إليّ بالقرآن))...

أنا العبد القليل الصغير أي تكريم للإنسان مثل هذا التكريم العلوي
الجليل؟

أي رفعة للعمر يرفعها هذا التنزيل؟

أي مقام كريم يتفضل به على الإنسان خالقه الكريم؟ أهـ ١.

وكأنني بالإمام الشهيد يحدث عن نفسه خاصة، وعن اصطفاهم الله
تعالى من عباده - عامة - لكتابه، ويسره لهم، وزينه في قلوبهم، فكانوا
أهلاً لما اختصهم به من شرف، وما حاطهم به من كرامة.

قال الحكيم الخبير:

{ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ
وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) }^(٢).

ماذا يتوقع من رجل أنبته الله نباتاً حسناً، فلم يكد يفتح عينه على
الوجود، وتستقبل أذناه أصداً ما حوله حتى رأى القرآن الكريم، فامتلات
عينه بنور حروفه وكلماته في سن مبكرة لم يكن فيها قد درس اللغة
العربية، وأجاد كتابتها وتمرس على أساليبها.

لقد سمعه مرتلاً متعبداً به آناً الليل وأطراف النهار من أب بر كريم،
شغل بالقرآن فجعله أنيسه وسميره إذا خلا، فتجاوبت أحاسيس الفتى
ومشاعره مع تلك الأصداً.

¹ - في ظلال القرآن (المقدمة).

² - فاطر (٣٢).

ورأى في نشأته الأولى قداسة ذلك الكتاب، وعظمته من خلال تعاملات والده مع الكتاب العزيز، وأخذه به، وجمعه الناس عليه، يثلج به صدورهم، ويملك به قلوبهم، فكانوا يلتفون حوله في حرص، وقد تنزهوا عن الأهواء، وترفعوا عن النفاق، لأن جامعهم الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ورائدهم الرغبة الصادقة في الاستفادة الصادقة من علم الشيخ وفقهه، والاستتارة برأيه فيما يعرض لهم من أمور وهكذا قدر للفتى أن يلمس القرآن في كل ما حوله، فأحبه، وتعلق به، وتوثقت الصلة بينه وبين كتاب الله تعالى حين أجلسه أبوه بين يديه يلقيه آياته، ويطوع لسانه لإجادة تلاوته، ويحفظه، ويتابعه متابعة جادة، وكان لرعاية الله، وحسن معاونته أثر واضح في استجابة هذا الدارس فذاق حلاوة القرآن، وأشرب حبه، وأشرق به كيانه، فأقبل عليه في رغبة، وردد آيه في شوق ولهفة، والأب لا ينفك يسمع، ويدقق بل زوده بما يعينه على حسن التلاوة، وجودة الأداء، ويساعده على الفهم والتدبر.

هذا الجو القرآني الذي عاشه الفتى سلوكا وعملا، وتلاوة وسماعا، ومدارسة واحتكاما كان واضحا الأثر في توجهاته.

ماذا ينتظر من رجل امتزجت بالقرآن - منذ طفولته المبكرة - مشاعره، وذابت فيه أحاسيسه، وألفه لسانه، واستنار به فكره، واستقامت عليه فطرته، واتسع له صدره، وفاح بشذى ترتيله وقته؟

لقد رآه عملا وسلوكا في أبيه - ولا أزكي على الله أحدا - واتخذه صاحبه في مصحفه الذي لا يكاد يفارقه، وآياته التي تتساب من فيه هدى ونورا.

ألا يكون بعد ذلك شغوفًا بخدمته، مولعا بنشره؟

لقد كان وهو طالب بالإحساء ينطلق إلى القرى مذكراً وواعظاً، ومعلماً القرآن.

وفي مكة المكرمة يتعلم من شيوخه، ويعلم من دونه.

وحين نزل (دارين) أيمن أن يؤمهم، ويحط بهم، ويعلم أبناءهم في المدرسة، والمسجد، وفي بيته دون أن يخدم الكتاب الحكيم، ويرغب فيه، ويجمع الصغار والكبار على مائدته؟ أينظر في خصوماتهم، ويستبين الحق فيها، ويقضي بلا مرد قرآني؟

أيدعى إلى القطيف ليكون مساعداً لقضاياها، الشيخ/ عبد اللطيف بن عبد الله العبد اللطيف، وينظر في القضايا، ويفصل فيها، ليحق الحق، ويبطل الباطل، ولا يكون القرآن منطلقه ومحركه؟ إنه داع إلى الله، وقوام الدعوة القرآن الكريم.

إنه معلم للعلوم الشرعية، والعربية والقرآن الكريم أساسها.

إنه مرب.. وكيف تكون التربية السليمة بلا قرآن؟

إذاً الشيخ عبد الله ولد للقرآن، ونشأ فيه، وتربى عليه، وشب في رحابه، وقد قالوا: من شب على شيء شاب عليه، ومن شاب على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه.

فعبد الله - ولا أزكي على الله أحداً - شب على القرآن، وشاء الله أن يشيب عليه، ومات - كما سأذكر في طبع المصحف - مشغولاً به، وإني لأسأل الله تعالى أن يبعث عليه.

يقول عنه عارفوه:

كان يملأ أي فراغ بقراءة القرآن، في البيت، في المجلس، في السيارة، في الطريق.

كما عرف ذلك عنه أبناؤه، وأهله، ومعاشره، وحين يستقر به المقام في وطنه، ويخالط أهله، ويمكن الله له، ويتحمل ما قدر عليه من أعباء، ويهيئ الله تعالى له أسباب العمل الحبيب إلى نفسه، ويفتح له القلوب والعقول، ويجمع الناس من حوله، وينزله منزلا كريما، ويبارك جهده ووقته، بل كان من كبريات نعم الله تعالى عليه وعلى هذا البلد الطيب، وأهله الأكارم أن من الله عليهم برجال تولوا أمرهم، وطأهم الله للعلم، وشرفهم بخدمة القرآن الكريم، وزين ذلك العمل في قلوبهم، فأقاموا أنفسهم على العناية بكتاب الله، وتيسير العلم لطالبيه، وأهل هذا البلد طيبون بفطرتهم، يعشقون الخير، ويطيرون إلى المعروف باذلين بسخاء في سبيله لا يخشون من ذي العرش إقلالا، فكان وجوه القوم وأعيانهم خير عون، وأكرم نصير فما على الشيخ عبد الله الأنصاري إلا أن يتوكل على الله تعالى ويخرج ما عنده معتصما بقوله تعالى:

{ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا }^(١)

¹ - سورة إبراهيم (١٢).

صحة قرآنية

المشغول بالعظائم لا يهدأ له بال، ولا يقر له خاطر، ولا ترضى له نفس حتى يرى الحلم واقعا، والأمل حقيقة، ويشهد تباشير النجاح، فينعم بثمر جهده، وظل غرسه، فليطمئن قلبه، وتسكن نفسه، وتقر عينه، ويذكر بالحمد والثناء، والشكر والإجلال من هياً له الأسباب، وسير إليه المسببات، لتدوم النعمة، وتثبت الزيادة، وبمقدار عظمة الشاغل يكون ذهاب المشغول فيه، وشغله عما حوله.

فما ظنكم بمشغول بالقرآن الكريم؟

جامعته الأولى في نشأته، ورفيقه في حياته كلها.

لقد منّ الله عليه بوالده، فلم لا يكون هو والدا للصغار جميعا يعطيهم ما أعطاه أبوه – رحمهما الله تعالى – وييسر لهم من الأسباب ما هياً الله تعالى له حتى يرى المصحف الشريف في يد كل فتى وفتاة، وتتطلق أصوات صافية صفاء الفطرة تردد آي الله في كل بيت، وتيربها كل طريق، وتعمربها كل مسجد؟

لم لا يأخذ بيد ناشئة المسلمين من أبناء قطر والمقيمين فيها على طريق الله، فيجمل الله بالقرآن ظاهرهم، ويزكي به باطنهم؟

لم لا يجعل – بما هياً الله تعالى له من أسباب – أجواء ذلك البلد السمع عطرة بالقرآن، ينبثق نوره في كل شبر من أرضه، ويسمع صداه في كل فج؟

لم لا يجمع أبناء المسلمين في قطر الخير على مائدة القرآن الكريم كما أمتعه الله بها بين يدي أبيه؟

المساجد مفتحة بفضل الله تعالى، والمدارس طوع إرادته، خاصة في إجازة الصيف، وأهل القرآن ومعلموه فيهم خير ووفرة، وأولوا الأمر حريصون على أن تتصل بالقرآن أسبابهم، وتضاف جهودهم في خدمته إلى صفحات حسناتهم، ومحبو الخير لا ينفكون يبحثون عن وجوه طيبة للإنفاق، وأي باب أعظم من رعاية كتاب الله العزيز الحكيم؟

حدثني أحد مخالطيه^(١) أن أحد أثرياء دولة إسلامية زار قطر، ولديه رغبة صادقة في خدمة القرآن والمساهمة في تحفيظه من مال الله الذي عنده، وأتى الشيخ، وحدثه، وأعلمه أنه قد تم له ذلك في دولة شقيقة من دول الخليج، وما كان على الشيخ إلا أن يحمل الأمانة، ويبلغ الرسالة إلى أولي الأمر فعرضها على سمو الأمير - آنذاك - الشيخ خليفة بن خليفة آل ثاني - حفظه الله - فأجاب سموه الشيخ عبد الله أن قطر - بفضل الله - قادرة على رعاية مشروعاتها التقدمية ماديا ومعنويا - خاصة فيما يتعلق بالقرآن الكريم - وعلى الزائر الكريم التوجه بخدماته إلى بلد آخر.

كان هذا إيذانا كريما بامتداد الصحوة القرآنية بالأرض الطيبة قطر لتتطلق آيات الله تعالى من كل موقع، وفي كل حين، وعلى السنة الصغار والكبار.

وانتشرت مراكز التحفيظ تعمر بيوت الله، تعمرها بنور الذكر الحكيم الذي ختم الله تعالى به كتبه وأنزله على صفوة خلقه سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - هدى، ونورا.

قال الله جل جلاله:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ

¹ - الأستاذ/ عبد المعين عباره.

مُسْتَقِيمًا (١٧٥) ^(١) . وتعطر أجواء المدارس مساءً، حيث يتدارس القرآن الكريم طلابها أو طالباتها، ومدارس التحفيظ الصباحية لمن لا يرتبطون بدوام صباحي في مدرسة أو غيرها، أضف إلى ذلك من يحفظون في بيوتهم، ثم يتقدمون للامتحان.

وكان هذا الفتح القرآني - في بلد أحب القرآن وكرم أهله - منذ عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.

أقيمت مراكز التحفيظ لتغطي الدوحة العاصمة في جميع أرجائها ولتخدم جميع المدن والقرى، وحددت أماكنها مراعى فيها الحرص على راحة الدارسين، والمحافظة عليهم لصغر سنهم غالباً، وحاجتهم الشديدة إلى الرعاية، بل كانت الحافلات تنقل أكثرهم.

فتحيا القلوب، ويزداد الذين اهتدوا هدى وتبصر الأمة طريق فلاحها، وسبيل سبقها وعزها، وتعتصم بالحق الذي بعث الله تعالى به الحق محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - وجعل به فوزها، وفيه سعادتها يقول العلي الأعلى:

{ طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى (٣) تَنْزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَا (٤) الرَّحْمَنِ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) } ^(٢) .

¹ - النساء: (١٧٤ - ١٧٥) .

² - طه من (١ : ٥) .

اختيار المحفظين

إن اختيار المحفظين من توكل إليه هذه المهمة أمر يحتاج إلى تدقيق ومراجعة، حيث ينبغي أن يتوفر فيه العلم ليكون أهلاً للأداء، ثم القدوة لتكتمل الرسالة، فيأخذ عنه الدارسون السلوك والعمل قبل الحفظ والتحصيل.

وقد كان الشيخ - رحمه الله تعالى - أشد حرصاً على ذلك يختبر المتقدم، ويعقد له لقاء يمكن التعرف من خلاله على الكفاءة العلمية، والتأكد من سلامة القدوة حتى تكتمل التربية، ثم يتابع من خلال من توكل إليه المتابعة، وبنفسه، لإيمانه أن البناء القرآني بناء متكامل يشد بعضه بعضاً، خلقاً والتزاماً مع الحفظ والمدارس.

كان الشيخ - رحمه الله تعالى - يجمع محفظي القرآن مع بدء كل عام لرسم الخطوط الأساسية للعمل، وقد يجمعهم في وسطه للوقوف على ما وصلوا إليه، والتدريب وتبادل الخبرات.

وذات مرة رأى بين المحفظين حليق اللحية، فلم يتعرض أثناء الحديث لوضع هذا المحفظ لا بالتصريح، ولا بالتلميح حتى انفض الاجتماع، وانفرد الشيخ به في ناحية، وأسر إليه بحديث لم يسمعه غيره رعاية لمشاعره، وصونا له من الإحراج بين زملائه، فقال له:

ربما كانت بوجهك حساسية تمنع من إعفاء اللحية؟

فأجابه المحفظ: لا.

قال: فما يدعوك لهجر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قالها بابتسامة.

فأجابه الأخ المحفظ: هو تقصير يا فضيلة الشيخ.

ولم يعقب الشيخ ولا بكلمة واحدة.

ووجدت تلك النصيحة الهادئة الحكيمة كل الاستجابة من المنصوح،
وأعفى لحيته.

وهكذا كان يجعل اللقاء مرآة يرى فيها كل عضو، ويعرف في رفق
وحكمة ما فرط منه، فيعمل على إصلاحه، وما غاب عنه، فيحرص على
استعادته.

يقول فضيلة الشيخ عبد المعز عبد الستار عافاه الله ونفع به:

((لقد كان - أي الشيخ عبد الله الأنصاري - أول من عني بإنشاء
مراكز لتحفيظ القرآن الكريم في قطر، في المدارس، والمساجد للبنين
والبنات في الإجازات وأثناء العام الدراسي، فكان لها أطيّب الأثر في إشاعة
حفظ القرآن، والإقبال عليه، ونفع الله به الأمة^(١))).

واشتهرت قطر بذلك، وعرفت به، وصارت مراكزها القرآنية حديث
المنتديات الإسلامية في دول الخليج خاصة، والدول الإسلامية عامة، وصار
تحفيظ النساء القرآن الكريم شغل الأسر القطرية والمقيمة، بل التحق
كثير من الآباء والأمهات بمراكز لتحفيظ الكبار، وتنافسوا في ذلك حتى
صار من الرجال والنساء حفظة لكتاب الله تعالى، بل محفظين ومحفظات.

وإنك لتعجب لقدّر الله فيمن عادوا إلى أوطانهم من المقيمين ومعهم ثروة
خالدة تقرّ به عيونهم، وترضى به نفوسهم في الدنيا والآخرة، ألا وهو القرآن
الكريم.

¹ - في حديثه (الشيخ عبد الله الأنصاري) كما عرفته، كما أشار إلى ذلك الشيخ محمد المجذوب في كتابه (علماء
ومفكرون عرفتهم).

سياسة رشيدة

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يوما لمن حوله: رأيتم إذا استعملت عليكم خيرا من أعلم، ثم أمرته بالعدل، أكنت قضيت ما علي؟ قالوا نعم.

قال: لا، حتى أنظر في عمله أعمل بما أمرته به أم لا؟

سياسة رشيدة منطلقها الوحي الذي جاء به النبي الخاتم - صلى الله عليه وسلم - يلتزمها عمر منهجا وطريقا، يبصر به كل مسؤل، ويذكر به كل من ولي أمرا من أمور المسلمين.

إن حسن الاختيار واستشارة أولي الرأي لا يغنيان القائم على الأمر شيئا إذا وقف بين يدي ربه مسؤلا عما ولي من أعمال، ببل لا بد من تنظيم ومتابعة ليميز من أحسن، ويقوم من أساء، ويزن بميزان الحق من يعطي، وينظر ثمرة الجهد.

ومدرسة الإسلام واحدة لا اختلاف فيها مهما تطاولت العصور، وتباينت البيئات، وتباعدت الأعمال.

لقد انتشرت مئات المراكز لتحفيظ القرآن في قطر، وتنافس فيها آلاف الدارسين والدارسات العام كله، ثم في إجازة الصيف بصورة خاصة حيث ترى قطر صيفا قل أن تشهده غيرها من البلدان، فقد استبدل كثير من الفتيان والفتيات الجد بالهزل، والقرآن الكريم باللعب واللهو {وفي ذلك **فليتنافس المتنافسون** (٢٦)}^(١) حيث يفوح عبير القرآن في أجواء قطر، وتهز أصدائه جوانبها شكرا لله، وثناء عليه.

¹ - سورة المطففين (٢٦).

لقد قسم الشيخ عبد الله - رحمه الله تعالى - قطر إلى مناطق، تجمع كل منطقة عددا من المراكز، وفي كل مركز محفظوه، ولكل منطقة مشرفوها المتابعون للعمل فيها، ثم هو بعد ذلك مشرف عام، لا يميل، ولا يفتر، يتابع أقصى المراكز كما يباشر أدناها، وهو في زيارته حكيم، ينصح، ويوجه، ويكرم ويعاتب، يحفز الهمم، ويشحذ العزائم، ويذكر بالله الذي اجتمعت هذه الجموع لمدارسة كلامه، وإذا كان حظ الذين يلتقون لتلاوة القرآن الكريم ومدارسته ما أشار إليه الحديث النبوي الشريف.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده))(١).

فكيف تكون بلد ازدانت جوانبها بمئات المجالس القرآنية وتعالى في سمائها آلاف الأصوات للمرتلين والمرتلات؟

وهو رحمه الله تعالى - رغم متابعته الدقيقة، واستقصائه لأحوال المزورين ووقوفه على كثير من دقائق الأمور كانت زيارته محببة إلى الكبار والصغار، فقد تعود إظهار الحسن، والإشادة بالجهود الطيبة النشطة تكريما للمحسن، ودعوة إلى التأسى به، أما حين ينصح لخلل أو تقصير فهو يؤثر الأسرار موجها - في تواضع - إلى ما ينبغي أن يكون صيانة لماء الوجه، وحرصا على كرامة العاملين معه.

وإني لأراه - غفر الله تعالى له - متمثلاً الآية الكريمة:

¹ - رواه مسلم.

{ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠) }^(١).

وقد حاول جاهدا أن يسعد المعلم والدارس، وأن يوسع عليهما ما استطاع إلى ذلك سبيلا حتى ليقول المحفظين: لقد بلغ معاشنا من تحفيظ القرآن مع الشيخ عبد الله (١٧٥٠) ألف وسبعمائة وخمسين ريالاً.

أما الدارسون فكانت حوافزهم متفاوتة بمقدار ما يحفظون فقد تكون أربعمائة ريال أو أكثر، بل بلغت حوافز بعض الطلاب (٨٥٠) ثمانمائة وخمسين ريالاً في الشهر.

قل بالله عليك: ألا يمكن أن تعيش أسرة من معاش ابنين أو ثلاث منتظمين في مراكز التحفيظ، فيجمع الله تعالى لها خيري الدنيا والآخرة؟

ألسنا بشرا تطربنا النعمة، ويرضينا العطاء؟

ألم يحبب الإيمان إلينا الدنيا ما دامت في خدمة الدين؟

ألا يمكن أن تتحول هي ذاتها إلى دين بالنية الطيبة؟

يالها من نعمة!!

أبناء يحفظون القرآن الكريم، وورزق يسوقه الله - جل شأنه - إلى تلك الأسر!!

وما وقف الأمر عند هذا الحد، بل كانت مكافأة من يتم الله عليه النعمة، ويكمل حفظ القرآن الكريم أربعة عشر ألف ريال، وناهيك عن تكريم محفظه.

وكان تطوافه على المراكز خيرا يرتجى، وورزقا يرتقب، وحديثا يتناقل بعد.

¹ - سورة الرحمن (٦٠) .

كان يمر على مراكز التحفيظ وفي معيته المسئول المالي والإداري والموجه الفني، والقافلة مزودة بأصناف من الهدايا القيمة كان يسأل أبناء الدارسين، ويستمع إليهم، ويسر بتلاوتهم، ويثني على الحافظين، ويكرمهم، فهناك الساعات (رولكس، ورادو) وغيرها، والمنبهات، والمسجلات، والأقلام المطبوع عليها عبارة: (هدية إلى حفاظ القرآن الكريم) ، وغير ذلك من الهدايا التي بلغت قيمتها في إحدى الدفعات تسعة عشر ألف ريال، وبذلك يتحول المركز إلى حلبة سباق، كل دارس يجتهد، ويواصل الحفظ، وينافس زملاءه، حتى يعود إلى أهله ومعه خير هديه.

يقول الشيخ محمد فتح الله (موجه العلوم الشرعية بوزارة التربية والتعليم): لقد كان لحفاظ القرآن الكريم ومحفظيه حظ كبير، وورق كريم بوجود الشيخ عبد الله الأنصاري - رحمه الله تعالى - فمن بداية العام الدراسي بالوزارة يبدأ تحديد مراكز التحفيظ بالمساجد والمدارس للبنين والبنات، ويبدأ مع ذلك اختيار محفظي وموجهي القرآن الكريم، ومنذ البداية تكون المتابعة اليقظة من الشيخ نفسه بزيارة المراكز، وإثابة المجيد، ومعاتبة المقصر، وكان المدرسون يكافئون بما يكفي لحفز همهم، والطلاب يأخذون رواتب مجزية تتدرج حسب القدر المحفوظ، وقد بلغ القدر المعطى للطالب ثمانمائة ريال في بعض الأحيان، مما أوجد الباعث القوي على حفظ كتاب الله - تبارك وتعالى - فالمرাকز كثيرة، وأعداد الطلاب بها غزيرة، والمكافآت مجزية، والعاملون ينفث فيهم الشيخ من روح صدقه، وعمق إخلاصه أهد.

وهكذا استطاع الشيخ - رحمه الله تعالى - بفضيلة المؤمن أن يدفع الكبار والصغار والرجال والنساء دفعا إلى خيري الدنيا والآخرة، وأن يعينهم على تصحيح مسارهم ليكون للعقيدة الحظ الأوفى من سعيهم، وليستقر في وجدانهم قول الحق جل وعلا:

{والآخرة خير وأبقى (١٧)}

فمن جاء قطر طالبا الدنيا فليأخذ معها – فضلا من الله ورحمة – ما هو خير وأبقى.

ومن عاش من أبنائها يتقلب في نعم فليعلم أن العقيدة كبرى النعم، وأن الآخرة خير وأبقى.

المدرسة الباكستانية لتحفيظ القرآن الكريم

إن الذين فطروا على الخير، وألفوا التعاون على البر والتقوى، وأخذوا أنفسهم بالصدق مع الله تعالى لا يرون أولي همم في الله عالية إلا وتراهم يسرعون إليهم، يثبتون الخطأ، ويشحذون العزائم، ويشدون على أيدي الساعين إلى الله تعالى لعله - جل شأنه - يجعل لهم من الأجر مثل ما يعطي هؤلاء الصابرين المصابرين.

لقد شرح الله تعالى صدور أعضاء الجالية الباكستانية بالإيمان، وغمر قلوبهم بحب كتابه العزيز، فرأوا أن الإيمان يوجب عليهم أن يفتنوا البراعم الناشئة به، وأن يملأوا بنوره قلوبهم، وأن يجلوا بهداه تلك البصائر الطيبة، ويفتحوا على سنا رسمه هذه العيون الطاهرة المطهرة، ولكن كيف والأسباب المادية قاصرة؟

فأين الموقع الذي يتخذ مباءة لهؤلاء الراغبين، والراغبات؟
وأنى لهم إذا وجد بتجهيزه، وتأثيته حتى يصلح لاستقبال الدارسين، وأهلهم، ومن يعلمونهم؟
قد لا يكون هناك شيء من ذلك.

لقد كانت تلك الأسر الباكستانية تسكن فريق الكويتة إلى الغرب من موضع مدرسة عثمان بن عفان، ولم تكن يد الإصلاح والعمران قد وصلت تلك المنطقة، وما أخذت حظها من الرقي والحضارة كما نرى الآن ولذا عاشت هذه الأسر حياة، خشنة في بيوت خشبية غاية في بساطتها، لم يظهر عليها أي مظهر من مظاهر التقدم.

وحين أسسوا المدرسة الباكستانية لتحفيظ القرآن الكريم أقاموها من الخشب والصفيح على مساحة ضيقة لا تتجاوز عشرين متراً مربعاً تقريباً (٤×٥ م)، شأنها شأن المنطقة المقامة بها.

لقد خلت من الكهرباء فحرمت من كل الميزات الحضارية التي تقوم على الطاقة الكهربائية؛ فلا مكيفات هواء، ولا ثلاجات، ولا مبردات، فكانوا يأتون بالماء البارد من مسافات بعيدة لري الطلاب، ويعانون من قسوة الحياة، ولا فكاك من هذه المعاناة، وكانت المدرسة تعمل فترتين صباحية ومساءً، والإضاءة مساءً باستخدام المصابيح الغازية (الإترنج).

ولكن الإيمان علمٌ أهله أن النية الصادقة أفعال وأقوى؛ لأن ذوبها سيكون الله تعالى معهم، وهو جل شأنه كما قال في محكم كتابه: { **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** (٨٢) **فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** (٨٣) }^(١).

وأي أسباب مادية صاحبت مفتتح الدعوة؟

ألم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه السابقون الأولون - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - يستخفون بدينهم، ويتلقفون القرآن الكريم من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما تيسر لهم، فملاًوا بكتاب الله تعالى الأودية والشعاب، وسمع صدهاء في فجاج مكة، ولو كره المشركون؟

بل تجاوزها إلى الجزيرة العربية، وبعض ملوك الأمم الأخرى، وللمؤمنين في رسول الله صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة.

¹ - سورة يس (٨٢ ، ٨٣).

{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ
كَثِيرًا (٢١) }^(١).

وضرب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنه أجمعين
المثل والقدوة.

ومع خشونة العيش وفقد الإمكانيات، وشدة المعاناة سار العمل في تلك
المدرسة سيراً مثيراً للإعجاب والدهشة، يتحمل مسئولية التحفيظ والمتابعة
ثلاثة من رجال القرآن الباكستانيين العاملين بالإمامة والخطابة في مساجد
الدولة.

وكانوا يؤدون هذا العمل تطوعاً، ابتغاء وجه الله تعالى، لا يتقاضون عليه
أجراً من هيئة أو مؤسسة حكومية أو أهلية، ولا يكلفون أولياء أمور
الطلاب دفع شيء مقابل تحفيظ أبنائهم وتعليمهم.

وشاء الله تعالى أن يجزي الذين أحسنوا بإحسانهم، فأعلن عن مسابقة في
حفظ القرآن الكريم، فقدم كل مركز من عنده، وتقدمت هذه المدرسة
المغمورة في عرف البشر، المعروفة المذكورة عند من لا تخفى عليه خافية في
الأرض ولا في السماء بسبعة طلاب، حفظ اثنان منهم سبعة أجزاء من القرآن
الكريم، بينما حفظ ثلاثة أربعة أجزاء، وحفظ اثنان ثلاثة أجزاء، وقد
عقدت لجنة الاختيار من خيرة العلماء أهل القرآن - ولا أزكيهم على الله -
هم أصحاب الفضيلة الشيخ يوسف القرضاوي، والشيخ عبد المعز عبد
الستار، والشيخ علي جماز، والشيخ عبد اللطيف زايد، والشيخ مصطفى
عليوه، وقد تولى الشيخ عبد الله الأنصاري الإشراف على الامتحانات، وجاء
دور امتحان طلاب المدرسة الباكستانية، ولم يكد الحاضرون يستمعون
إلى القرآن الكريم بلسان عربي مبين من نشء بيئته غير عربية، ولغته غير

¹ - سورة الأحزاب.

لغة القرآن حتى سبحوا الله إعجاباً بتلك الآيات البشرية التي أقامها الله تعالى في خلقه شاهدة بعظمة القرآن، وإعجازه، وأن الله - جل وعلا - إنما أنزله للناس كافة، ويسره للمهتدين، وإن اختلفت ألوانهم وألسنتهم.

{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٣٢)}^(١).

وتتابعت الأسئلة، وفيض الله الفعال لما يريد يغمر تلك الألسنة الرطبة بتلاوة القرآن الناشئة في رحابه مما جعل الشيخ عبد الله - رحمه الله تعالى - يسأل هؤلاء الطلاب المتميزين حفظاً وأداءً: في أي مركز تدرسون؟

فأجاب الشيخ إلهي بخش (أحد مؤسسي هذه المدرسة) ببارك الله فيه في المدرسة الباكستانية لتحفيظ القرآن الكريم.

فقال الشيخ عبد الله: أين تلك المدرسة؟

فعرفه الشيخ إلهي بخش بمكانها، وحدثه عن شيء من ظروفها، فوعدهم بزيارة المدرسة، ولم يطل الوقت فقد فوجئوا بعد أسبوعين بدخول الشيخ - رحمه الله تعالى - عليهم في مقر هذه الرابطة النورانية، حيث المعلمون والمتعلمون قائمون على أداء الرسالة.

وكان الشيخ رجلاً رقيقاً لم يكد يشهد هذا التنافس القرآني في تلك الظروف الصعبة حتى بكى وقال:

سبحان الله! في هذا البلد الطيب يقوم صرح كهذا، وليس له من المقومات ما يناسب عظمته؟

فلا كهرباء ولا ماء والحر شديد - حيث كانت الزيارة في شهر يوليو أو أغسطس - ومع ذلك فالعمل دائب، والجهد متصل.

¹ - القمر الآية (١٧).

لقد وقف الشيخ - رحمه الله - بين يدي ربه موقف اختبار، وهو - جل شأنه - سائله:

أيترك هؤلاء؟

وربما كان الإهمال دافعاً لهم إلى ترك ما وطنوا أنفسهم عليه، وأخذوها به، شأنهم شأن البشر إذا أعوزتهم الأسباب.

وكيف ترضى نفسه أن يهمل نورا انبثق في قلوب أقبلك على الله؟ إذا فلا بد من التحرك مع ذلك النور، وإزالة العقبات، وتيسير السبل المؤدية إلى هذا الغرض الأسنى، وإيلائه مزيداً من العناية، حتى يبلغ هؤلاء شأوهم، ويدركوا مرادهم، ويطمئن هو إلى أداء الأمانة استجابة لعقيدته، وصدقاً مع الله تعالى فيما ولاه.

وما كان إلا أن شرح الله صدره، فلم يبرح الموقع حتى بشرهم بفضل من الله تعالى، وقال قولته المشهورة:

ربك كريم، لا تفكروا، قريباً - إن شاء الله تعالى - نأتيكم بمكان واسع، أو يَمُنُّ اللهُ ببناء مكتمل خاص بالتحفيظ.

ثم سأل القائمين على التحفيظ: هل لكم معاشات أو تتقاضون شيئاً من أولياء الأمور؟

قالوا: لا هذا ولا ذاك، ليس لنا إلا معاشاتنا من أعمالنا الرسمية. فقال رحمه الله: تأخذون معاشات للتحفيظ إن شاء الله وقدرها بأربعمائة ريال للمحفظ.

وبعد فترة وجيزة وصلت لجنة من المسؤولين على مستويات مختلفة، فشاهدوا الموقع، ووقفوا على ما يؤدي فيه من عمل، وسألوا عن عدد الطلاب، وأعلنوا نقل المدرسة إلى النعيجة، حيث خصص لها مكان واسع،

يتسع للدارسين، وييسر لهم الجو المناسب، ويشمل أماكن للإدارة، والمحفظين.

وأقيم بناء خشبي مناسب، حيث يعتبر هذا الموقع مرحلة انتقالية، حتى ييسر الله تعالى المقر الدائم المناسب، وجهاز الموقع بماكينة كهرباء، وخزان لوقودها، وعدد من المكيفات يكفي جميع غرفاتها، وثلاجة، ومبرد ليشرّب الأبناء والأساتذة ماءً بارداً، وخصصت رواتب للدارسين، وتوالت العناية بالمدرسة، وطلابها والقائمين عليها.

وبعد سنتين انتقلت المدرسة إلى المنصورة حيث البناء الحديث الكامل المعد إعداداً رائعاً، به سبع غرف للدراسة، وغرف أخرى للإدارة والمحفظين والمخازن، وقد جهز المكان بكل ما يوفر الخدمات الملائمة لأسرة المدرسة كلها، ولكن أتى للطلاب أن يصلوا إلى مكان الدراسة الجديد، وهو بعيد عن موقع سكنناهم، وليس لديهم من الوسائل ما يعينهم؟

فإذا بالشيخ - رحمه الله تعالى - يجيب:

البلد طيب، وفيه خير كثير، لدينا ما يكفي نقل أبنائنا حافلة، حافلتان، أكثر.

وفعلاً خصصت الحافلات اللازمة لنقل الطلاب، وبدأت الدراسة في المقر الجديد على بركة الله تعالى.

وبلغ عدد الطلاب مائة وسبعين خصصت لهم معاشات شهرية تختلف باختلاف القدر المحفوظ، فأدناهم معاشه مائة وخمسون ريالاً، وهو من يحفظ من الفجر إلى الناس، وكلما ترقى في الحفظ زيد في معاشه؛ حتى بلغ معاش بعض الطلاب ثمانمائة وخمسين ريالاً.

يقول الشيخ إلهي بخش.

لقد وزعنا في مرة مائة وعشرين ألف ريال معاشات الطلاب لشهرين.

وزيدت معاشات المحفظين حتى بلغ معاش المحفظ ألفاً وسبعمائة وخمسين ريالاً.

وما وقف الأمر عند هذا الحد بل كانت زيارته للمدرسة مشفوعة بالهدايا والعطايا والهدايا القيمة.

بل لقد صحب مرة في زيارته المدرسة أحد أعيان قطر، وأطلعته على صور من تنافس الطلاب، وأسمعه تلاوة بعضهم، فأعجب بهذا السبق القرآني، وحمد الذي حفظ كتابه، وأثنى عليه، وتبرع على الفور للطلاب بمبلغ عشرين ألف ريال، أعدت الكشوف فوراً، ووزعت على الطلاب.

ومازحة الشيخ قائلاً: نعطي المتعلم، ولا نعطي المعلم؟

فقال: يا شيخ أما يفوتك شيء؟ كم عدد المحفظين والإداريين؟

قال: ستة

فقال: أبشر يا شيخ لكل منهم ألفان، هذه اثنتا عشرة ألف ريال فغمرت السعادة جميع من بالمدرسة، وشكروا الله الذي أجرى لهم الخير، وهبأهم لهذا الشرف، وأعدهم لخدمة كتابه العزيز.

حتى الكساء!

لقد حرص الشيخ - رحمه الله تعالى - على أن يقدم لدارس القرآن الكريم ومعلمه كل ما يستطيع من خدمات، فجعل لكل طالب أو معلم ثوبين من أفخم الأقمشة حتى ليقول الشيخ إلهي بخش: لقد دفعت مرة ثمانين ألف ريال ثمن قماش ثياب لمعلمي وطلاب المدرسة الباكستانية فقط، وما كلفهم أجر الخياطة، بل كان هو أيضاً يتولى سداده رحمه الله وغفر له.

وكثيراً ما كان يدعو أساتذة هذه المدرسة وطلابها لاستقبال ومجالسة علماء، ومفكري العالم الإسلامي، والسماع منهم، وإسماعهم آيات الكتاب العزيز من آيات بشرية من هؤلاء العجم الذين قوم ألسنتهم

فاستقامت بالقرآن الكريم، فرتلوه أحسن ما يكون الترتيل، وقد لا يعرف
كثير منهم العربية غير الكتاب العزيز.

وقد يشاركون هؤلاء الدعوة الطعام في بيته، أو في فندق، والطلاب
يشعرون أنهم في صحبة والد برّ رحيم(١).

الندوة القرآنية

إن الذين خصهم الله بكتابه، وحببه إليهم، وزينه في قلوبهم لا يفتأون يبحثون عن كل ما يمكن من الطرق لنشره، وجمع الناس حوله، وتعميق الصلة به تلاوة وترتيلا ومدارسة لينالوا من هدى القرآن الكريم ما يصلح الله به دينهم ودنياهم، ويدركوا من نوره ما يهديهم إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض.

إن حلاوة القرآن الكريم لا تعدلها حلاوة، فإذا طعمها مؤمن، وهياً الله قلبه لاستقبالها آثرها على ما سواها، فملاً بها وقته، وأسعد بها يقظته، وآنس بها منامه، وأحبها لغيره من المؤمنين، حتى يستقيم أمره على الإيمان، وتسلم عقيدته، ويحسن الأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتأسي به حيث ورد عن أبي حمزة بن مالك - رضي الله عنه - خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يؤمن أحدكم حتى يجب لأخيه ما يحب لنفسه))⁽¹⁾.

وقد أحب الشيخ - رحمه الله تعالى - القرآن الكريم، وأحب أن يصل به إلى المؤمنين ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فكان من جملة ما عرف به (ندوة القرآن الكريم).

ومن الأمانة أن نترك لعلم من أعلام الدعوة، وفارس من فرسان الجهاد بالكلمة آتاه الله علماً وحكمة، وفقهه في دينه، وعلمه وعلم به لازم الشيخ ما يربو على ثلاثين عاماً، وشاركه العمل في الدعوة عامة، وفي القرآن الكريم خاصة، ذلكم هو الشيخ عبد المعز عبد الستار، حيث يقول: ((أذكر ندوة القرآن التي عرفت به في قطر، وعرف بها كانت مقراًة في

¹ - رواه البخاري ومسلم.

داره بمجلسه المجاور لمسجد الشيخ غانم، وكان يحتفل بختم القرآن كلما أتمه، ويدعوننا إلى هذا الحفل، فسرنا ذلك منه، وأعجبنا.

فقلنا له: وماذا لو جعلتاه في المسجد، وهو منك قريب، وهو أكثر جمعا، وفيه من يحتاج إلى تقويم لسانه من الخاصة والعامة؟

فما أسرع ما استجاب للفكرة، ووجه للمسلمين الدعوة، وطبع المنشورات، ووزعها على المدارس، وكثير من الجهات، وجعل لها منهاجا وبرنامجا يضم بجانب التلاوة التعريف بأحكام التلاوة نظريا مع تطبيقها عمليا، وكلمات وخواطر هي تفسير لبعض ما قرئ من آيات الله، وكان ذلك يدار على العلماء، فتحولت الندوة والمقراة إلى منتدى علمي قرآني، وصارت مقصدا لأهل قطر جميعا، يؤمه الناس من عرب وعجم لتقويم ألسنتهم، وحفظ كلام ربهم، والسؤال عن أحكام دينهم.

وأذكر أنه بعد قليل من إقامة الندوة امتلأ بالناس المسجد؛ حتى اضطر إلى جعلهم مجموعات أربعا، ثم اضطر إلى استخدام مكبر الصوت، وقد بارك الله في هذه الجهود، ونمى هذه الندوة المخلصة، فخرجت كثيرا من الحفظة والقراء المجيدين الضابطين للكتاب العزيز من الطلاب والموظفين، بل من العامة والعجم، وكونت مجموعات في قطر تلتقي على الله وكتابه ومدارسته والعمل به، بل والاهتمام بأمر المسلمين؛ فقد صارت تجمعا للصفوة من أبناء الأمة تستقبل كل وافد من أقطار الإسلام يعرض فيها قضايا أمته؛ فيسارع الشيخ وأبناؤه لنجدتهم، والانفعال بقضيتهم. أهـ.

وهكذا كما أشار أستاذنا الكريم - بارك الله فيه ونفع به - تحولت ندوة القرآن إلى روضة طيبة الثمار، متنوعة العطاء، يقصدها القاصي والداني، فأمها كثير من أبناء قطر ممن يعيشون في أطرافها، أضف إلى ذلك من كانوا يأتونها من الوفود الإسلامية، وقد استمرت في حياة الشيخ - رحمه الله تعالى - سبعة وعشرين عاما أو أكثر قليلا - حيث بدأت في يوم

الخميس الموافق السابع من المحرم لعام ١٣٨٣هـ، وامتدت إلى نهاية حياته –
فآتت بفضل من الله تعالى أكلها و بنت عقولاً و رجالاً، بل ربّت على مائدة
القرآن الكريم أبناء بررة صار كثير منهم من أهل القرآن وخاصته، وقد
ازدانت بمجموعة من العلماء الأجلاء، الأفاضل منهم:

الشيخ يوسف القرضاوي، والشيخ عبد المعز عبد الستار، والشيخ عليوة
مصطفى، والشيخ عبد اللطيف زايد، والشيخ عبد الحميد طه حسين،
والشيخ رأفت وايف وغير هؤلاء الأكارم كثير، ولا زالت آثارها باقية فضلا
من الله ونعمة.

أسأل الله أن يجعلها في ميزان حسناته.

كرامة أهل القرآن

((وفي ذلك فليتنافس المتنافسون))

ورغبة في تكريم أهل القرآن وتقديرهم تعقد المسابقات لحفظ كتاب الله العزيز، وترصد الجوائز القيمة، ويستقبل الراغبون ممن يرون في أنفسهم كفاءة، وقدرة على اجتياز مراحل المنافسة، وتضم اللجان خيرة العلماء، وصفوة العارفين بأصول التجويد على مستوى العالم الإسلامي، وتأخذ الدوحة مكانها بين عواصم الدول الإسلامية لتكون دوحة الكتاب الحكيم، يستظل بظلها أهله، ويتنافس في رحابها المتنافسون، وتملاً المرتلين سماء الدوحة، متجاوبة في أجواء العالم الإسلامي كله، وتزدان المدينة الزاهرة في موسم القرآن المجيد فخورة بما تتميز به، مباهية بما أفاض الله من نعمة رعاية كتابه، وهنا تظهر آيات بينات لله - جل جلاله - في حفظ ذلك الكتاب العلي { **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** (٩) }^(١).

آيات تترتل آيات، عجم لا يعرفون من العربية غير القرآن الكريم، واجتمعوا لينافسوا فيه العرب أنفسهم، وكثيرا ما يفوقونهم والشيخ - رحمه الله تعالى - يتقلب بين هذه اللجان مسبحا تارة، وباكيا أخرى، سبحانك اللهم!

كيف استقامت تلك الألسنة على القرآن الكريم؟

كيف تألفت به هذه القلوب؟

كيف وجد هؤلاء جميعا فيه زادا، وأحسوا به راحة واطمئنانا؟

أليس هو مآدبة الله؟ فمن يأوي إليها ويلوذ بها غير الذين هداهم الله؟

¹ - الحجر (٩).

عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن هذا القرآن مآدبة الله فتعلمون من مآدبته ما استطعتم إن هذا القرآن حبل الله وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة من تمسك به ونجاة من اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعجب ولا تتقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد فأتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات أما إنني لا أقول ألم حرف ولا ألفين أحدكم واضعاً إحدى رجله يدع أن يقرأ سورة البقرة فإن الشيطان يفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة وإن أصفر البيوت من الخير الأصفر من كتاب الله)). وقال أبو عبيد في غريبه عن عبد الله قال: إن هذا القرآن مآدبة الله فمن دخل فيه فهو آمن.

وقد كشفت هذه المسابقات التي بدأت منذ عام سنة ١٣٧٥هـ عن أمثلة رائعة صنعها القرآن الكريم، وصاغتها آياته، فكستها جلالاً، وألبستها هيبة ووقاراً. إليك مثلاً.

((إن الله لا ينظر إلى صوركم))

شاء الله تعالى أن يظهر على يد هذا الشيخ - بما آتاه الله من حكمة، وما فتح له من منافذ الخير، وما يسر له العطاء - عظات وعبرا، وأن يجلي في حياته دروساً عملية تعمق الإيمان، وتغذو العقيدة، وتدعم السلوك بما يتفق وقيم الإسلام، وتملأ النفوس بما يجعلها دائماً مطمئنة بذكر الله تعالى.

سأقت الأقدار إلى ندوته القرآنية شاباً صومالياً، رث الهيئة تعدو العين عنه، لا يأبه بمثله، ولا يلقي له الناس بالاً، وكأن الصورة قد أعيدت فجاءتنا من عصر النبوة الأغر لتذهب عنا ما نحن فيه من غفلة، وتعيدنا إلى رحاب الإيمان، وذلك حين وضع الرسول الأكرم - صلى الله عليه وسلم - أصحابه موضع الاختبار ليعلمهم ويزكيهم.

عن سهل قال مرَّ رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((ما تقولون في هذا قالوا حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع وإن قال أن يستمع قال ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين فقال ما تقولون في هذا قالوا حري إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع وإن قال أن لا يستمع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء الأرض مثل هذا⁽¹⁾)).

إنها النظرة العابرة التي لا تتجاوز الظاهر، والتي قومها الرسول - صلى الله عليه وسلم - وزكاها، وهؤلاء هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكيف بمعاصرينا؟

نعم قد يقول المشفقون - أدبا مع الله تعالى - في شاب أعجمي على تلك الصورة لعله أتى يطلب شيئا من عطاء الله تعالى، والذي تعودته كثير مع الشيخ عبد الله في كل موقع، وما دروا أنه إنما أتى ليعطي خير عطاء.

وإذا بالشيخ - رحمه الله تعالى - يقلب هذه الموازين، ويصحح تلك المفاهيم، لقد تهلل وجهه بشرا، وأفسح مجلسا إلى جواره، وخص به ذلك الداخل الكريم، رغم ازدحام الحلقة بمن فيها، وأخذ الجالسون يواصلون القراءة وأوشكوا أن ينتهوا عند القدر المحدد للقراءة.

إذا فلن يقرأ الشيخ، وبالتالي لن يقرأ من بجواره، ولكن الشيخ يفاجئ الجالسين، فيوقف القراءة، ويتخطى كثرة من الرجال، ويطلب من هذا الشاب الأعجمي أن يقرأ، ولم يعطه مصحفا، فأسمع الجالسين قرآنا رطبا كما أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - وكأنما رجع بالحضور إلى عصر الصحابة، أو طوف بهم في رحاب التابعين، فعجبوا جميعا لهذا اللسان العجمي كيف جعله الله تعالى عربيا غير ذي عوج حين شرفه بترتيل آي الذكر الحكيم.

¹ - رواه البخاري في باب النكاح.

وازداد الحاضرون رغبة في معرفة سر هذا الشاب، وسر هذه الحفاوة التي استقبل بها، فأزال الشيخ هذا العجب حين كشف أمر هذا القرآني.

لقد عقدت لجنة امتحان المتسابقين في حفظ القرآن الكريم، وتوافد الفرسان، واتخذ كل مكانه في حينه أمام اللجنة المكونة من أصحاب الفضيلة الشيخ عبد الله الأنصاري، والشيخ عبد اللطيف زايد - رحمهما الله تعالى - والشيخ يوسف القرضاوي، والشيخ عبد المعز عبد الستار - أطال الله في عمرهما ونفع بهما - وغيرهم، وأظهر كل متنافس ما عنده من معرفة بكتاب الله العزيز حفظاً وتجويداً، ثم دخل هذا الشاب الصومالي، وتدافعت نحوه الأسئلة، وكانت طلاقة لسانه، وسلامة حروفه، وحسن ترتيله، وتمكنه أموراً تدعو إلى الاستزادة حتى شهدوا جميعاً بأنه هو في ذاته آية من آيات الله، وكان الشيخ - رحمه الله تعالى - حريصاً على أن يفسح لأمثال هذا أكرم موضع في قلبه، وينزلهم من نفسه أعز المنازل، فكيف لا يفسح لهم في مجلسه؟ ويدنيهم منه؟

أليسوا هم أهل الله وخاصته؟

حيث يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم:

((إن لله أهلين من الناس)) قيل من هم يا رسول الله؟ قال: ((أهل القرآن هم أهل الله وخاصته)).

إنهم حملة كلامه، ومرتلو آيه، ومسمعو البشرية عامة والمسلمين خاصة كتاب الله الخاتم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

إنهم أولو المجالس التي تنزل عليها السكينة، وتغشاها الرحمة، وتحفها الملائكة، ويذكرها الله تعالى فيمن عنده.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

قال:

((وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)) رواه مسلم بهذا اللفظ.

من يوقر هؤلاء كالشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، ومن غيره يقدرهم حق قدرهم تكريماً لما أوتوا وتعظيماً لما حملوا؟

لقد كان - رحمه الله تعالى - يرى فيهم قرآناً يمشي، فهنئاً لمن وافق ممشاهم، وطوبى لكل من يرعى حضورهم.

وهكذا كشفت المسابقات القرآنية - التي أعد لها الشيخ - رحمه الله تعالى - وأشرف عليها، وكافأ الفائقين فيها على مدى خمسة وثلاثين عاماً - عن نماذج إسلامية يعتز بها الإسلام، وأثارت تنافساً في كتاب الله.

طباعة للقرآن الكريم

في هذا العصر تطورت الطباعة، ونالت حظاً وافراً من الرقي، فتقدمت وسائلها، وتتنوع مع التطور الحديث السريع عطاؤها، وانفتح العلم على ثقافات مقروءة لا حصر لها، فكان لابد أن يكون لكتاب الله العزيز الحظ الأوفى، والاهتمام الكبير الذي يتناسب مع عظمة ذلك الكتاب وقدسيته.

ومن غير الشيخ عبد الله ^ريعني بهذا، وقد توفرت له الأسباب، وهو الذي أحب القرآن الكريم، وشغل به تلاوة، وتحفيظاً، ومدارساً؟

لم لا يستخير الله تعالى، ويستعينه، ويستهديه ليصل به مطبوعاً في إخراج متقن إلى أيدي المسلمين، ومكتباتهم العامة والخاصة، ومساجدهم، ومراكزهم الإسلامية في كل بقعة من بقاع العالم؟

وما كان الله تعالى ليذر عبداً من عباد الله نذر نفسه لخدمة كتاب ربه، وكل علمٍ كريم انبثق منه، أو اتصل به.

وقد يكون الحصول على نسخة مطبوعة من القرآن الكريم سهلاً ميسوراً بالنسبة للمسلم أو المسلمة في بلادنا العربية، وكثير من الدول الإسلامية بمقابل مادي، غير أن العثور على نسخة مشكلة كثير من المسلمين في بلاد كثيرة إسلامية، وغير إسلامية حتى سمعنا عن اشتراك عدد من المسلمين في بعض دول أفريقيا مثلاً في مصحف واحد يتناوبون القراءة فيه، وقد يستأجر الراغب في الحفظ أو التلاوة نسخة لزمّن محدد، بل قد يتقاسم مجموعة من الراغبين نسخة واحدة ليأخذ كلُّ فرد القدر الراغب في حفظه أو تلاوته وقد كان من لطف الله تعالى بالمسلمين في كل عصر، وتصديقاً لوعده:

{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) }^(١) أن يصطفي لكل جيل من ييسر له الفوز بكتاب الله تعالى، قد تتحمل هذا امة من الأمم ممثلة في حكومتها، وقد يكون هيئة من الهيئات، أو مؤسسة من المؤسسات أو فرداً من الأفراد.

والطباعة علم وفن، خبرة ومعرفة، وقد شاء الله تعالى أن يكون للشيخ - رحمه الله تعالى - سبق مشهود له به في الطباعة، واختيار الكتاب، وبنط الحرف المناسب، وحسن اختيار الورق، وكان ذلك من الخمسينات مع المغفور له الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني.

لقد آتاه الله تعالى في مجال الطباعة خبرة لا تتوفر إلا للقلائل من الماهرين الفائقين في هذا الفن الذين مارسوه عن حب، وعاشوه باقتناع، فتفننوا، في إجادته، وبرعوا في إتقانه يقول عنه الأستاذ محمد صلاح الدين محمد مرسى المدير الفني لمطابع الدوحة الحديثة: لقد جمع الله تعالى له الخبرة في فن الطباعة، وزكاها منه ذكاء وفطنة أفاضهما الله عليه، فنافس أهل الصناعة ففاقهم، وفاجأهم بكثير من أسرار مهنتهم، وحدثهم عن عجيب من دقائقها.

كما يقول أيضاً: لقد كنت أداعبه - أحياناً - فأقدم له عينات من الورق، وأقول يا شيخ هذا ورق (بايبل) (٢) فاختر منه ما شئت، ويشهد الله: لقد كان يمسك الورق بيده، وبمجرد الملامسة يخرج الورق العادي قائلاً هذا ما هو (بايبل) مع قوة الشبه بحيث لا يستطيع هذا إلا صانع ماهر.

¹ - الحجر (٩).

² - نوع خاص من الورق لا يشف من الخلف مهما كان رقيقاً، وقيل إنه اخترع أصلاً لطباعة الأناجيل، وقد كان الشيخ لا يطبع المصحف إلا على هذا الورق.

وإذا كان الله تعالى قد تفضل عليه بتلك المعرفة، وفقهه في حرفة الطباعة فلم لا يشكر تلك النعمة باستخدامها في أعظم طريق وتسخيرها لأعظم رسالة ألا وهي طبع القرآن المجيد؟

لقد اتجه الشيخ - رحمه الله تعالى - بكليته إلى الله تعالى راجياً توفيقه، مستمداً عوناً حتى يكون خادماً أميناً لكتابه، مخرجاً إياه في طبعات مختلفة الأشكال، والأحجام، والخطوط؛ حتى تتناسب مع كل قارئ، وتتمشى مع ما ألفه كل مجتمع من مجتمعات أمة الذكر الحكيم.

لقد أخرج كتاب الله العزيز في تسع وعشرين طبعة - تحت إشرافه - مراعيًا فيها جميعاً جودة الخط، حريصاً على إحياء الخطوط التي لم تطبع، أو تقادم العهد على طبعتها، ولم تتح لها فرصة الظهور لفترة طويلة.

لقد كان سباقاً متميزاً في هذا المجال الطيب المبارك، فأواه الله تعالى، وأمدّه بمدد من عنده، فنهض بما عزَّ على كثير من أهل الاختصاص أن ينهضوا بمثله أو قريب منه، كان تواقاً لجمع الخطوط والنسخ المفردة والنادرة، وعلى ما أمكن من روايات القراءة باذلاً في سبيل ذلك ما غلا، مستعذباً في سبيل غايته النبيلة كل ما يتكلف من جهد، أو يلاقي من مصاعب ومشاق.

حصل على نسخة فريدة بخط ابن البواب، والكثير من النسخ المخطوطة، فأخذ مثلاً من طبعات مصر طبعة الأزهر الشريف، وطبعة الملك فؤاد، وطبعة الشمرلي، وطبعة ورش، فأخرج - رحمه الله تعالى - نسخة للقرآن الكريم تكتمل فيها رواية ورش عن نافع وأحضر لها أهل التخصص من علماء الأزهر الشريف، وعل رأسهم الشيخ عبد المتعال منصور شيخ المقارئ المصرية - آنذاك - وذلك لتحقيق كامل الرواية، وقد اختارت لجنة من علماء العالم الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي تلك النسخة المباركة.

كما طبع من الخطوط الهندية طبعات متميزة، وطبع الخط التركي للآمدي، وطبع الخط العراقي، وطبع خط الشام القديم بخط قره، وخط الشام الحديث للخطاط عثمان طه، والخط المغربي، وقد ساهم - رحمه الله - بطبعات خاصة للحرمين الشريفين نالت القبول، وجاءه فيها الشكر من إمام الحرم المكي، وتوالت الشهادات من مشيخة الأزهر الشريف بسلامة الطبع، وجودة الإخراج، وطبع ترجمات لمعاني القرآن الكريم بلغات مخلفة كالإنجليزية، والفرنسية، والسواحلية، وغيرها من اللغات ولشدة تعلقه بالقرآن الكريم، وتعظيمه له، وحرصه على كمال مظهره كان يعني بكل ما يتصل بطباعته من مواد مستخدمة، أو مهارات تساعد على حسن إخراجها، فكان يختار الورق - وهو به خبير - محددًا الحجم المراد مع تحري الخفة ما أمكن، رافضًا الورق العادي رفضًا تامًا في طبع المصحف الشريف، مصرًا على ورق (بايبل) قائلًا: (إذا صنعه غيرنا لإنجيلهم فكتاب الله العزيز أولى به وأحق وهذه نعمة من الله تعالى يسرها لنا).

وكان يختار البنط المناسب، ويهتم اهتمامًا بالغًا بوضوح الكلمات والآيات، وكان لا يهتم بإخراج إطار الصفحات على حساب الكلمات، فقد يكون الإطار في الطبعة المراد تنفيذها سنتيمترًا كاملًا، فيقول: يكفيننا نصفه بل قد يصل به إلى الربع، ولذا يخرج حجم الآيات أكبر من الطبعة الأصلية لتوسيع مساحة الطبع بتضييق حيز الإطار؛ حيث كان يحرص على راحة القارئ أثناء التلاوة من المصحف.

وعلى سبيل المثال حين فكر في طبع مصحف الجيب ذي الحافظة المغلقة شدد في تضييق الإطار حتى لا يكاد يتجاوز مليمترًا واحدًا.

كما كان يحدد جلد الغلاف، ونوع الكرتون الذي يخصص للحشو، وشكل البصمة.

وقد جعل لطبع المصحف مراحل هامة يتبع بعضها بعضاً، ودوره بارز فيها جميعاً، بل لا يعلن تمام مرحلة إلا إذا اطمأن قلبه إلى ما تم اتخاذه بشأنها.

أولاً: اختيار النسخة، وهذا الاختيار - وإن شكلت له لجنة، وأصبحت مسئولة عنه - لا ينفذ إلا إذا انفرد هو بها، طالعها، واستظهر مزاياها، واطمأن إلى سلامتها، ودقتها حينئذ يقر ما أقرته اللجنة، وإلا فلا حيث يرى نفسه مسئولاً عن هذا كله بين يدي الله تعالى.

ثانياً: لجنة الطبع برئاسته، وقد كان وحده يتحمل العبء الأكبر حيث كان بنفسه يباشر الطبع، ولا يسمح بالبدء إلا في وجوده في أي وقت من ليل أو نهار، رعاية للدقة وجودة الإخراج.

ثالثاً: التدقيق بعد الطبع من حيث الكلمات والصفحات والملازم والأرباع، والأحزاب، والأجزاء، والسجديات، وعلامات الوقف، والتوالي، وغير ذلك.

وكان التدقيق ذاته يتناول مراحل الطبع واحدة بعد الأخرى، حيث يبدأ بمراجعة الأفلام، ثم تدقيق البليت (الألواح المعدنية التي تعد للطبع)، ثم يتم الطبع، وتؤخذ كمية لا تقل عن عشرة نسخ، وتوزع على عدد من أهل القرآن الماهرين به، ليراجع كلُّ نسخته، ويسجل ملحوظاته، فإذا وجد ما يحتاج إلى تعديل عدل، ثم أعيد تدقيقه، ليتم الطبع بعد ذلك، ثم المراجعة الأخيرة، وبعدها يبدأ التغليف وفق المواصفات المنصوص عليها في تحديد مكوناته، وشكل البصمة، كل هذه المراحل والشيخ دائم المفاجأة للمطبعة، متابع للأداء بنفسه، بل كان رحمه الله تعالى - بعد وضع المصاحف في الكراتين، وإعدادها للنقل - يمثل بنفسه - لجنة فرز نهائية، حيث يختار عدة صناديق من أعماق هذا الصرح الهائل، من مواقع مختلفة، ويخرج مصاحف ليلقي عليها نظرة فحص، ثم يأمر بالنقل إلى مراكز التوزيع لينطلق منها كتاب الله العزيز إلى المراكز الإسلامية، وبيوت الله تعالى، ثم المسلمين في أرض الله كلها.

لقد حدث الأخ الكريم الأستاذ محمد صلاح الدين محمد مرسي الذي كان يتولى - وقتذاك - إدارة مطابع دار العلوم، فقال:

إن الشيخ - رحمه الله تعالى - كان نموذجاً فريداً، وصورة عزيزة لم أصادف مثلها في حياتي عامة، وحياتي العملية خاصة، فكثيراً ما دق باب المطبعة عقب صلاة الفجر مباشرة وقد كنت وقتها عازباً وأسكن في أحد غرف الدور العلوي بالمطبعة، فسألت نفسي أول مرة: من الطارق؟ ولم؟

ثم اتجهت إلى الباب لأفتح فإذا هو الشيخ - غفر الله له - بيتسم ابتسامته المعروفة، فيحي بتحية الإسلام، ويلاطفني، ثم يطلب مني النزول إلى المطبعة - فأرتدي ملابسني - ونزل سوياً، فأكتشف أنه إنما أتى لعمل ويشاركني العمل مشاركة خبير، ونستمر حتى يبدأ الدوام بعد ساعتين أو أكثر، وهو يراجع، ويدقق، ويتساءل فإذا عرض أمر استمع إلى الرأي فيه، ثم يأتي بما عنده، وكثيراً ما كان يرى رأياً قد يغيب على فني متخصص. أهـ.

أي عزيمة تلك التي تجعل رجلاً دؤوباً لا يمل العمل ولا يتوقف عن النشاط، لا ينام من الليل إلا أقله، فإذا أدركه الفجر كان فاتحة يومه ومبتدأ سعيه؟ إنه مشغول بما ألقى على عاتقه، وأظنه - والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً - لولا الحياء ومراعاة حرمان الآخرين لطرق باب الأخ العزيز الأستاذ محمد صلاح الدين في الواحدة أو الثانية بعد منتصف الليل ليضرب مما شغل به، غفر الله تعالى له.

لم أقل: إن الشيخ - رحمه الله تعالى - كان مشغولاً بالقرآن؟

عاش له، وأرجو العلي أن يكون قد حقق له الثانية فأماته عليه.

في مرض موته - غفر الله له - وفي غرفة الإنعاش - والزيارة ممنوعة - يلمح بين جمهور الزائرين حبيبه القريب إلى نفسه الأستاذ محمد صلاح

الدين محمد مرسي، فينادي بصوت المشوق - وإن أثر في نبراته المرض
والإجهاد - أين البروفة يا صلاح؟

أي بروفة؟

وهل الوقت مناسب والظروف تسمح لعرض بروفة عليه؟

لقد كان مصحف الجيب ذي الحافظة المغلقة لا يزال في المطبعة.

لا حول ولا قوة إلا بالله.

نعم: من شاب على شيء مات عليه.

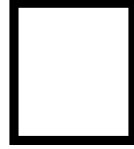
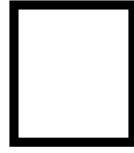
لقد أراد أن يملأ عينيه بنور القرآن الكريم قبل لقاء ربه.

لقد أحب أن يشبع قلبه من هدى الذكر الحكيم لتكون بفضل من الله

تعالى خاتمته هدى.

الله. الله فيمن أحبوا كلامه، وشغلوا به، وجعلوه زادهم في إديارهم عن

الدنيا، وإقبالهم على الآخرة. ١.



طبعة من

الكتاب العزيز

يعلم الله - تعالى - مدى حرصى على أن أقدم للقارئ الكريم طبعات للمصحف الشريف مما شرف خادم العلم الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصاري بطبعها، فحاولت إحصاء ما في مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة من هذه الطبعات فوجدتها محدودة بالنسبة لما قام الشيخ بطبعه، فاتصلنا بدار الكتب القطرية لتعيننا في هذا البحث، فأحصوا مشكورين ما لديهم من النسخ غير أنني لم أجد في هذا كله ما أنشده، فراجعت مكتبات خاصة لبعض من كانت لهم صلة بالشيخ - رحمه الله تعالى - وممن يهتمون بمثل هذا الأمر، بل أعانني بعض الإخوة بفحص خزانات المصاحف ببعض مساجد الدوحة، وطالعت ما بقي من قوائم مطبوعات إدارة إحياء التراث فاجتمع لنا هذا العدد أورده لك في القائمة التالية، وما أظنه كل ما طبع الشيخ - رحمه الله تعالى - وإنما يسر الله - تعالى - له طباعته أضعه بين يديك، وربما كان لدى بعض القراء الأعزاء طبعات لم أصل إليها.

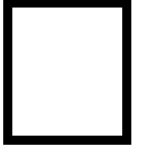
أسأل الله - جل جلاله - أن يجعل ما قدم في ميزان حسناته.

م	العنوان	عمل فضيلة الشيخ
١	إنه لقرآن كريم: الأجزاء الخمسة الأخيرة (الدوحة : مطابع قطر الوطنية، د.ت.. من ص ٦٦٥ : ص ٨٢٧، ٢٤سم).	راجعته وأشرف على طبعه.
٢	إنه لقرآن كريم: الأجزاء الخمسة الأخيرة من القرآن الكريم (الدوحة: إدارة إحياء التراث، د.ت ٨٢٧٠٠ ص).	راجعته وأشرف على طبعه.
٣	إنه لقرآن كريم: الأجزاء الخمسة الثالثة من القرآن الكريم (الدوحة: إدارة إحياء التراث الإسلامي، د.ت. ٨٢٧ ص)	راجعته وأشرف على طبعه.
٤	إنه لقرآن كريم: الأجزاء الخمسة الثانية من القرآن الكريم (الدوحة: إدارة إحياء التراث الإسلامي، د.ت. ٨٢٧٠٠ ص).	راجعته وأشرف على طبعه.
٥	إنه لقرآن كريم: الأجزاء الخمسة الثانية من القرآن الكريم (الدوحة: إدارة إحياء التراث الإسلامي، د.ت.. من ص ١٢٨ : ث ٢٥٧، ٢٢سم).	راجعته وأشرف على طبعه.
٦	القرآن الكريم طبعة الملك: أجزاء لمراكز تحفيظ القرآن الكريم	راجعته وأشرف على طبعه.
٧	القرآن الكريم: أجزاء عم وتبارك والسابع والعشرين والثامن والعشرين.	راجعته وأشرف على طبعه.
٨	القرآن الكريم: الجزء ان تبارك وعم (الدوحة: إدارة إحياء التراث الإسلامي، د.ت).	راجعته وأشرف على طبعه.
٩	القرآن الكريم إدارة الشؤون الدينية، ١٩٧٩. ٢٨سم.	راجعته وأشرف على طبعه.
١٠	القرآن الكريم بالرسم العثماني، مطابع الدوحة الحديثة، ١٤٠١هـ = ١٩٨١، ٢٤سم.	راجعته وأشرف على طبعه.

م	العنوان	عمل فضيلة الشيخ
١١	القرآن الكريم بالرسم العثماني، مطابع الدوحة الحديثة، ١٤٠١هـ = ١٩٨١، ٣٤سم.	راجعته وأشرف على طبعه.
١٢	القرآن الكريم بالرسم العثماني، مطابع الدوحة الحديثة ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢، ٢٤سم.	راجعته وأشرف على طبعه.
١٣	القرآن الكريم بالرسم العثماني مطابع الدوحة الحديثة، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢ م، ٢٤سم	راجعته وأشرف على طبعه.
١٤	القرآن الكريم بالرسم العثماني، مطابع قطر الوطنية ١٤٠٦هـ = ١٩٥٦، ٢٢سم.	راجعته وأشرف على طبعه.
١٥	القرآن الكريم بالرسم العثماني، مطابع قطر الوطنية، ١٩٨٥/٢٢٥، ٢٢سم	راجعته وأشرف على طبعه.
١٦	القرآن الكريم بالرسم العثماني، مطابع قطر الوطنية ١٩٨٦/٨٩، ٣١سم.	راجعته وأشرف على طبعه.
١٧	القرآن الكريم بالرسم العثماني بخط ثمان طه، دار القرآن الكريم، ١٤٠٣هـ، ٢٤سم.	راجعته وأشرف على طبعه.
١٨	القرآن الكريم بالرسم العثماني بخط عثمان طه، مطابع قطر الوطنية، ١٩٨٤/١٥٩، ٢٤سم.	راجعته وأشرف على طبعه.
١٩	القرآن الكريم بالرسم العثماني بخط ومراجعة محمد بن علي بن خلف الحسيني، مؤسسة دار العلوم غرة رمضان ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥ م، ٢٤سم	راجعته وأشرف على طبعه.
٢٠	القرآن الكريم بالرسم العثماني طبعة الأزهر الشريف، مطابع قطر الوطنية، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢ م، ٢٤سم.	راجعته وأشرف على طبعه.

م	العنوان	عمل فضيلة الشيخ
٢١	القرآن الكريم بالرسم العثماني طبعة الأزهر الشريف بخط السيد مصطفى نظيف بقدر غلي، مطابع قطر الوطنية، ١٩٨٣/١٤٠٣/٩٩م، ٢٤سم.	راجعته وأشرف على طبعه.
٢٢	القرآن الكريم بالرسم العثماني وقف الحرمين الشريفين، مطابع قطر الوطنية، ١٩٨٢/١٤٠٢هـ، ٢١سم.	راجعته وأشرف على طبعه.
٢٣	القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع، مطابع قطر الوطنية، ١٩٨٢ = ١٤٠٢هـ، ٢١سم.	راجعته وأشرف على طبعه.
٢٤	القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع، مطابع قطر الوطنية، ١٩٨٩/٤٢٥، ٢٤سم.	راجعته وأشرف على طبعه.
٢٥	القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع بخط د. محمد سعيد شريقي (الجزائر)، مطابع قطر الوطنية ١٩٨٦/٣٦٤، ٢٤سم.	راجعته وأشرف على طبعه.
٢٦	القرآن الكريم طبعة الأزهر الشريف، إدارة إحياء التراث الإسلامي (مطابع قطر الوطنية)، ١٩٨٨/٢٩١، ٢٣سم.	راجعته وأشرف على طبعه.
٢٧	القرآن الكريم طبعة الأزهر الشريف، إدارة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٨٩/٤٢٤، ٢٣سم.	راجعته وأشرف على طبعه.
٢٨	القرآن الكريم طبعة الأزهر الشريف، مطابع الدوحة الحديثة، ١٩٨١ = ١٤٠١هـ، ٣٣سم.	راجعته وأشرف على طبعه.
٢٩	القرآن الكريم طبعة الأزهر الشريف، مطابع قطر الوطنية، ١٩٨٢ = ١٤٠٢هـ، ٢٤سم.	راجعته وأشرف على طبعه.
٣٠	القرآن الكريم وبهامشه قررة العينين على تفسير الجلالين.	عني بطبعه ونشره.

م	العنوان	عمل فضيلة الشيخ
٣١	قرآن كريم (فارسي)، مطابع الدوحة الحديثة، ١٩٨٨، ٢٤سم	راجعته وأشرف على طبعه.
٣٢	قرآن كريم: الخمسة أجزاء الأخيرة.	أشرف على طباعته.
٣٣	قرآن كريم، إدارة الشؤون الدينية، د.ت. ٢٤سم.	راجعته وأشرف على طبعه.
٣٤	قرآن كريم بمناسبة المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية الدوحة محرم ١٤٠٠هـ، مطابع قطر الوطنية، غرة المحرم ١٤٠٠هـ، ٢٨ سم.	راجعته وأشرف على طبعه.
٣٥	قرآن مجيد. إدارة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٨٨/٣٧٦، ٢٤سم.	راجعته وأشرف على طبعه.
٣٦	قرآن مجيد، إدارة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٨٧/٨، ٢٤سم.	راجعته وأشرف على طبعه.
٣٧	قرآن مجيد بخط عبد الحق (بومباي)، مطابع قطر الوطنية، ١٩٨٨/٣٥، ٢٤سم	راجعته وأشرف على طبعه.



خادم العلم □

وأحياء التراث □

- حياة في رحاب العلم.
- قدسية تراثنا العربي.
- التراث العربي وواجبنا نحوه
- قبول ورجاء.
- براعته في تحقيق التراث.
- خبرته الفنية في إخراج كتب التراث.

حياة في رحاب العلم

إن نشأة الإنسان، وحياته الأولى، وما يتلقى خلال هذه الفترة تترك في الإنسان أعظم الأثر، وتُرى فيه في جميع مراحل حياته عملاً، وسلوكاً، ودعوة، والمتتبع لمراحل نمو الشيخ عبد الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري - رحمه الله تعالى - يدرك أن الله تعالى قد هياً للشيخ أسباباً جعلت الكتاب خير متاعه، وسمير مجلسه، وأنيس وقته، ورفيق سفره وإقامته، فقد بدأ أبوه الشيخ إبراهيم بن عبد الله الأنصاري مع ولده عبد الله - رحمها الله تعالى - خطة الدراسة بتحفيظه القرآن الكريم، ثم أتبعه بما يعين على إتقان التلاوة لكتاب الله تعالى، ويساعد على تدبر معانيه، والوقوف على ما تيسر من معانيه، والإمام بلغته فحبب إليه القراءة، وركز في وجدانه حب العلم، والرغبة في المعرفة، فدرس له التجويد، والتفسير، وما شاء الله تعالى من أسباب النزول، وعرج به إلى الحديث النبوي الشريف، والفقه، وكذا ما يصلح لغته، ويوفق صلته بلغة القرآن من بلاغة، وأدب، ونحو، وصراف، وغير ذلك.

والأستاذ والطالب لا يفترقان، يجمعهما بيت واحد، ومجلس ومطعم واحد، بل هما متلازمان لا يفرق بينهما إلا نوم أو ضرورة، فحركات الطالب وسكناته على مرأى ومسمع من أبيه، وتساؤلاته، بل خواطره مستقرها صدر ملئ حناناً وحكمة فكان أباً، ومؤدباً، ومستشاراً وخير رفيق.

وقد توفرت في تلك البيئة العلمية كل عوامل النجاح، فالطالب حريص على العلم، يؤثر رضا أستاذه، والأستاذ جاد في رسالته، راج لتلميذه نبوغاً في المعرفة، فأصبحت لا ترى ذلك الابن الدارس إلا محتضناً أصدق كتاب، وأحكم قول، وخاتم التشريع الإلهي: القرآن الكريم.

أو تراه حاملاً سيفراً في الدين أو اللغة، مراجعاً على والده، أو مناقشاً معه، أو سائلاً إياه، والأب المعلم يرى من تلميذه ما لا يراه أستاذ من تلاميذه، فيحمد فيه الحسن، ويدعو إلى المزيد منه، ويرغبه في مضاعفة الجهد، ويمنيّه بأعظم الأماني، وينتقد ما قد يراه غير لائق، فينبهه إليه، ويدعوه إلى التحول عنه.

والتلميذ يرى في شيخه القدوة الطيبة الدائمة المقيمة، عنه يأخذ، ومنه يقتبس.

إن تلك الصحبة الطويلة للكتاب، والأنس به، ثم تقلبه فيما بعد بين الصفوة الأخيار في فنون العلم المختلفة حين نزل الأحساء، طالباً، أو انضم إلى طلاب المدرسة الصولتية، أو عايشن حلقات المسجد الحرام وأخذهن عنهن، ومراجعتهن لهم فيما عنّ له، أو التبس عليه من قضايا العلم، والكتاب رفيقه الذي يكشف له عن مكنون سطورهن، ويحدثه صادقاً عن كبريات المسائل، ودقائق المباحث، ويريه وجهات النظر، ويطلعها على دوافع الاختلاف، أو يوضح له دواعي الاتفاق، ثم يهيئ له السبيل ليقول كلمته، ويعلن رأيه.

لقد فطّر الفتى منذ نشأته الأولى على حب العلم، والدأب في تحصيله والجد في جمعه مع صبر أفرغته الله عليه، وميزه به، ومثابرة تحبب إليه الصعاب، وتهون عليه المشاق، وترغبه في اصطفاء ذخائر التراث، ومرافقة المراجع، ومحادثة قيم الأسفار.

وحين دعاه داعي الوطن، ليرد إليه صنيعه، ويسعده بعطائه لم يكن الداعي غير حاكم حكيم، وعالم سلفي غيور، وأديب بارع، ونقاد للقول، خبير بالشعور، شغوف بالعلم، حفيّ بالعلماء، قريب منهم، ولوع بالكتاب، حريص على نشره، ألا وهو الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني حاكم قطر الأسبق - رحمه الله تعالى - وقد طبع على نفقته الخاصة أكثر من مائة

كتاب في فنون مختلفة لتوزيعها ابتغاء وجه الله تعالى على كل راغب في العلم، مولع بالدرس، بل كانت له هو عدة كتب منها (المختارات الشعرية) الذي يقع في (مجلدين) مما حفظه، أو اختاره، وكلها من عيون الشعر العربي، وقد سعد بصحبته، وعمل تحت رايته في هذا المجال وغيره الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، ثم تبعه أمراء لقطر سلكوا نفس الطريق، وآثروا البذل في سبيل تعريف الأمة بتراثها، وإعانتها على تقليب صفحات ماضيها، ومطالعة أعمال سلفها، وقد تقدمت الطباعة، وانتشرت المطابع بقطر الحبيبة، وأشرق عليها عصر علم ومعرفة وحضارة ورقية، وتطلع الحكام والشعب إلى مزيد من التقدم ورأوا ألا سبيل إلى ذلك إلا بالعلم فتفجرت ينابيع عطائهم من أجل الطباعة، وسابق في هذا شيوخ آل ثاني، ووجهاء قطر وكل هذا والشيخ عبد الله الأنصاري قائم في وطنه، وهو موضوع ثقة الحكام، ومحل تقدير النبلاء، حبه الله إلى من رآه، أو عرفه، وجعله من النفوس قريباً، وأنزله منزلاً كريماً في وطنه، وخارجه، فكشف عن طموحه وأبان عن توجهاته واهتماماته، إن أعلاها وأحبها إليه طبع القرآن الكريم، وما تيسر من ذخائر التراث، وأعانه على بلوغ هدفه، والسعي لغايته هؤلاء الحكام الأوفياء لماضي الإسلام، الأمناء على تراث الأمة.

لقد رصدوا له الأموال، ووفروا له الإمكانيات، وأزره أثرياء قطر البلد الطيب، وبذلوا في حب، وقدموا عن رغبة، ودعموا ميوله، وأغدقوا على هذا العمل من مال الله الذي آتاهم، وجعلهم مستخلفين فيه.

ألا يكون الكتاب بعد هذا كله دليلاً صادقاً، ومرشده الأمين، ورفيقه الذي لا يتسرب إليه ملل أو سأم، ولا يعتريه لطول الصحبة تغير أو فتور فهو يقرأ، ويدرس، ويعلم، ويحقق، ويطبّع.

فلا عجب أن يراه عالمنا الإسلامي يعطي الكتاب جهده، وفكره،
وعمره.

ويطير به إلى أقصى الأرض إرواء لظماً المسلمين، وتلبية لرغباتهم،
وإعماراً لمكتباتهم الخاصة، والعامّة، وترشيحاً لعلمائهم ومتعلميهم.

قدسية تراثنا العربي

إن إحياء تراث أي أمة من الأمم العظيمة يعيد إلى الأجيال صورة ماضيها، ويحكي قصتها عبر قرون موضحاً سمات سلفها، ومدى تفاعلهم مع الحياة والأحياء حضارة وسبقاً، ارتقاءً فكرياً، وسمو عاطفة، وعظمة في بناء الإنسان، وصوغ حياته، وبت قيم فاضلة تثمر خيراً يسعد في رحابه أهل هذا التراث، ومن يلم بهم، أو يأخذ عنهم من البشر في أي عصر من العصور، فتستمد تلك الأمة من ماضيها لحضرها، ومن تراثها الزكي لعطائها، المعاصر ما يغذيه بعناصر القوة والعظمة، والرفعة والسمو، ويكتب له البقاء والرقي، وما يتيح له أن يضيف إلى مجد الأولين أمجاداً، ويتبع آثارهم بمثلها، أو قريباً منها مما يتناسب وروح العصر، ويتفق ومتطلبات الحياة.

وأي تراث كتراثنا - معشر المسلمين - ؟

وأي أمة ملكت من دلائل العظمة، وأمارات السبق كتلك الأمة الخاتمة خير أمة أخرجت للناس؟

ثم أي تراث أتيح له من الصدق والنقاء، وأحيط بسياج من العصمة، وهىء له من البقاء ما هياً الله تعالى لتراثنا المجيد؟

إن التراث عند المسلمين يعني تلك المظلة الواقية التي تفيأ الأسبقون ظللالها، وتتابع الذين يلونهم في العمل على استمرارها وزيادتها، وقد نضر ذلك التراث أن كان الوحي منطلقه، والإيمان محركه، امتلأت به القلوب، وفاضت به المشاعر، واستتارت به العقول، ووعاه أهله شريعة خاتمة، جعلها الله تعالى هدى ونورا، وبرهاناً وذكرًا، لقد حوى ذلك التراث كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجعله الله - جل شأنه - مسك ختام الكتب ومهيماً عليها قال جل شأنه:

{ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦) }^(١)

وسنة رسوله الأكرم - صلى الله عليه وسلم - وهي الحق، فهو كما قال عنه ربه - جل وعلا - :

{ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) }^(٢)

وكذلك السيرة النبوية العطرة، وآثار السابقين الأولين، والذين اتبعوهم بإحسان، ثم ما منَّ الله به على أعلام هذه الأمة من علم باعته الحق الذي تلقوه في دينهم، والإيمان الذي شرفوا به، فطلعوا على الدنيا بعطاء سبقوا به غيرهم، فأحبوا به موات الأمم، ونفخوا به في الإنسانية روحا غابت عنها قرونا طويلة.

إن التراث عند المسلمين لا يعني سطورا مخطوطة، ولا أسفارا متراكمة، ولا نقوشا محضورة، وإنما يعني قيما ومبادئ وعاما السابقون الأولون، واطمأنت بها قلوبهم، فظهرت فيهم سلوكا والتزاما، ورآها العالم حية ملموسة في كل ما يصدر عن المسلمين من قول أو عمل، في خصومة أو صداقة، في سلم أو حرب قبل أن تطالعه مخطوطات زاهية، فواحة مزهرة.

عاشها العالم دعوة إلى الله يزينها الرفق، ويحركها حب الخير للناس جميعا، ويطير إلى الشعوب رحمة مهداه تتسع لكل صغير أو كبير، ضعيف أو قوي، رجل أو امرأة، محارب أو مسالم، عظيم فيما يرى الناس أو دون ذلك.

1 - المائدة (١٥، ١٦).

2 - النجم (٣ : ٥).

إن الإحسان الذي طبعوا عليه - والذي افتقده العالم قديما وحديثا -
ودليلهم في كل ما يأتون، بهذا أدبهم رسولهم - صلى الله عليه وسلم - ،
وجعلها دعوة باقية في أمته.

عن أبي يعلى شداد بن أوس - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم:

((إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا
ذبحتم فأحسنوا الذبحة))(١).

إنها دعوة تنهض على ركائز من الحكمة، وحسن الموعظة، وجميل
الإقناع يقول جل شأنه:

{ ادْعِ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) } (٢).

عاشر العالم ذلك التراث عدلا، وإحسانا، وبراً وصلة، وبراءة من كل
فحش، ومنكر، وظلم عاشه عمليا، وواقعا ملموسا للحق المنزل على الحق
- صلى الله عليه وسلم:-

{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) } (٣).

يقول الدكتور رشدي فكار: ((إنما نعني بها - أي قضية التراث
الإسلامي - هذه المسيرة التي أقلمت بالمسلمين حضاريا بعد عصر النبوة،

1 - رواه مسلم.

2 - النحل: (١٢٥).

3 - النحل: (٩٠).

عصر النبوة هو الإسلام، وما أقلع المسلمون به حفاظا على وحي النبوة،
صيانة واجتهادا، ومواءمة للعصور التالية مع هذا الوحي الخالد¹.

ألم ير العالم هذا الصرح الشامخ تتوالى عليه العصور فلا تزيده إلا قوة،
وتفاجئه الأحداث فلا يتضعضع أو يهون؟

امتدت يد الحقد إلى هذا التراث الغالي مرات ومرات أشدها على التاريخ،
وأدعاها للأسى، والأسف والحسرة ما كان من دخول الخراب والدمار
بغداد عاصمة الخلافة العباسية حين استولى عليها المغول عام: (٦٥٦) هـ
- فاستباحوا الحرمات، ودمروا الحضارة، وأحرقوا المكتبات، وما وصلت
إليه أيديهم من الكتب، واتخذوا من المخطوطات جسرا عبرت عليه جيوشهم
نهر دجلة، وأي كم من الكتب يكفي لردم النهر، ويمكن جيش هؤلاء
الطفأة من العبور عليه رجالا وركبانا، ومعهم حوامل معداتهم، ومؤنهم، وما
سلبوا ونهبوا من البلاد التي أغاروا عليها؟

ومع تلك الهزات التي كشفت عما يكنه أعداء الإسلام من ضغينة عبر
عنها ما بددوا من تراث، وأهلكوا من أتوا عليه من العلماء فقد ظل التراث
الإسلامي ظاهرة لا تنافس منذ فجر الحياة، وحين أفاق العالم، وراودته
بوارق النهضة لم يجد ما يسعفه إلا في تراثنا المجيد، والذي نام عنه المسلمون
لما أصابهم من تخلف وضعف، وما حل بساحتهم من فقر، وما ركنوا إليه
من جهل واستكانة لتوالي عصور الركود والتخلف، لكن عناية الله تعالى
بتلك الأمة الوسط ما كانت لتذر ذخائرها القيمة، فقيضت لها على مرَّ
العصور من يصون لها أمجادها، ويحيي لها ما تيسر وفقا لإمكانات كل
عصر، وقدرات من يختاره الله لتلك المهمة، وشاءت إرادته جلَّ شأنه أن
توضع أمانة الإحياء في هذا العصر على عاتق الشيخ عبد الله بن إبراهيم
الأنصاري رحمه الله تعالى.

¹ - من كتاب: (قضايا تراث المسلمين) د. رشدي فكار المفكر الإسلامي العالمي في حوار متواصل أعده الأستاذ/
خميس البكري ص ٦٤ ط ١٩٨٨ م.

التراث العربي وواجبنا نحوه

إن تراث أمتنا من علم الأئمة، ومؤلفات الفقهاء والحكماء ليشهد بعظمة هذا الدين الذي أحيا الله به موات القلوب، وبدد بهداه ظلام العقول، فأحال هذه الأمة - في زمن وجيز - إلى أمة عالمة معلمة، تحمل رسالة الله إلى الناس جميعاً، وتهديهم صراطه المستقيم، وتقود البشرية في طريق العلم والحضارة والرقي، بعد أن كانت في جاهلية جهلاء، وصدق ربنا جل وعلا حيث يقول:

{ الرِّكَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١) }^(١).

ولكن هذا التراث العظيم الخالد، قد عدت عليه العوادي فغرقتة وحرقتة، وكادت له البربرية الغاشمة على أيدي التتار فدمرته في محنة بغداد، وانتهبتة، وأعدمتة الصليبية الحاقدة على أيدي الفرنجة الحاقدة في الأندلس، ثم تعرض ما بقى منه لاختلاس المستعمرين والمستشرقين، حتى صار أمرنا عجباً، فمن تطلع أن يدرس موضوعاً في العقيدة، أو التفسير، أو الحديث، أو الفقه، أو غير ذلك في الموضوعات التي تتصل بديننا وأمتنا فعليه أن يبحث عن مصادره الأصلية عالمية، وقد لا تسعفه مكتبات عربية أو إسلامية، فينشد ضالته في مكتبات باريس، أو برلين، أو المتحف البريطاني، أو ليون أو الإسكوريال، ونحوها.

وما احتضن هؤلاء التراث إلا إيماناً بعظمتته، وإقراراً بنفعه والأدهى من ذلك أن ما بقى في أيدينا من هذا التراث في حالة يرثى لها، فهو في صورته المخطوطة عرضة للضياع والتآكل، والتحلل، والتمزق، وتتعدر الاستفادة منه، ومعرفة كنوزه، ومع أن هذه الحال تتادي كل صاحب همة عالية وغيره في الله والله من العلماء والباحثين للمشاركة في إنقاذ هذه الآثار

¹ - سورة إبراهيم (١).

الخوَالِد، ونفض غبار الإهمال والنسيان عنها، إلا أن الذين يلبون هذا النداء قليلون، ذلك أن العمل في هذا المجال - مجال إحياء التراث ونشره - يحتاج إلى صبر ودأب، وصدق، وإخلاص، وحب للبذل، ورغبة في العطاء، وتصديق بدورنا في إبلاغ رسالة الحق إلى الخلق، فلا يضمن باحث بجهد مهما بذل، وذلك لطول الانقطاع بيننا وبين أمتنا، مما جعل القراءة عنهم، والاستماع لهم شيئاً عسيراً، هذا مع اختلاف الخطوط، والرسم الإملائي، وعدم وضوح الكتابة.

ثم إن هذا العمل الصابر، المتأني، المجتهد، المرهق، لا يجلب شهرة ولا يحقق مجداً، ولا يدر مالا، وتلك - للأسف - هي لغات العصر.

بل هناك بعض الحمقى ينتقصون هذا العمل، ويعيبون القائمين عليه، ويتهمونهم بإهدار الوقت والجهد والمال، ويقولون: إنه عبث في أكفان الموتى.

أي موتى؟ وأي أكفان؟

إنه تراث الأحياء الخالدين، وميراث الرسالة الخاتمة.

وقد يقول أمثلهم طريقة: إنه مجرد نقل من ورق قديم إلى ورق جديد.

لقد نسوا، بل تناسوا أن محتوى هذه الأوراق نورا اهتدت به البشرية في صنع حضارتها، وإقامة صروح علمها، وبعث الحياة في مجتمعاتها

إنه زاد هذه الأمة، وحياتها، وصانع مجدها، وباني حضارتها، ومؤسس مستقبلها، وما هذه الأمة إلا قائدة - كما أراد الله تعالى لها - تقفو أثرها الأمم، ويأخذ عنها المصلحون، ولو أن قادة الفكر، والقائمين على المراكز العلمية في دول عالمنا الإسلامي أولوا هذا العمل عنايتهم، وأعطوه ما ينبغي أن يُعطى من الرعاية والاهتمام لما له من خطر، وما يتوقف على إحيائه من بعث، وأخذوا على عاتقهم واجب التقدير، والتقديم، والاحترام، والرعاية، والمناصرة للمحققين، والعاملين في خدمة التراث، فشجعوهم، وقدموا لهم

العون، وكشفوا للعالم عن عظيم جهدهم، وكريم عطائهم، وصادق جهادهم، ورائع خدمتهم للإسلام والمسلمين، وأن حركتهم تلك ما هي إلا استجابة صادقة لقوله تعالى:

{ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) }^(١).

لو أن المسؤولين وذوي الغيرة فعلوا هذا، أو قليلاً منه لامتدت حركة الإحياء فما بقيت من تراثنا صفحة، بل كلمة إلا ولبست ثوبا قشيبا، وخرجت إلى أمتنا في أجمل صورة، وأدت دورها في الكشف عن بعض جوانب العظمة في هذا الدين، والتعريف بذخائره، والكشف عن كنوزه، وإخراجه للبشرية أخراجا يتسق وعظمته، ويؤدي واجب المسلمين في الدعوة إلى الله تعالى.

لم يكن هذا الدين أبدا طقوسا دينية فحسب، أو تمتعات غامضة تعجز العقول عن إدراكها، إنه دين يصل الإنسان بخالقه كأحسن ما تكون الصلة، ويربطه بالحياة والأحياء رباطا نظيفا يقوم على الحق، ويدعو إليه.

إنه الدين الذي يجعل من الدنيا مزرعة للأخرة، وطريقا موصلا إلى رضوان الله ومعرفته، وكريم التفاعل مع الحياة والإحياء قال تعالى:

{ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) }^(٢).

1 - آل عمران (١٠٤).

2 - القصص (٧٧).

قرار حكيم

إن انطلاقة الشيخ عبد الله الأنصاري - رحمه الله تعالى - بإدارة الشؤون الدينية، وإصدار طبعات من المصحف الشريف، وطبع بعض كتب التراث، وإتاحة ما يتم إنجازه للمسلمين داخل قطر، وخارجها، ونجاح تلك التجربة، وظهور أثرها، وحديث أبناء الإسلام عنها، وإشاداتهم بقطر، تلك التي أتحتهم كتاب الله تعالى، وبعض ذخائر التراث قد آنس هوّى كريماً، وألفى ذلك - كما رأينا - توجهاً طيباً لدى رجال عظماء، قادوا هذه الأمة وانطلقوا بها إلى سماء المجد، وحلقوا بها - سابقين - في أجواء التنافس على الخير، وأي دين كذلك الدين الذي جعله الله تعالى عزاً ورشاداً، وجعل السبق فيه، فلاحاً وسداداً، به رفع الله ذكر رسوله - صلى الله عليه وسلم - ومن معه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

إنه الدين الذي توج الله به الرسالات، بل جمع الرسل - عليهم الصلاة والسلام جميعاً - عليه.

به ختمت الشرائع، وأتم الله - جلّ وعلا - على البشرية نعمة اتصال الأرض بالسماء، واستقبالها لأنوار الهدى، وإشراقات الحق، ومنهج المعرفة الصحيحة بالله تعالى.

إنه الدين الذي جمع خير الدنيا، ونعيم الآخرة، وعظيم ثوابها، ودعا إليه مسك ختام النبوة محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - وحمله إلى الناس كافة، بل خاطب به الإنس والجن:

يقول عنه ربنا - عز وجل - في محكم كتابه:

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ

{ وَجَّهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠) }^(١)

أكرم به من دين لا يرضى الله غيره، ولا يتقرب إليه عابد إلا به، وما بعث رسولاً من الرسل، أو اصطفى نبياً من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - إلا به!

يقول العلي الأعلى:

{ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) }^(٢)

وإذا كان هذا شأن دين الإسلام فقيمة تراثه من قيمته، وعظمة القائمين به، الآخذين بهداه من عظمته، فما ظنك بمن وهبوا أنفسهم له، وبذلوا النفس والنفيس في سبيله، وسخروا نعم الله فيهم لخدمته دفاعاً عنه، وتذكيراً للغافل، ورداً للشارد، وتبصرة لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ثم مواجهة صريحة قوية لأعداء الحق، الناقمين عليه، لنقول في عزة المؤمن، وفي قوة لمعتصم بالله، كما علمنا ربنا جل ولا:

{ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١) }^(٣)

هذا ديننا، فمن أراد الهدى فليكن كما قال ربنا جل جلاله:

{ فَاقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) }^(٤)

أتمه الله تعالى وأكمله فقال جل شأنه:

1 - آل عمران (١٩، ٢٠).

2 - آل عمران (٨٥).

3 - آل عمران (١٠١).

4 - الروم (٣٠).

{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا }^(١).

وعصمه، وتكفل هو بحفظه، قال تعالى:

{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }^(٢).

هيهات أن تتال منه عداوة، أو يوهنه كيد، قال جل جلاله:

{ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }
(٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُشْرِكُونَ }^(٣).

أي عطاء للحياة والأحياء يقارب معشار عطائه؟

وقد كان حظ حكام قطر (آل ثاني) - وفقهم الله تعالى - من الحرص على إحياء التراث موفوراً، وبذلهم في سبيله سخياً مباركاً، وتخطيط أميرهم وولي هذه الأمين حكيماً حتى ترى أمة الإسلام بين أيدي أبنائها زادا طيباً من هذا التراث، ولمن يسندون هذه الأمانة وهم يعلمون ثقلها؟

ومن يا تُرى في نظرهم يتحمل هذه المسؤولية، ويوليها كل ما يستطيع من صادق الجهد، وخالص العطاء؟

إنه ابن قطر البار، خادم العلم، عبد الله بن إبراهيم الأنصاري.

فصدر قرار مجلس الوزراء رقم (٥) لسنة ١٩٨٢م.

بإنشاء إدارة إحياء التراث الإسلامي، وتكليف الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري بإدراتها، وتسيير أمورها

وإليك نص القرار.

1 - المائدة (٣) .

2 - الحجر (٩) .

3 - التوبة (٣٢ ، ٣٣) .

قرار مجلس الوزراء رقم (٥) لسنة ١٩٨٢

بإنشاء إدارة إحياء التراث الإسلامي (١)

مجلس الوزراء،

بعد الاطلاع على النظام الأساسي المؤقت المعدل، وبخاصة على المادة (٣٤)
منه،

وعلى القانون رقم (٥) لسنة ١٩٧٠ بتحديد صلاحيات الوزراء وتعيين
اختصاصات الوزارات والأجهزة الحكومية الأخرى، والقوانين المعدلة له،
وعلى قرار مجلس الوزراء رقم (٨) لسنة ٩٧٠ بإعادة تنظيم الجهاز الإداري
لوزارة التربية والتعليم،

وعلى اقتراح وزير التربية والتعليم،

قرر ما يلي:

مادة (١)

تتسأ إدارة تسمى (إدارة إحياء التراث الإسلامي) تتبع وزير التربية والتعليم،
ويتولى هذه الإدارة فضيلة الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصاري.
ويكون مسئولاً مباشرة أمام الوزير.

مادة (٢)

تختص الإدارة بدراسة التراث الإسلامي والعمل على حفظه وإحيائه ونشره،
ولها في سبيل تحقيق ذلك القيام بما يلي:

١. الإشراف على طبع المصحف الشريف وتوزيعه.

٢. الإشراف على تنظيم تحفيظ القرآن الكريم وتجويده، وتهيئة المراكز اللازمة لذلك.

٣. المساهمة في نشر كتب التراث الإسلامي والعناية بالمخطوطات الإسلامية القيمة وجمعها وحفظها ودراساتها.

٤. اتخاذ ترتيبات الوعظ والإرشاد في المواسم الدينية.

مادة (٣)

صدر بقرار من الوزير، بناء على اقتراح مدير الإدارة اللوائح التنظيمية والتنفيذية اللازمة لتنفيذ هذا القرار.

مادة (٤)

يلغى كل حكم يخالف أحكام هذا القرار.

مادة (٥)

على جميع الجهات المختصة، كل فيما يخصه، تنفيذ هذا القرار، ويعمل به من تاريخ صدوره، وينشر في الجريدة الرسمية.

خليفة بن حمد آل ثاني

أمير دول قطر

ورئيس مجلس الوزراء

صدر في قصر الدوحة بتاريخ: ٢٤/٨/٢٠٢٤هـ

الموافق: ١٦/٦/١٩٨٢م

إنها لأمانة كبرى، ومسؤولية عظيمة، ومهام تحتاج إلى رجال ذوي عزائم
ينهضون بها، ويخلصون لرسالتها، ويصدقون الله تعالى فيما أنيط بهم.
فمن يكون لها سوى الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري.
ولا أزكيه على الله - فليحمل الأمانة، وليجعل الله قصده، وليسأله العون.

قبول ورجاء

وتلقى الشيخ القرار راضياً عن ربه العلي الأعلى الذي جعله أهلاً لهذه الثقة، راجياً إياه - جل شأنه - أن يهبه من العزم ما يعينه على إحسان الجهد، وإتقان العمل، ومن الرشاد ما يوفقه، ويسدده، فالأمر جد خطير، والعبء تنوء بحمله العسبة أولو القوة، فلا ملجأ له إلا إلى الله، ولا أمل إلا في عونته وتوفيقه، فقد تكون العزيمة، والرغبة في العطاء، وقد يتوفر الجهد، وتتآزر الأسباب الظاهرة، ولكن لا بد من مدد إلهي يرعى تلك العزيمة، ويقوم تلك الرغبة، ويسد الجهد، أو قل: يجعل الأسباب مثمرة ويهيئ له من أمره رشداً.

قَبْلَ وَكَلَهُ رَجَاءٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُبَصِّرَهُ بِمَا فِيهِ خَيْرَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، فراث أمة الإسلام ليس هيناً، والعمل فيه ليس ميسوراً إلا لمن يسره الله تعالى عليه، فالواقف أمام هذه الكنوز يبهره عدوها، ويعجزه حصر فنونها وأنواعها، مع تنوع المذاق في كل نوع، واختلاف العطاء في كل فن، وتباين آثار المؤلفين واتجاهاتهم، ووضوح أثر البيئات والعصور، وبالتالي تفاوت قيمة تلك الذخائر، واختلاف جناها، مع اتفاق أصولها، ووحدة ثوابتها.

فالاختيار في أمر صعب، ومهمة شاقة، ولا بد أن يسبقه بحث ومراجعة، ثم مفاضلة بريئة من الهوى، خالية من التعصب، تتشد الحق، وتطلب أعظم النفع وأيسره، وهنا يظهر فقه من يتصدى لهذا العمل، ويكشف الاختيار عن فطنته، وبصره، ومدى إحاطته بالفن المختار منه، أصوله وفروعه، وطرائق تناوله، ومناهج رواه، وأي المناهج أوفى، وأبلغ في تحقيق المراد.

وهو سيفاضل بين كم ليس بالقليل، ويوازن بين أفكار ومعطيات تختلف باختلاف هؤلاء الذين يقارن بين عطائهم، فالمشارب مختلفة، وعطاء الله لأولئك الأعلام متفاوت، وتفاعلهم مع ما يعالجون من فن متباين تباين

بصمات الأصابع، فالمتصدي لهذا العمل إذا حالفه التوفيق طرح الضعيف الهزيل الذي تتبو عنه العين، وينفر منه الذوق السليم، والطبع القويم، كما يزيح ما جمعه صاحبه دون فقهه، ونقله دون بصره، وعجز عن إبراز دوره، وتحديد رأيه.

أما ما يستحق الوقوف، ويستدعي المراجعة، ويهيب بالمدقق الأريب أن يصحبه، وبالناقد البصير أن يجعله ضمن حصيلته فما يرشحه إلا جودة المادة، وعبقرية العرض، والقدرة على مواجهة الآراء، وانتقاء أرشدها، أو الخروج بجديد، مع مراعاة القارئ، وعصره، وتطورات حياته، والاتجاهات الفكرية المسيطرة، والأهداف التي يرمي إليها هذا الجهد، وغير ذلك من الملابس التي تحتم عليه المواءمة وتقديم ما يستحق التقديم.

ولنتصور معاً أننا أمام ذخائر تراث العقيدة، ما خطه السلف فأجادوا وتفننوا، وما أضافه الخلف وأودعوه ما تيسر لهم من إبداع، وقد طرح الباحث هواه، أو قل: جعل هواه تبعاً لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

ألا يضع لاختياره أسساً وركائز ينهض عليها اختياره، ويبرر بها تفضيله؟

ألا يهتم بحال المأخوذ عنهم، والمنقول لهم؟

وغير ذلك من الاعتبارات التي تجعل الاختيار موضوعياً، وتحفظه - قدر استطاعة - من الميل، وتنزهه عن التعصب.

ولابد قبل هذا من سلامة القلب، ورشد العقيدة، وصدق النية، وحسن التوجه إلى الله تعالى بهذا العمل.

إن العمل جدٌ خطير، والمهمة أشق ما تكون إلا إذا رافقها التوفيق، وصاحبها عون الله تعالى ومدده.

وكما قيل:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجنى عليه اجتهاده

وكأني بالشيخ - رحمه الله تعالى - قد حضرته الآية الكريمة:

{ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا }^(١).

لقد استخار الله - عز وجل - فيمن يكونون عوناً له، خاصة أن المسؤوليات متعددة، وأن الأدوار متباينة، وقد كان - رحمه الله تعالى - حريصاً على الإنجاز الصادق ولو عا بالوفاء لتراثنا الإسلامي الطيب المبارك، يود أن يفتح الله تعالى له آفاق العطاء السخي الخالص لعله يقدم للإنسانية زادا يُعَرِّفُ بالإسلام، ويكشف عن عظمته، ويمدُّ المسلمين في بقاع الأرض بمدد من التراث العريق الذي أضاء العالم قروناً، وغاب عن أبناء الإسلام بفعل الأحقاد المتطاولة التي فرضت على المسلمين التخلف والحرمان حتى من ذخائر تراثهم، بينما أشرقت به مكتبات المستعمرين، وشرفت به متاحفهم، وفاخروا بما ملكوا من مخطوطاته وذخائره، واستقطبوا الباحثين من أبناء الإسلام عرباً أو غير عرب، وأشعلوا حركة الاستشراق، ويسروا للمستشرقين السبيل، وأفسحوا لهم المجال لدراسة الإسلام، ومعرفة اتجاهاته، والإحاطة بجوانب تلك الرسالة الخاتمة، وهي مضيئة ولو كره المشركون.

إن الأمانة عظيمة، وحسن توجيهها، وتحديد مسارها أعظم، غير أن الثقة بالله، والاعتماد عليه، والأخذ بالأسباب مع حسن التوكل ستذلل كل الصعوبات، وتطلق بإدارة إحياء التراث إلى هدفها الأسمى، وغايتها العظمى. لقد أخذ في تكوين جهازها الإداري، واصطفاء ركائزها الفنية، فوضع يده في يد خيرة علماء قطر، ووَثَّقَ الصلة بعلماء ومفكري العالم الإسلامي وخبرائه في كل فروع تراثنا العريق، وحين يقتضي الأمر استقدام لجنة من أي بلد عربي أو إسلامي لا يتوانى لحظة، وقد يسر الله تعالى له الأسباب،

¹ - إبراهيم (١٢).

وهياً له عوامل النجاح، وقد وضع ذلك في مواقف كثيرة منها على سبيل المثال طبع القرآن الكريم على ما يوافق قراءة أبي سعيد عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش المتوفى بمصر عام (١٩٧ هـ) سبع وتسعين ومائة هجرية لقراءة نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني المتوفى بالمدينة المنورة عام (١٦٩ هـ) تسع وستين ومائة هجرية عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وشيبة بن فضال القاضي، ومسلم بن جندب الهذلي، ويزيد بن رومان، وأبي جعفر يزيد بن القعقاع القارئ عن أبي هريرة، وابن عباس، وعبد الله بن عياش، عن أبي كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد أحييت النسخة المختارة للمراجعة، وضبط الرواية، والوقف فيها لفضيلة الشيخ عبد المتعال منصور عرفة، مدير شؤون القرآن الكريم بالأزهر الشريف وشيخ المقارئ المصرية لشؤون تعليم القراءات، والذي يتشرف بخدمة كتاب الله تعالى في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

وقد يتم الاتفاق مع عالم فاضل أو علماء في أي قطر إسلامي لأداء خدمة معينة للإسلام من خلال مراجعة أو تحقيق كما حدث في تحقيق تفسير ابن عطية، حيث كانت البروفات تتقل جواً لتصل إلى المحقق والمعلق الكبير الأستاذ السيد عبد العال السيد إبراهيم رئيس التوجيه التربوي الأسبق بوزارة التربية والتعليم بدولة قطر ثم تعود جواً إلى قطر الحبيبة لتسلم إلى مطابعها.

لقد بذل الشيخ - رحمه الله تعالى - جهداً كبيراً - أسأل الله العلي الأعلى أن يجعله في ميزان حسناته - رغبة منه في الوصول إلى ما هو أفضل دائماً، وقد تحلى - ولا أزكيه على الله تعالى - بتواضع جعله ينزل الناس منازلهم، ويعرف للعلماء قدرهم فكان مستشاروه من العلماء الأكارم مرجعه، ومستودع سره، ومحركات مسيرته، يجتمع بهم، ويسجل آراءهم ليخرج في نهاية المطاف بأوفق الآراء وأنسبها، وكأنه - رحمه الله تعالى - وضع نصب

عينيه قوله تعالى: { **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ**
الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) }^(١).

وهو - رحمه الله تعالى - رجل خير، يحب الناس جميعاً، ويرغب في نفعهم دون تفرقة، لا تحركه الأهواء، ولا تميل به النوازع.

إن الدوحة غاصة بالمطابع، وليها الرغبة في الانتفاع والمساهمة، فقسم العمل بينها مع عدم الإخلال بحق الإدارة، أو التفريط في مصلحتها، حتى لقد كانت مطابع الدوحة تعمل في بعض الأوقات أربعاً وعشرين ساعة أو قريباً من ذلك، بل لقد طبع في بلاد شقيقة، وأفاد الله به كثيراً، ونفع به طوائف وطوائف يعلم الله عدها.

لقد كان أسطول الناقلات إلى مخازن إدارة إحياء التراث ومنها يثير العجب، ويدعو إلى التفاؤل، ويبشر بخيرية هذه الأمة وامتداد الخير فيها.

لقد أتيح لمراجع قيِّمة أن تأخذ مكانها في المكتبات الخاصة والعامة، وأن تعاد طباعتها بعد أن طال بها الوقت حبيسة رفوف المطابع، أو مؤسسات البيع لعلو تكلفتها، وارتفاع قيمتها، وعجز الراغبين عن شرائها.

والتعامل داخل قطر وخارجها أمر ضروري، وهو في حاجة إلى تنسيق فكانت مراكز التوزيع داخل قطر لها مهام ومسئوليات في إمداد الأفراد والمؤسسات، والهيئات، مع الحرص الشديد على أن تؤدي الخدمة بأسلوب مناسب بعيد عن التعقيد، والفلسفات العقيمة، حتى يكون التعامل مع الإدارة محبباً إلى قاصديها، مريحاً لكل الراغبين في التزود أفراداً أو جماعات.

أما خارج قطر فالجهاز الإداري يتلقى المراسلات ويؤلف بينها، فيجمع مطلوبات كل دولة، وتعد رسائل الرد على كل طلب مشفوعة بخطاب

¹ - آل عمران (١٥٩).

شكر، ودعوة إلى معاودة الطلب، ثم تنقل جواً على نفقة الإدارة لتصل إلى طالبها مشفوعة بالشكر، والترغيب في دوام الاتصال.

هذا فضلاً عن القوافل البرية التي كانت تجوب دول الخليج يرافقتها مندوبو الإدارة المكلفون بإيصال كل رسالة، والعودة بقوائم المطالب الجديدة.

إنها مسؤولية يعلم الله وحده خطرها، وتَشَعَّبَ مراحل أدائها، وحاجتها الشديدة إلى كفاءات يُحْمَلُهَا الخلق الكريم، وتسمو بها الخبرة، وتسدها القيادة الرشيدة، ولا أكتم القارئ سرّاً أنني حين أجلس الآن أسترجع شريط ذكريات العمل في هذه الإدارة أقول لنفسي:

كيف تحمل الشيخ - رحمه الله تعالى - هذا كله على الرغم من أن إدارة إحياء التراث لم تكن كل مهامه، فإن عليه معها مسؤوليات أخر جسام؟ كيف نهضت الإدارة بكل هذه الأعباء، وأدت دورها بنجاح أكبره، وأشاد به المنصفون؟

كيف استطاع الكتاب القطري أن يكون بفضل الله - جل شأنه سفيراً لقطر الخير، بلد الإحياء والبعث لخير تراث عرفته البشرية؟ ولكني أعود فأقول:

لقد كان سيدي الوالد الشيخ - غفر الله تعالى له والله حسبيه ولا أزكيه على الله - صادق التوكل، قوي العزيمة، عظيم الثقة بالله، وهو - جل شأنه - القائل:

{ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ }^(١).

وقد كان الله تعالى حسبه - ولا أزكيه على الله تعالى - في كل عمل وليه، أو دور أنيط به.

براعته في تحقيق التراث

للتحقيق قيمته وخطورته، وهو ضرورة لإحياء تراث أمتنا وبهذا الإحياء نحمي أمتنا: حاضرها من الضياع، ومستقبلها من التلاشي، ثم هو عمل يحتاج إلى تبذل وتجرد، والعاملون في مجاله مصابرون صابرون على مشقات هذا الفن ومضائقه.

وعمل المحقق هو خدمة النص لا يزيد على ذلك، ولذا كان الضبط للغريب والمتشابه في أضييق الحدود، وبمنتهى الحذر، مع التنبيه على ما كان من ضبط في المخطوطات إذا خالفه المحقق.

وكذلك يكون التعليق في حدود الضرورة القصوى تخفيفاً للغموض، أو ربطاً لأجزاء الكتاب بعضها ببعض، حتى يثق القارئ من الجهد الذي بذله المحقق في تفهم النص، وتقدير صحته، وكذلك التعليقات التاريخية واللغوية، والفقهية وغيرها.

وأيضاً التعريف بالأعلام والأماكن والوقائع، وترقيم الآيات، وتخريج الأحاديث.

كل ذلك في حدود خدمة النص، وبكل الإيجاز.

فالتحقيق هو العمل على إظهار نص الكتاب المخطوط على الصورة التي أرادها مؤلفه عليها، أو أقرب صورة إليها، وهذا بعد تحقيق اسم المؤلف وعنوان الكتاب ونسبة الكتاب إلى المؤلف.

وليس التحقيق بالعمل الهين، فكم من صعوبات تكتنفه، ومشاق تحيط به، ومشكلات على المحقق أن يواجهها من اختلاف الخط والإملاء، وعدم وضوحه، وتأكله وكثرة السقط، ثم اختلاف الأسلوب، ناهيك بالتصحيف والتحريف الذي لا يعرى منه كاتب ولا ناسخ.

ولقد أدرك الجاحظ قديما أن التحقيق أشقُّ وأصعب من التأليف.

قال الجاحظ في كتابه الحيوان:

((ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيحا أو كلمة ساقطة فيكون إنشاء عشر ورقات من حرّ اللفظ وشريف المعاني أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يرده إلى موضعه من اتصال الكلام))^(١).

هذا إذا كان المؤلف يصلح خطأه، ويحقق كتابته فما بالك بمن يصلح لغيره، ويحقق مكتوبا ربما أتت عليه قرون؟

يقول الأستاذ الكبير المحقق البارع عبد السلام هارون:

((إن تحقيق النصوص محتاج إلى مصابرة، وإلى يقظة علمية، وسخاء في الجهد الذي لا يضمن على الكلمة الواحدة بيوم واحد، وأيام معدودات))^(٢).

وربما كانت صعوبة هذا الفن من أهم أسباب تأخر عنايتنا به، والتفاتنا إليه حتى ظن بعضهم أن التحقيق فنٌّ غربي، وصناعة نقلناها عن المستشرقين، مع أن تلك السمات التي يجب أن تتوفر في المحقق، والأسس التي ينهض عليها هذا الفن أصيله فينا، عميقة الجذور في أسلافنا فقد عرفنا ((أننا ذوو عهد قديم بهذه الدقة المنهجية، في الرواية، والأداء، وكان علماء الحديث عندنا أول من وضعوا أصول هذا المنهج، وضبطوا قواعده، وعنهم أخذها جامعو اللغة، ورواة الشعر والأخبار، قبل أن تسمع الدنيا بكلمة الاستشراق))^(٣).

وقد سبق في هذا الميدان أفذاذ، وتصدى له عمالقة منذ نشأته حتى عصرنا الحاضر يتناقلون رايته جيلا بعد جيل مؤكدين أننا أربابه، وأهل العلم،

¹ - تحقيق النصوص ونشرها للأستاذ عبد السلام هارون.

² - نفس المصدر السابق.

³ - تراثنا بين شرق وغرب د. بنت الشاطيء.

والسابقون فيه ميزنا الله تعالى به من أصول ثوابت، وصلة وثيقة بالعطاء العلمي.

وشأن التحقيق شأن غيره من ميادين العطاء المتميز، والأعمال العظيمة التي يهين الله تعالى لها عظماء أكفاء يرتادونها فيعرفون بها، وتعرف بهم، ويعبدون طريقها، ويرسون القواعد، ويخطون المناهج، وسرعان ما ينبت أقوام لا صلة لهم بهذا المجال، وليس لديهم من القدرات ما يجعلهم أهلاً لأن يخوضوا غمار هذا الفن، ولكنها الرغبة في أن يجدوا لأنفسهم مكاناً بين أسماء المحققين، أو السعي في تحصيل مال أو شهرة، ولا يدرون أنهم يسيئون إلى أمتهم، قبل أن يسيئوا إلى أنفسهم ويشوهون تراثها بثمن بخس.

تقول الأستاذة الدكتورة الباحثة المحققة (بنت الشاطي) ((وبدا لنا واضحاً أن أكثر القوم هنا لم يقصدوا إلى شيء من النشر العلمي، ولا عناهم أن يثقلوا على أنفسهم ببعض أعبائه وتبعاته، ولا أن يضبطوا أقلامهم بشيء من نظمه ومناهجه، وإنما اتخذوا النشر وسيلة ارتزاق فحسب، وجعلوا طبع المخطوطات تجارة، لا مجال فيها لتقدير حرمة النصوص، أو احترام أمانة العلم))⁽¹⁾.

ولو قدر لنا أن نعلم كيف تستوقف المحقق لفظة، وتستدعي كل ما لديه من خبرة، وما جمع طول حياته من دراية باللغة، ومعايشة لكلماتها وعلومها لأدركنا عظمة هذا العمل فإذا فرغ من اللغة طالعتة جوانب تخصصية تتعلق بالرواية والرواة - مثلاً - أو الآراء وصحة ردها إلى أصحابها، أو الوقوف أمام بعض الحقائق العلمية، وغير ذلك كثير.

فالتحقيق لا تكفيه ملكة واحدة، بل ملكات، ولا تنهض به براعة في علم بل سبق في علوم، وإلا سقط التحقيق والمحقق.

¹ - تراثنا بين شرق وغرب د. بنت الشاطي.

ولقد كان الشيخ - رحمه الله تعالى - عارفا بصعوبة التحقيق، خبيراً بمتطلباته، أميناً على ما استودعه الله من ذخائر، ينتدب لكل علم أوثق من يعرف صلة به، وأعرفهم بقضاياهم، وإن أقام خارج قطر، فليس يرى حرجاً في إرسال الكتب بالطائرة إلى أي جهة من جهات العالم ليحققها من هو أهل لهذا، ثم يبعث بها إلى قطر، ثم ترسل إليه البروفات للمراجعة، وهكذا حتى يكتمل العمل، ويخرج إلى القارئ، ناهيك عن قسوة ما يلاقي من صعوبات، وما يعرض له من مشكلات.

إن التحقيق - وما أعظمه من عمل! - فن يحتاج إلى سعة أفق، وعمق دراية، وطول خبرة، وامتلاك ثروة هائلة من أصول وتفريعات علوم مختلفة، فقد تستوقف المحقق لفظة، أو تقعد به عبارة، ليقول قولة علم:

أهذه الكلمة ابنة الضاد أم وافدة عليها؟

فإذا كانت عربية الأصل والمولد فما مدى الدقة في ضبطها وما قيمتها في موقعها؟ وما مدى التوفيق في انتخابها؟

وهل تغني غناءها كلمة أخرى أم لا؟

أسئلة كثيرة تتطلب إجابة، وتستدعي توثيقاً، لنخلص إلى الهدف منها، ومدى تحققه.

أما إن كانت وافدة على اللغة العربية فالإلى أي لسان تنتمي؟ وما بدء دخولها؟ وما ملابساته؟ وهل نالها يد الإصلاح والتهذيب حتى تتسق وذوقنا، وتستقيم مع لساننا؟

أم جاءت على صورتها، وبقيت كما هي؟

والواقع العملي يؤكد أن اللفظ قد يستغرق وقتاً وجهداً يختلف باختلاف المحقق، وحظه العلمي من اللغة وعلومها.

ويصل إلى أيدي القراء خالصاً مُصَفًّى.

وقد شمل التحقيق فنوناً مختلفة، وأسهم معه فيه من أسهم من مفكري الإسلام داخل البلاد وخارجها ممن تطمئن إليه نفسه، ويحدث عنه علمه، وتقدمه خبرته مهما كلفت مشاركته من جهد، أو استلذمت من تبعات مادية أو غيرها.

خبرته الفنية في إخراج كتب التراث

ثم يأتي دور الإخراج، فإذا بالشيخ - رحمه الله تعالى - فني متخصص خبير يحدد بدقة كل ما يتصل بالطبع مراعيًا الجمال والإتقان في كل ما يتصل بالكتاب المطبوع حتى يصل إلى يد القارئ.

وبإمعان النظر في طبع كتاب (عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي) لمؤلفه (إسماعيل بن أبي بكر المقرئ).

تجد نفسك - بعد أن يتأكد لك أن كل اللمسات الفنية في إخراج الكتاب من فكر الشيخ رحمه الله تعالى - تسأل: ألقى الشيخ شطراً من عمره في صنعة الطباعة حتى تسنى له هذا الحدق، وانقادت له تلك المهارة المعبرة عن ذوق رفيع، وعبقرية فذة؟

والحقيقة غير ذلك، لقد خالط بحكم موقعه ورغبته أهل هذا الفن، ولكنه لم يتلمذ على يد واحد منهم، غير أن حبه للكتاب، وحرصه على القارئ، ورغبته في التيسير عليه حتى لا يمل، أو يتعلل بصعوبة الوصول إلى هدفه دفعة ذلك كله إلى التفكير الصادق الجاد في أن يكون الكتاب في يد قارئه تحفة فنية مثيرة لانتباه حامله فضلاً عما تحوي من علم.

والكتاب الذي نتحدث عنه جمع خمسة علوم هي (الفقه على مذهب الإمام الشافعي، والعروض، والتاريخ، والنحو، والقوافي) وهي مجتمعة في كل سطر من سطور الكتاب، وعلى القارئ أن يأخذ من كل سطر ما يتصل بكل علم من هذه العلوم ليصل في النهاية إلى تجميع لمسائل كل فن من هذه الفنون، على حدة دون أن يختلط عليه أمره.

ترى ماذا يفعل الشيخ؟

لقد أثبتت أعمدة في كل صفحة انتهى كل عمودين منها بقبة، واستخدم أربعة ألوان، مضافاً إليها لون الصفحة (الأبيض) فيكون المجموع خمسة ألوان، يمضي كل لون منها بالقارئ في طريق خاص لاستكمال معلومات علم خاص، وتأسياً بالشيخ الكريم - رحمه الله - لن أرهق القارئ الكريم ولكني سأثبت له صفحة من هذا الكتاب، لنستنتج معاً محتواها، فأليك أيها العزيز الكريم ص ٦٨ من الكتاب.

وبمراجعة هذه الصفحة من كتاب (عنوان الشرق الوافي) يتبين لك عظمة هذا الفكر، وتتضح عبقرية هذا الشيخ - رحمه الله تعالى - ، فقد أضاف إلى اللون الأصلي للورق وهو الأبيض أربعة ألوان في صورة أعمدة يضم كل عمود منها علماً مستقلاً، وفوق كل عمودين قبة أخذت لون أحدهما.

فالعمود الأخضر استقل بعلم العروس، وقد جمعت القبة الخضراء ما فيه ثم أدخل محتوى القبة فيه في صورة أحرف مفرقة، فيقول: ومبني على (مستغلن فاعلاتن فاعلاتن)، وهو بهذا يشير إلى تفاعلات بناء المجتث أحد البحور العروضية، فإذا انتقلنا إلى العمود الأزرق طالعك تاريخ (بني الرسول) من ملوك اليمن، فيقول (ملك رجلاً كاملاً، وأقام في الملك عن خمس وعشرين عاماً وأشهر، وكانت وفاته).

ويستطرد في الصفحة التالية فيقول محمداً مكان الوفاة وتاريخها:

(بداره في الشجرة في قبالة تعز المحروس أول ليلة من ذي الحجة سنة إحدى وعشرين)، أما اللون الأخضر الفاتح فمخصص للنحو، وفيه يتحدث عن الحال متمماً ما بدأه في الصفحة السابقة حيث قال:

((والحال منصوب أبداً وهو)) ثم يكمل في الصفحة التي نحن بصددتها فيقول ك ((كل اسم نكرة جا (أي جاء) بعد اسم معرفة، قد تم الكلام دونه يقولون من ذلك جاء زيد رجلاً نصبت)) أي فحكمه النصب فإذا ما

رحلنا سوياً إلى العمود الأصفر في آخر الصفحة استقبلك علم القوافي فيصل هذه الصفحة بالصفحتين السابقتين حيث يقول فيهما ((والمطلق يلزمه حركتان، وثلاثة أحرف، فالحرك)).

ثم يكمل في الصفحة المشرقة بين يديك بقوله: ((تان لتكمل كلمة - فالحركتان -) المجرى والنفاذ ، والأحرف الروي والوصل والخروج)) فيضعك أمام مصطلحات من علم القوافي تسعد بها أخي القارئ الكريم - إن كنت من عشاق هذا الفن (علم العروض) حين تظفر بنسخة من هذا الكتاب العجيب فإذا عدت إلى قراءة السطور بما فيها حروف العمودين الأوسطين رحب بك فقه الشافعي، ففي وسط السطر من الصفحة (باب الضمان) ((وكل من صحت منه تصرفات ماله صح ضمانه، والموانع من التصرفات في المال تمنع منه إلا المحجور بالفلس فلا بطلان ل ضمانه)) هيا بنا - أخي الحبيب - إلى نفس الصفحة لأحدثك عن سر تضبط به بدء السطر ونهايته، فهو يبدأ بنفس الحرف الموازي له في العمود الأخضر، بينما ينتهي بنفس الحرف الموازي له في العمود الأصفر، وأضاف سيدي الوالد الشيخ - رحمه الله تعالى - مثلثة قطرب، والمقصود بالمثلثة أن تضبط أول حرف من الكلمة (ضمّاً وفتحاً وكسراً)، وقد طبع في تجويف القبة الأولى الشطر الأول من البيت، وفي القبة الثانية الشطر الثاني منه فنرى في هذه الصفحة قول قطرب:

ذَلْفَتْ نَحْوَ الشَّرْبِ فَلَمْ أَدْرِ عَنْ شَرِبِ

وفي الصفحة التالية يكمل:

فانقلبوا بالشُّربِ ولم يخافوا غضبي

ثم يوضح المراد من الكلمات الثلاث في صفحتين أخريين:

بالفتح جمع الأشرِبِه والكسر ماء شَرِبِه

والضم ماء العنب عند حضور العنب

فاكتملت في الكتاب خمسة علوم، ومعها تلك المثلثة، وما وقف فكر الشيخ عند هذا بل أتبع الكتاب ملحقاً ذكر فيه كل علم على حدة، ثم المثلثة أي عطاء هذا؟ حتى في التعامل مع الألوان ليميز أشياء متلاصقة؟ { **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩)؟** }^(١).

وما كانت الحكمة حروفاً ترسم، أو قولاً تسير به الركبان، وإنما هي - والله تعالى أعلم بمراده - توفيق يصحب المنعم عليه بالحكمة في كل ما يأتي أو يذر، توفيق يستوعب حياته كلها لحظة بلحظة خلا من الناس أو اجتمع بهم، عالج أموره الخاصة أو فرغ لحاجات الآخرين.

¹ - البقرة (٢٦٩) .



إظهار الحق

مع سفر جليل

أعاد الشيخ طبعه

كتاب كان دافعه يقيناً ثابتاً ، وحباً خالصاً لله تعالى ورسوله صلى الله وسلم ورغبة صادقة في الجهاد استجابة للأمر الإلهي: { **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ** } (٧٨) ^(١).

وإعلاء لكلمة الله تعالى ، ودحضا للكفر وأهله وتصديقا بوعد الله تعالى ، وإيماننا بما خص به عباده المؤمنين من نصر:

{ **وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨)** } ^(٢).

وقوله جل شأنه:

{ **وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)** } ^(٣).

وجهرا بالدعوة إلى هذا الدين الذي بعث الله تعالى به رسله عليهم الصلاة والسلام ، ثم أرسل به مسك ختام أنبيائه محمداً صلى الله عليه وسلم ، يقول العلي الأعلى:

{ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً** } (٢٨) ^(٤).

1 - الحج (٧٨).

2 - الأنفال (٧، ٨).

3 - الصفات (١٧٣).

4 - الفتح (٢٨).

لقد استعمر الإنجليز الهند، وأداروا شؤونها، وجاسوا خلال شبه القارة الهندية زاعمين أنهم قادرون عليها، قاهرون من فيها، غير أنهم حين رجعوا إلى أنفسهم لم يسلّموا لهذا الزعم، ولم يصدقوا أنهم سيطروا تماماً على تلك القارة المترامية الأطراف، المختلفة اللغات، المتباينة العقائد والديانات.

إنهم إن سيطروا على هذا الخليط، وساقوهم سوق الأنعام فإن في تلك الأمة جماعة لا تخضع، ولا تذلل إلا لله، ولا تنقاد إلا للحق الذي آمنت به، تضحى في سبيله، وتجاهد لإعلاء رايته، لا تخشى في الله قوة طاغ، ولا صولة جبار؛ لعل الله تعالى يجعلهم ممن قال فيهم:

{ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) }^(١).

إنهم جماعة المسلمين الذين آمنوا بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً، وأخذوا على أنفسهم ميثاقاً غليظاً أن يكونوا لله أحياء وأمواتاً؛ فإن عزت الحياة على الإيمان فالشهادة حياة خالدة؛ فماذا يضيرهم إن ماتوا أو قتلوا؟ بل إن الموت أحب إليهم من الحياة شأنهم شأن سلفهم، ولم لا يطمعون في أن يكونوا ممن قال الله تعالى فيهم:

{ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرحين بما آتاهم الله من فضله وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) }^(٢).

1 - آل عمران (١٧٣).

2 - آل عمران (١٦٩ : ١٧١).

لقد أطلق الاستعمار كلاباً مسعورة، امتلأت قلوبهم غيظاً، وفاضت نفوسهم حقداً، فدعوا إلى النصرانية، والمسيح - عليه السلام - منهم براء، ولو كان حياً ما وسعه إلا أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم.

ولم لا وقد أخذ الله تعالى على رسله - عليهم الصلاة والسلام - العهد أن يؤمنوا بالرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم؟

{ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) }^(١).

ألم تكن البشارة بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم من صميم رسالته يقول الحق تبارك وتعالى:

{ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦) }^(٢).

لقد جمعت أوروبا من ربوا على البغضاء للإسلام، وأشربوا عداوته، ونشئوا على الكيد له، ووقفوا أنفسهم على حربه، وما كان مبعث هذا غيره على المسيح، أو اقتناعاً بما جاء به، لكنه الحقد المتوارث، والغل الذي أعمى العيون، وغلف القلوب، وطمس البصائر.

لقد انطلق القسس في شبه القارة الهندية، والمتصرفون الهنود ينشرون سمومهم، وينفثون في الناس أحقادهم، يسفهنون ما جاء به الإسلام، وينكرون رسالة النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، ويهاجمون علماء المسلمين، ويصفونهم بالخور والجبن وضعف الحججة، وأنهم غير قادرين على

1 - آل عمران (٨١) .

2 - الصف (٦)

إثبات صحة هذا الدين، وعلى رأسه القرآن الكريم، ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم ليصلوا إلى هدفهم الأسمى، وغايتهم التي سخرت لها أوربا كل إمكانياتها ألا وهي سيادة النصرانية، وألوهية المسيح بن مريم - ولعنوا بما قالوا - .

{ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبِّينَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَّكُونَ (٧٥) }^(١).

واستغل هؤلاء الأفاكون ضعف المسلمين، وتوالي المصائب عليهم، وانتشار الأمية والتخلف في أكثرهم، وتصعد صفوفهم، وانخداع عامتهم بزخرف الحضارة الأوروبية، مما أتاح لدعوتهم أن تترك صدىً في قلة قليلة من عامة الناس وجهالهم.

انتشر القسس الأوروبيون، والمتصرفون الهنود في مدن الهند وقراها في نشاط بالغ، وحماس مغرور يدعون إلى دين الفاتحين الأقوياء الذين أعدوا أنفسهم لحرب ظنوا آخرها لهم وهم غافلون.

وكان علماء المسلمين مشغولين بما ورثوا من علوم شرعية، وبحوث كلامية، ومباحث في الفقه والحديث والتفسير غير مهتمين بدراسة النصرانية، ومعرفة تاريخها، والوقوف على تطوراتها، وعبث الحكومات والمجامع بعهدتها القديم والجديد، وما أصابها من تحريف مسخ صورة الكتاب المنزل، وشوه دعوة المسيح، وافترى على الله الكذب، وأضاف إلى المسيح - عليه السلام - ما هو منه براء، وربما حملهم على ذلك يقينهم بعظمة الإسلام، وإيمانهم الراسخ بأنه الدين الخاتم المؤيد بعون الله ومدده، فجعلوا شغلهم بما يفيد المسلمين.

لقد غاب أنَّ الحقد قديم، وأنَّ الغيظ متوارث، وأنَّ أعداء الإسلام يُجمِعون على حربه، وإنَّ اختلفت أهواؤهم، وتباينت عقائدهم، وكان بأسهم بينهم شديداً.

وكان هذا الزحف الغاشم مفاجأةً بيّتها الكافرون بليل، وتحذوا بها علماء الإسلام، وصالوا بها وجالوا في صلف وتيه وأياماً كان هذا الأمر فلا بد من المواجهة دفاعاً عن دين الله، وتبصيراً لخير أمة أخرجت للناس بما أعده الله تعالى لها من نصر، ولدينها من ظهور، ولو كره المشركون.

ولكن أئى تكون المواجهة ولسان هؤلاء الكذبة إنجليزي ومراجعهم مدونة بتلك اللغة البغيضة، لغة المستعمر الكافر الحانق المعاند؟ وقد تكون مسجلة باللاتينية، أو غيرها من لغات المستعمرين.

ألهمت شعاراتهم، ومفترياتهم في طول البلاد وعرضها، وسخرتهم من الإسلام وعلمائه حمية الشيخ محمد رحمة الكيرانوي العثماني.

وإن كان كغيره من العلماء المسلمين لا علم له بتلك المباحث، ولا معرفة له بلغة الأثمين، ولا إطلاع له على أسفارهم الكاذبة غير أن ذلك لم يثته عن عزمه، ولم يفت في عضده، بل زاده إصراراً، وألزمه اعتصاماً بالحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وعاهد الله تعالى ليخوض المعركة مهاجماً لا مدافعاً، ونذر ألا يهدأ حتى ينازل الظالمين، ويكسوهم - بمدد من الله تعالى - ذلاً، ويورثهم عاراً، ويجعلهم سخرية الأجيال.

وضاعف من حماسه قدوم القس ذائع الصيت (فندر) من إنجلترا، وتحديه السافر لعلماء المسلمين، وحركته الدائبة في مديريات الهند، يندد بالإسلام، ويغشى المحافل لعيبه، وانتقاصه، وتحقير أتباعه.

ولصدق نية الشيخ (رحمه الله) وحسن توكله على الله قيض الله تعالى له مسلماً غيوراً هو (الدكتور محمد وزير خان الأكبر أبادي)، وكان قد

سافر إلى لندن عام (١٩٣٢ م)، ودرس الطبَّ الجديد بها، وأتقن الإنجليزية، واللاتينية، وعُنِيَ بدراسة المسيحية من مصادرها، واهتم باقتناء كتبها، وعاد إلى الهند بتلك المكتبة الثمينة التي شاء الله تعالى أن تكون ناراً على أعداء الله ورسوله، وكان عضد الشيخ في هذا الجهاد الكبير.

{ **وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٧)** }^(١).

وطغى (فندر) وظن أن الميدان قد خلا له، وأعتقد أن أمة الإسلام لم ترزق بمن يتصدى لمكره، ويدمر غروره وكبرياءه.

وهنا جهر الشيخ (رحمه الله) بالرغبة في المناظرة لذلك القس اللعين رأس الكفر، ولسان السوء، وألحَّ في ذلك، وأصرَّ على أن يكون في جمع حافل، ولأحقَّ اللعين (فندر)، واستعان بكل من يرى فيه تأثيراً، ولما رأى الكذاب الأشرُّ أنه لا مفرَّ من هذا اللقاء أعلن قبوله، وتقرر عقد المناظرة في ١١ من رجب عام (١٢٧٠ هـ) الموافق ١٠ من إبريل عام (١٨٥٤ م) في أكبر أباد، أكره بلاد الهند إلى المسلمين، وأشدّها تعصباً ضد الإسلام، وأكبرها نشاطاً في الحركة التصيرية، وكان اللقاء في حي عُرفَ بحارة عبد المسيح. وجاء موعد اللقاء، وحانت ساعته، وحضر ولاة المديرية من حكام وقضاة، وبعض كبار موظفي الثكنة الإنجليزية من الإنجليز، وعدد من أعيان البلد ووجهائه، وحشد كبير من المسلمين والنصارى والهنادك والسيخ، وحضر اللعين (فندر) وإلى جواره شيطان آخر هو القس (وليم كلين)، وأشرقت المنصة بداعي الإيمان الشيخ (محمد رحمة الله) وإلى جواره الدكتور (محمد وزير خان) رفيق جهاده وكان التناظر في خمس قضايا هي:

١. التحريف في الكتاب المقدس.

٢. وقوع النسخ.

¹ - الفتح (٧) .

٣. التثليث.

٤. نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم.

٥. صدق القرآن وصحته.

وقد تقرر إذا انتصر الشيخ (رحمة الله) يدخل (فندر) الإسلام، وإذا كان الأمر على خلاف ذلك يعلن الشيخ (رحمة الله) تنصره، وقبل الشيخ ذلك موقناً بأن الغلب له، وأن الله منجز له ما وعد به رسله - عليهم الصلاة والسلام - وعبادة المؤمنين.

ألم يقل جل شأنه:

{ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) }^(١).

وقال تعالى:

{ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١) }^(٢).

ألم يسبق إلينا تلك البشارة الربانية:

{ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٨) }^(٣).

وانبرى الشيخ (رحمة الله) بما أتاه الله من حجة، وما أفاض عليه من حكمة، وما بصَّره به من مقاتلٍ عدو الله (فندر)، وقد تبوأ موقف المهاجم، وأنزل المغرور المهين خصمه منزلة المدافع الهزيل الذي فرَّ عنه نصراؤه، وتكبرت له أسلحته، وزال عنه الرشاد، وقاطعه السداد.

وكانت المفاجأة التي هزت أركان الهند؛ لقد اعترف (فندر) بوقوع التحريف في ثمانية مواضع من الإنجيل، وقد أفزع ذلك الولاة وأشياعه،

¹ - الصفات (١٧٣).

² - غافر (٥١).

³ - المنافقون (٨).

ولكنه سهم أطلق من القوس فلا راد له، وفرح المؤمنون بنصر الله، وتزايد عدد الحاضرين في الغد، وتزايد عدد حكام الإنجليز والنصارى والهنادك والسيخ، وحضر جمع غفير من المسلمين وأصرَّ (فندر) على أن الأخطاء التي وقعت في الإنجيل كانت من سهو الكاتب، أما العبارات التي تتضمن عقيدة التثليث، والوهية المسيح، والفداء، والشفاعة فهي - حسب زعمه - مصونة من التحريف، وقد ردَّ عليه الشيخ المجاهد (رحمه الله) بقوله:

((إنك ما دمت قد اعترفت بوقوع التحريف في الإنجيل فقد أصبح هذا الكتاب مشكوكاً فيه برُمته)).

وجاء اليوم الثالث وفاق في كثرة حضوره اليومين السابقين، ولكن القسَّ (فندر) لم يحضر للمناظرة، فكان ذلك انسحاباً من المناظرة، وكان انتصاراً رائعاً للمسلمين، قويت به معنوياتهم، وتشجعوا على مواجهة القسس، وردَّ مفترياتهم، وفقدت الدعوة التنصيرية قيمتها، والكثير من اعتبارها.

وبعد عامين قامت ثورة عام (١٨٥٧م) التي كانت المحاولة الأخير للتخلص من الاستعمار الإنجليزي، وعلى أثر إخفاقها تعرَّض المسلمون لرد فعل عنيف من الإنجليز الذين اعتبروا المسلمين أصحاب الفكرة والقيادة في هذا الجهاد، والمواطنين تابعين لهم، فكان حنقهم شديداً على علماء الإسلام عامة، وأهل الخطر منهم خاصة، ومن له شأنه في المجتمع الهندي؛ فنصبوا المشانق، وصَبُّوا العذاب ألواناً، وبحثوا عن كل من كانت له كلمة مسموعة، وفي مقدمتهم الشيخ (رحمة الله)، واختفى الشيخ في قرية صغيرة، ولما دخلت الجيوش الإنجليزية تلك القرية أخذ المنجل، ودخل مزرعة، وتشاغل بالحصاد كفلاح صغير مغمور، واستطاع بذلك أن ينجو بنفسه، ويصل إلى ميناء (سورت) الهندي وهاجر منه إلى مكة المكرمة،

وصودرت أملاكه، وكانت كثيرة، وبيعت بالمزاد العلني، وما يضيره هذا،
أو يحرك منه ساكناً، فلعل الله يجعله خلفاً لمن قال جل شأنه فيهم:

{ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ }^(١).

وفي (أم القرى) - باركها الله - عرفت منزلته، وشاع بلاؤه في الدفاع عن
الإسلام، وسمح له بالتدريس في بيت الله الحرام، وتوثقت الصلة بينه وبين
عالم مكة الجليل الشيخ أحمد بن زيني دحلان - رحمهما الله تعالى -
وكان له الفضل في التعريف بالشيخ (رحمة الله) عند شريف مكة
وعلمائها وأعيانها.

وبعد أعوام قضاها اللعين (فندر) في أقطار أوروبا أرسلته الإرسالية
الكنسية في (لندن) إلى (القسطنطينية) ليقوم بالدعوة التنصيرية في مقر
الخلافة الإسلامية وقلب العالم الإسلامي، وقد قابل السلطان (عبد العزيز)
وحكى له قصة المناظرة، وأنه كان للنصرانية فيها انتصار على الإسلام،
وأهم ذلك خليفة المسلمين، فكتب إلى شريف مكة يأمر بالاتصال بأهل
الخبرة من حجاج الهند، والحصول على المعلومات الصحيحة عن هذه
المناظرة، وإحاطة الباب العالي بحقيقة الأمر، وكان الشريف قد اطلع على
حقيقة الأمر عن طريق شيخ العلماء السيد (أحمد دحلان) فكتب بذلك
إلى الأستانة، وذكر أن الشيخ المناظر بمكة، ومن مدرسي المسجد
الحرام، فأنفذ السلطان بطلبه إلى الأستانة، وتوجه الشيخ إليها عام
(١٢٨٠ هـ)، (١٨٦٤ م)، ولما علم القس اللعين (فندر) بتوجه الشيخ إلى
(القسطنطينية) غادر العاصمة لساعته، وعقد السلطان مجلساً للعلماء
والوزراء حكى فيه الشيخ قصة المناظرة وكيف انتصر الإسلام، وقصَّ خبر
ثورة (١٨٥٧ م) وحينئذ فرض السلطان قوانين صارمة لإيقاف نشاط
المنصرين والإرساليين في الدولة العثمانية، وكثيراً، ما كان يجلس بعد

صلاة العشاء، ويصغي إلى حديث الشيخ، ويحضر هذا المجلس (خير الدين باشا التونسي) الصدر الأعظم، وكذا شيخ الإسلام، وغيره من العلماء.

واقترح السلطان عبد العزيز والصدر الأعظم على الشيخ أن يؤلف كتاباً بالعربية يحكي قصة هذه المناظرة، ويتناول القضايا الخمس التي دار عليها البحث في المناظرة، بالتحقيق والتفصيل، وقبل الشيخ الاقتراح، وأخذ في كتابة هذا الكتاب وهو مقيم بالآستانة في شهر رجب (١٢٨٠ هـ)، وأكمله في ذي الحجة من السنة نفسها؛ أي في ستة أشهر، وقدمه إلى السلطان، ولكنه ذكر في المقدمة أن هذا التأليف كان تحقيقاً لرغبة شيخ علماء مكة السيد (أحمد زيني دحلان)، فكلمه في ذلك الصدر الأعظم، وقال: إنه كان امتثالاً لأمر أمير المؤمنين، فكان اللائق أن ينوه بذلك إكراماً لمركز الخلافة، فاعتذر الشيخ، وقال: إن هذا العمل كان واجباً أن يكون خالصاً لوجه الله، لا يشوبه غرض دنيوي، أو تزلف إلى أمير أو سلطان، وقد سبق أن شيخ العلماء رغب في ذلك، وترجى في أن أقيّد خبر هذه المناظرة، وكنت قد بدأت بجمع بعض المواد في مكة، وله فضل في تقديمي إلى شريف مكة، وهو الذي كان السبب في وصولي إلى سدة الخلافة؛ لذلك آثرته بالذكر، والاعتراف بالفضل وقد كان الإقبال على هذا الكتاب كبيراً، والعناية به عظيمة، فظهرت أولى طبعاته عام (١٢٨١ هـ) في اسطنبول بالعربية، ونقله عالم تركي إلى التركية، وسماه (إبراز الحق)، وقامت الحكومة العثمانية بترجمته إلى عدة لغات أوربية، ونقله إلى الإنجليزية أحد الكتاب الإنجليز في الهند، ولا زالت هذه الترجمة في مكتبات الهند وباكستان.

كما ترجمه الشيخ غلام محمد الرانديري إلى الكجراتية إحدى لغات الهند الإقليمية، وترجمه أخيراً إلى اللغة الأوردية الشيخ أكبر على السهارنפורي، أستاذ الحديث في دار العلوم (في كراتشي) باسم (بائيل سي قرآن تك)

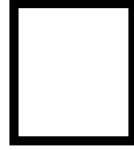
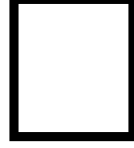
أي (من العهدين القديم والجديد إلى القرآن) وهذه الترجمة في ثلاث مجلدات.

واشترى القسس كميات كبيرة من طبعات الكتاب، وأتلفوها إحراقاً وإبادة ليغيب الكتاب عن السوق، وقد أعيد طبعه في مصر مراراً، كما قامت وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية المغربية بطبعه طبعة ممتازة عام (١٣٨٤هـ)، وأثنى على الكتاب، وأشاد يعلو مكانته كبار علماء الإسلام في المشرق العربي.

أما الأوساط النصرانية فناهيك بما كتبته كبرى صحف إنجلترا تعليقاً على هذا الكتاب.

(لو أدام الناس يقرؤون هذه الكتاب لوقف تقدم المسيحية في العالم).

وأعتقد أن أخي القارئ أصبح مشوقاً إلى ذلك السفر النفيس، متطلعاً إلى أن يحوز نسخة منه، حريصاً على أن يطالعه بنفسه وسوف يصل إلى أعماق وأكثر من هذه العجالة، ولعل هذا أحد الدوافع التي حفزت الشيخ عبد الله (رحمه الله تعالى) على طبعه وإصدار آلاف النسخ منه، وإمداد المكتبات العامة في الدول الإسلامية، وكذلك مكتبات المراكز الإسلامية في العالم، وفاء للعقيدة وبراً بالعلم، وتبصيراً لكل مسلم حتى تشرق جوانحه بنور الإيمان، وتسمو معرفته بمسك ختام الأديان، ويزداد يقينا بعزة هذا الدين وأهله.



نفايس من التراث

رغبة منا في إيقاف القارئ على بعض جهود الشيخ في إحياء التراث راجعت ما لدى الأسرة من أوراق وما تحوي مخلفات الشيخ - رحمه الله تعالى - من قوائم أو إشارات إلى كتب سواء كان هذا في إدارته للشؤون الدينية، أو في توليه لإدارة إحياء التراث، وأحصينا ما ضمت مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة من أسفار، واتصلنا ببعض المكتبات العامة في دوحة الخير لحصر ما فيها من كتب للشيخ - رحمه الله تعالى - جهد فيها، ودور في إبرازها إلى الوجود حتى اجتمع لنا هذا القدر، وربما غاب عنا كثير؛ حيث رحل عنا إلى درا البقاء لأكثر من عشر سنوات، وتوقف العمل بإدارة إحياء التراث لمثل هذا الوقت أو قريب، ولذا لا أستبعد أن يكون لدى القارئ الكريم بعض مطبوعات لم ترد في القائمة التالية، وأسأله أن يعلمنا بما قد يكون، والله أسأل أن يجزي خادم العلم بما قدم، وأن يجعل عمله موصولاً بمطالعة كل قارئ، واستزادة كل باحث، والله على ما يشاء قدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

م	العنوان	المؤلف	عمل فضيلة الشيخ
١	ISLAM AND CONTEMPORARY THOUGHT FOUR PUPUBLICLECTURES	MOHAME EL-SHAARWI	PUBLICATION DONE UNER THE SUPREVISION
٢	THE MUSLIM BOOK OF PRAYER	MAHMOUD MAHMOUD AL-SAWWAF	PUBLICATION DONE UNER THE SUPERVISION
3	أحسن القصص أو = سيرة جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ملك الحجاز ونجد وملحقاتها.	خالد بن محمد الفرج	عني بطبعة ومراجعته
٤	أخي الصائم : سبحات وخواطر	أسعد الكاشف	عني بطبعه
٥	الآداب الاجتماعية في الإسلام	محمد سعيد مبيض	تحقيق
٦	أذكار الفلاح في أذكار المساء والصباح	خادم العلم عبد الله إبراهيم الأنصاري	تأليف
٧	الأربعون الصغرى	أحمد بن الحسين البيهقي	تأليف
٨	الإرشاد إلى مناسك الحج والاعتماد	عبد الله إبراهيم الأنصاري	تأليف
٩	إرشاد الحيران لمعرفة آي القرآن	إبراهيم بن عبد الله الأنصاري	حققه وعني بطبعه ونشره
١٠	إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد	عبد العزيز محمد سلمان	عني بطبعه ونشره
١١	أستاذ المرأة	محمد سالم البحاني	حققه وراجعته
١٢	إسلام أنفوكس	محمد بن سالم البحاني	حققه وراجعته
١٣	الإسلام في وجه الزحف الأحمر	محمد الغزالي	عني بنشره
١٤	أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب	محمد بن السيد درويش الحوت	عني بطبعه ونشره
١٥	الإشراف على مذاهب أهل العلم	الحافظ محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري	عني بطبعه ونشره
١٦	أشعة الأنوار على مرويات الأخبار في سيرة النبي المختار وآله وصحابته الأخيار	محمد بن سالم البحاني	تقديم
١٧	إظهار الحق	رحمة الله بن خليل الرحمن الكيراوني العثماني	عني بطبعه ونشره
١٨	إعداد المهج للاستفادة من المنهج في الفقه المالكي	أحمد بن أحمد المختار الحكني الشنقيطي	عني بطبعه ونشره
١٩	إلى ولدي	محمد بن عبد الله الأنصاري (أبو عمر)	عني بطبعه ونشره
٢٠	إليك أيتها الأخت المسلمة	محمد صالح محمد طارق	عني بطبعه ونشره
٢١	إمتاع الأسماع بما للرسول من الأنباء والأمور والحفدة والمتاع	المقر تقي الدين أحمد بن علي	عني بطبعه ونشره
٢٢	إمساكيات شهر رمضان بتوقيت قطر ومكة المكرمة والمدينة والمنجترا وفيينا	إعداد خادم العلم فضيلة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري	إعداد
٢٣	أنوار المسالك: شرح عمدة السالك	محمد الزهري الغمراوي	عني بطبعه ومراجعته

		وعدة الناسك	
إشراف	محمود بن مجيد الكبيسي	أهلية الصغير بين الوجوب والأداء	٢٤
إشراف	ابن باز	الإيضاح والتحقيق	٢٥
عني بطبعه ونشره	محمد سليمان داود	ابن تيمية وفلاسفة التصوف	٢٦
عني بطبعه ونشره	محمد نيهان الحباز	الإصطفا في سير المصطفى صلى الله عليه وسلم	٢٧
عني بطبعه ونشره	١ - محمود شيت خطاب ٢ - محمد جمال الدين ٣ - عبد اللطيف زايد	اقياس النظام العسكري	٢٨
عني بطبعه ونشره	١ - محمد بن عبد الوهاب الفيحاني ٢ - ماجد بن صالح الخليلي ٣ - أحمد بن علي بن شاهين	انتخاب الدرر من شعراء قطر	٢٩
عني بطبعه ونشره	الدوحة- المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية	البحوث والدراسة المقدمة للمؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية	٣٠
تقديم	أبي المعالي عبد الملك بن يوسف	البرهان في أصول الفقه	٣١
تحقيق	قادري بن أحمد الأهدل	بجعة القلوب بتوحيد علام الغيوب	٣٢
عني بنشرة وتوزيعه	إدارة إحياء التراث الإسلامي-قطر	بيان الوعظ والإرشاد وتلاوة القرآن اليومي خلال شهر رمضان عام ١٤٠٧-١٩٨٧م	٣٣
حققه وعني بطبعه ونشره	ابن رشد، أبي الوليد محمد بن أحمد ٤٥٠- ٥٢٠هـ	البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة	٣٤
حققه وعني بطبعه وتوزيعه	محمد علي الصابوني	تجريد البيان لتفسير القرآن	٣٥
عني بنشرة وطبعه	حماد بن الأمين الخلسي الموريتاني	تحفة الألباب شرح الأنساب	٣٦
تقديم	حماد بن عبد الرحمن الخليلي	التحفة البهية في الآداب والعادات القطرية	٣٧
عني بطبعه ونشره	علاء الدين السمرقندي	تحفة الفقهاء	٣٨
عني بطبعه ونشره	أبي الفضل عبد الله بن محمد الصديق الغماري	التحقيق الباهر في معنى الإيمان باليوم الآخر	٣٩
عني بطبعه ونشره	محمد إبراهيم سليم	التداوي بالقرآن والاستشفاء بالرقي والتعاويد	٤٠
حققه وعني بطبعه ونشره وتوزيعه	محمد بن سالم البيحاني	تربية البنين: أرجوزة شعرية	٤١
إشراف	عبد الله يوسف علي	ترجمة معاني القرآن الريم (بالإنجليزية)	٤٢
عني بطبعه ونشره	الحافظ أبي محمد زكي الدين عبد العظيم القوي المنذري	الترغيب والترهيب من الحديث الشريف	٤٣
عني بطبعه ونشره	أحمد بن حجر آل بوطامي آل بن علي	تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران	٤٤
إشراف	القاضي بن حجر	تطهير المجتمعات من أرجاس الموبقات	٤٥
عني بطبعه ونشره	محمد محمود الصواف	تعليم الصلاة (بالإنجليزية)	٤٦

٤٧	تفسير ابن عطية = اخرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز	ابن عطية الأندلسي، أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي	تحقيق
٤٨	تفسير برانق	هزة - علوان - برانق	تحقيق
٤٩	تفسير سورة النصر	ابن رجب الحنبلي	إشراف
٥٠	تفسير مجاهد	أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي المخزومي	تقديم وعني بطبعه ونشره
٥١	تفصيل ومستدرک آیات القرآن الکریم	إبراهيم بن عبد الله الأنصاري ١٣٨٠هـ	عني بطبعه ونشره
٥٢	التقاط الدرر واقتطاف الثمر من كتب أهل العلم والأثر	جمعه حسن بن غاتم دخيل الغاتم	راجعته وحققه
٥٣	التقريبات السننية في حل ألفاظ المنظومة البيقونية	حسن محمد المشاط	راجعها وعني بطبعها ونشرها
٥٤	تقنين الفقه الإسلامي (المبدأ والمنهج)	محمد زكي عبد البر	عني بطبعه ونشره
٥٥	تقنين الفقه الإسلامي (المبدأ والمنهج والتطبيق)	محمد زكي عبد البر	عني بطبعه ونشره
٥٦	التقويم الدائم بتوقيت لندن	إعداد خادم العلم فضيلة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري	إعداد
٥٧	تقويم العيوني	عبد العزيز بن عبد الله العيوني	جمع
٥٨	التقويم القطري بتوقيت الرياض (جداري ودفتري))	إعداد خادم العلم عبد الله إبراهيم الأنصاري	إعداد
٥٩	التقويم القطري بتوقيت المدينة المنورة (جداري ودفتري))	إعداد خادم العلم عبد الله إبراهيم الأنصاري	إعداد
٦٠	التقويم القطري بتوقيت سلطنة عمان والإمارات العربية لثلاث سنوات	إعداد خادم العلم عبد الله إبراهيم الأنصاري	إعداد
٦١	التقويم القطري بتوقيت مكة المكرمة (جداري ودفتري))	إعداد خادم العلم عبد الله إبراهيم الأنصاري	إعداد
٦٢	التقويم القطري من عام ١٣٧٦هـ إلى عام ١٤٠٤هـ (جداري ودفتري))	إعداد خادم العلم عبد الله إبراهيم الأنصاري	إعداد
٦٣	تلك حدود الله	إبراهيم أحمد الوقفي	عني بطبعه ونشره
٦٤	تنوير البصيرة ببيان علامات الكبيرة	عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسني	عني بطبعه ومراجعته
٦٥	تهذيب الأخلاق	عبد الحي الحسيني الندوي	إشراف
٦٦	توصيات الندوة العالمية للأدب الإسلامي	إعداد خادم العلم عبد الله إبراهيم الأنصاري	إعداد
٦٧	جدول الموارث	محمود العواطي الرفاعي	إشراف
٦٨	الجدول في إعراب القرآن وصرفه	تصنيف محمود صافي	إشراف

٦٩	الجمعة ومكانتها في الدين	أحمد بن حجر آل بوطامي آل بن علي	عني بطبعه ونشره
٧٠	جهالات خطيرة في قضايا اعتقاده كثيرة	عاصم بن عبد الله القريوبي	عني بطبعه ونشره
٧١	الحج والعمرة على ضوء السنة المطهرة	أحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي	عني بطبعه ونشره
٧٢	حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله المصطفين الأخيار	ابن الدبيع الشافعي وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد	حققه
٧٣	الحصن الحصين من كلام رب العالمين		إشراف
٧٤	الحصون المنبئة	علوي المالكي	إشراف
٧٥	حقاتق عن آل البيت والصحابة	يونس الشيخ إبراهيم السامرائي	عني بطبعه ونشره
٧٦	الحلال والحرام	يوسف القرضاي	عني بطبعه ونشره
٧٧	خاتم النبيين	محمد أبو زهرة	عني بطبعه
٧٨	الخطب المنيرة	خادم العلم عبد الله إبراهيم الأنصاري	تأليف
٧٩	خلق المسلم	محمد الغزالي	عني بطبعه ونشره
٨٠	الخمرة أم الخبائث	عبد الله بن إبراهيم الأنصاري	تأليف
٨١	الدر المختار في الأدعية والأذكار	عبد الله بن إبراهيم الأنصاري	تأليف
٨٢	الدرة الضبية فيما وقع فيه الخلاف بين الشافعية والحنفية	أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني	عني بطبعه ونشره
٨٣	دروس في ترتيل القرآن الكريم	فائز عبد القادر شيخ الزور	عني بطبعه ونشره
٨٤	دعاء ختم القرآن	أبي بكر الإحساني	تحقيق
٨٥	ديوان ابن المقرئ	شرف الدين اسماعيل بن أبي بكر المقرئ الزبيدي اليمني	عني بطبعه ونشره
٨٦	ديوان ابن مشرف	ابن مشرف	عني بطبعه
٨٧	الذكر المنظم في الوعظ والإرشاد لأيام شهر رمضان المعظم	عبد اللطيف بن محمد النعيم	عني بطبعه ونشره
٨٨	رباعيات البيهاني: مقتطفات في العبر والمعاني	محمد بن سالم البيهاني	عني بطبعه ونشره
٨٩	الرحبية في علم الفرائض	الرحبي، موفق الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الحسن الشافعي ٤٩٧ - ٥٧٧هـ	عني بطبعه
٩٠	رحمة الأمة في اختلاف الأئمة	أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدمشقي العثماني الشافعي	عني بطبعه
٩١	ردود على أباطيل ورسائل الشيخ محمد الحامد	الشيخ محمد الحامد	حققه وراجعه

إشراف	الحميضي	الرسائل الأربعة	٩٢
عني بطبعه ونشره	أبي محمد غلد الله بن أبي زيد القيرواني	الرسالة الفقهية مع غرر المقالة في شرح غريب الرسالة	٩٣
تأليف	عبد الله بن إبراهيم الأنصاري	رسالة صفة التحية في الإسلام	٩٤
إشراف	الحميضي	رسالة مع القضاة	٩٥
إشراف	ابن تيمية، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحاراني الدمشقي ٦٦١-٧٢٨هـ	رفع الملام عن الأئمة الأعلام	٩٦
حققه وراجعه وعني بطبعه ونشره	أبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري	الروضة الندية شرح الدرر البهية	٩٧
عني بطبعه ونشره	النوي. أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن الخزامي الحوراني الشافعي ٦٣١-٦٧٦هـ	رياض الصالحين	٩٨
أشرف على تحقيقه وتصحيحه	يحيى أبي بكر اليميني العامري	الرياض المستطاب في جملة من روي في الصحيحين من الصحابة	٩٩
تأليفه وعني بطبعه ونشره	عبد الله بن إبراهيم الأنصاري	زاد الحاج والمعتمر	١٠٠
حققه وعني بطبعه ونشره	عبد الله بن الشيخ حسن الحسن الكوهجي	زاد المحتاج بشرح المنهاج	١٠١
عني بطبعه ونشره	هناد بن السري الكوفي التميمي	الزهد	١٠٢
حققه وعني بطبعه ونشره	أبي صديق بن حسن خان الحسيني البخاري	السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج	١٠٣
إشراف	محمد الدين محمد بن يعقوب الشرازي ٨٢٦هـ	سفر السعادة	١٠٤
عني بطبعه ونشره	محمد عزت دروزة	سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم مقتبسة من القرآن الكريم	١٠٥
عني بطبعه ونشره	أبي الحسن علي الحسيني الندوي	السيرة النبوية	١٠٦
إشراف	مصطفى السباعي	السيرة النبوية دروس وعبر	١٠٧
إشراف	عبد البديع صقر	شاعرات العرب	١٠٨
إشراف	مصطفى عبد الواحد	شخصية المسلم	١٠٩
عني بطبعه ونشره	محمد علي بن الشيخ عبد الرحمن الخالدي = سلطان العلماء	شرح الأربعين النووية باللغة الفارسية	١١٠
عني بطبعه ونشره	السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن أبي بكر بن محمد الحضيرى ٨٤٩-٩١١هـ	شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور	١١١
عني بطبعه	النوي. أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري بن حسن الخزامي الحوراني الشافعي	شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية	١١٢

	٦٣١-٦٧٦هـ		
١١٣	شرح متن الرحبية في علم الفرائض	سيط المارديني. بدر الدين محمد بن محمد أحمد الغزال الدمشقي ٨٢٦-٩٠٧	عني بطبعه ونشره
١١٤	الصراط المستقيم	حسين عبارة	تحقيق
١١٥	الصغير بين أهل الوجوب وأهلية الأداء	محمود مجيد بن سعود الكبيسي	راجعته وعني بطبعه
١١٦	صورتان متضادتان عند أهل السنة والشيعة الأمامية	أبو الحسن علي الحسيني الندوي	عني بطبعها ونشرها
١١٧	صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم	أبو الحسن علي الحسيني الندوي	عني بطبعها ونشرها
١١٨	الصوم - الاعتكاف - صدقة الفطر	إشراف عبد الوهاب دبس، محمد سعيد البرهاني	راجعته وعني بطبعه
١١٩	الصيام	سعيد البرهاني	إشراف
١٢٠	صيحة الحق	أبي الوفا محمد درويش	تحقيق
١٢١	طبقات المفسرين	آية الله بن رحمة الله الهندي	تحقيق
١٢٢	طريق المهجرتين وباب السعادتين	شمس الدين محمد أبي بكر بن قيم الجوزية	حققه وراجعته
١٢٣	عتاب من الكبد	تأليف فضيلة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والدكتور أحمد مصطفى زهرة	تأليف
١٢٤	العذب الزلال في مباحث رؤية الهلال	محمد بن عبد الوهاب المراكشي	حققه
١٢٥	العطر اليماني من أشعار البيحاني	البيحاني	حققه وأشرف على طبعه
١٢٦	عقيدة المسلم (بالإنجليزية)	أحمد غلوش	إشراف
١٢٧	عقيدة المسلم (بالعربية)	محمد الغزالي	إشراف
١٢٨	العقيدة الواسطية	ابن تيمية، تقي الدين أبي العباس ٦١٦- ٧٢٨هـ	راجعها وعني بطبعها ونشرها
١٢٩	العقيدة الواسطية مع ثلاثة فصول	محمد بن عبد الوهاب	إشراف
١٣٠	علل وأدوية	محمد الغزالي	عني بطبعه
١٣١	عمدة السالك وعدة الناسك	شمس الدين أحمد نجيب المصري	تحقيق
١٣٢	عمل المسلم في اليوم والليلة	محمد طارق محمد صالح	عني بطبعه ونشره
١٣٣	عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والعروض والتاريخ والنحو والصرف	إسماعيل بن أبي بكر المقرئ	حققه
١٣٤	هون الباري حل أدلة صحيح البخاري = شرح التجريد الصريح	أبي الطيب صديق حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري ٢٤٨هـ	عني بطبعه ونشره
١٣٥	غاية البيان في تفسير القرآن الكريم	١ - محمود محمد حمزة ٢ - حسن علوان ٣ - محمد أحمد برانق	أشرف على طبعه
١٣٦	الغيثي: غياث الأمم في النياث الظلم	أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني ٤١٩-٤٧٨هـ	عني بطبعه ونشره
١٣٧	فتاوي ابن رشد	ابن رشد، أبي الوليد محمد أحمد ٤٥٠- ٥٢٠هـ	عني بطبعه ونشره
١٣٨	فتح البيان في مقاصد القرآن	أبي الطيب صديق بن حسن بن علي	عني بطبعه وقدم له وراجعته

	الحسيني القنوجي البخاري		
١٣٩	عني بطبعه ونشره	عبد العظيم الديب	فقه إمام الحرمين
١٤٠	إشراف	أبو منصور محمد بن محمد السمرقندي	الفقه الأكبر
١٤١	عني بطبعه ونشره وتوزيعه	السيد سابق	فقه السنة
١٤٢	عني بطبعه ونشره	محمد الغزالي	فقه السيرة
١٤٣	إشراف	عبد الرحمن الجزيري	الفقه على المذاهب الأربعة
١٤٤	تحقيق	فاضل شهير	فقه محمدي (فارسي)
١٤٥	عني بطبعه ونشره	عبد الله توفيق الصباغ	فن الترتيل في أحكام التجويد
١٤٦	عني بطبعه ونشره	محمد الغزالي	فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء
١٤٧	راجعه وعني بطبعه	عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسيني	قرة العين بأدلة إرسال النبي إلى التقليل
١٤٨	إشراف	الهاشمي	القواعد الأساسية في اللغة العربية
١٤٩	تحقيق	صدر الدين أبي علي الحسن محمد البكري	كتاب الأربعين حديثاً الأربعين من أربعين عن أربعين
١٥٠	إشراف	محمد بن عبد الوهاب	كتاب التوحيد
١٥١	إعداد	إعداد خادم العلم فضيلة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري	كتاب توصيات مؤتمر السيرة والسنة النبوية الثالث
١٥٢	عني بطبعه ونشره	الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٦٧٣-٧٤٨هـ	كتاب دول الإسلام
١٥٣	عني بطبعه ونشره	عبد الحميد الخطيب	كتاب سيرة سيد ولد آدم = تائبة الخطيب
١٥٤	تصحيح وتنقيح	ابن تيمية، تقي الدين أبي العباس ٦١١- ٧٢٢هـ	كتاب مجموعة التوحيد
١٥٥	حققه وراجعته	خالد محمد علي الحاد	كتاب مصرع الشرك والخرافة
١٥٦	راجعته وعلق عليه	أحمد بن حجازي الفشني	كتاب مواهب الصمد في حل ألفاظ الزيد
١٥٧	حققه وراجعته	خالد محمد علي الحاج	الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائص التوحيد
١٥٨	عني بطبعه ونشره	تقي الدين أبي بكر بن محمد الحسيني الخصني الشافعي	كفاية الأخبار في حل غاية الاختصار
١٥٩	عني بطبعه ونشره	محمد خير الزيتوني	كفاية المصلي
١٦٠	تحقيق	ابن تيمية، تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي ٦٦١-٧٢٨هـ	الكلم الطيب
١٦١	إشراف	بقلم أحمد باوني	لطائف البيان في أحكام وعلوم القرآن
١٦٢	إشراف	إبراهيم أحمد باوني	لماذا أسلمنا (بالإنجليزية)

١٦٣	لماذا أسلمنا (بالعربية)	إبراهيم أحمد باوين	إشراف
١٦٤	المأثورات	حسن البنا	أعاد طبعه
١٦٥	مأثورات الصلوات الخمس	تأليف خادم العلم فضيلة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري	تأليف
١٦٦	ما تمس إليه الحاجة لمن يطالع سنن ابن ماجه	محمد عبد الرشيد النعماني	حققه وعني بنشره
١٦٧	ما لا بد منه	أبي بكر بن محمد عارف خوقير	عني بنشره
١٦٨	ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين	أبو الحسن علي الحسيني الندوي	عني بطبعه ونشره
١٦٩	متن الأربعين النووية	النووي، أبو زكريا يحيى ابن شرف بن مري بن حسن الخزامي الحوراني الشافعي ٦٣١-٦٧٦هـ	إشراف
١٧٠	متن الأربعين النووية (بالفرنسية)	ترجمة الحاجة أمينة الباجي	إشراف
١٧١	مجموع المتون في مختلف الفنون	مجموعة من المؤلفين	عني بنشره
١٧٢	مجموعة من الأذكار والأوراد المأثورة	جمع فضيلة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري	جمع
١٧٣	الجموعة الجليلية: تحتوي على مختصر الكلام على بلوغ المرام، محاسن الدين على متن الأربعين، مقام الرشاد بين التقليد والاجتهاد	فيصل بن عبد العزيز بن المبارك	عني بطبعه ونشره
١٧٤	مجموعة رسائل فضيلة العلامة المجاهد محمد الحامد	الشيخ محمد الحامد	عني بطبعه ونشره
١٧٥	المختار من كنوز السنة النبوية	محمد عبد الله دراز	عني بنشره
١٧٦	مختارات شعرية (للمرحلة الإعدادية)	لجنة من وزارة التربية والتعليم	إشراف
١٧٧	مختارات شعرية ((للمرحلة الابتدائية)	لجنة من وزارة التربية والتعليم	إشراف
١٧٨	مختارات شعرية ((للمرحلة الثانوية)	لجنة من وزارة التربية والتعليم	إشراف
١٧٩	المستخرجة من الأسمعة المعروفة بالعنبيه	العتي، أبو عبد الله بن أحمد بن عبد العزيز الأموي الأندلسي ٢٥٥هـ	عني بطبعه ونشره
١٨٠	مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه؟	محمد الغزالي	تقديم
١٨١	مسند الشاميين من مسند الإمام أحمد بن حنبل: ضبط أحاديثه، وتخريجها، وبيان درجتها، والتعليق عليها عند الحاجة	علي محمد حجاز	عني بطبعه
١٨٢	مشيخة ابن الجوزي	ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ٥٠٨-٥٩٧هـ	تقديم
١٨٣	مصادر الفكر الإسلامي في اليمن	عبد الله محمد الحبشي	عني بطبعه ونشره
١٨٤	المعجم الوسيط	مجمع اللغة العربية	عني بطبعه ونشره

١٨٥	معجم مفردات القرآن العظيم	مجمع اللغة العربية	عني بطبعه ونشره
١٨٦	معرفة الصواب في موافقة الحساب للموافقات الهجرية والميلادية لمائة عام ١٣٥٠هـ - ١٤٥٠هـ = ١٩٣١م - ٢٠٢٩م	عبد الله بن إبراهيم الأنصاري	حساب وإعداد
١٨٧	المغني في الضعفاء	شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي	عني بطبعه ونشره
١٨٨	مفيد العلوم ومبيد الهموم	أبي بكر الخوارزمي	مراجعة وتحقيق وتقديم
١٨٩	المقدمات المهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات الخكمات لأهميات مسائلها	ابن رشد، أبي الوليد محمد بن أحمد ٤٥٠هـ - ٥٢٠هـ	عني بطبعه ونشره وتوزيعه
١٩٠	مقدمة في التجويد	عبد الحميد طه	راجعته وعني بطبعه ونشره
١٩١	من حكم الشريعة وأسرارها	حامد بن محمد العبادي	عني بطبعه ونشره
١٩٢	من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه	جمع أسرة عمر بن الخطاب بالمعهد الديني بالدوحة	عني بطبعه ونشره
١٩٣	من خلق القرآن	محمد عبد الله دراز	تحقيق
١٩٤	من روائع البيان النبوي	عبد الواحد مصطفى	عني بطبعه ونشره
١٩٥	من وحي رمضان	صلاح خليفة عبد المنعم	حققه ونشره
١٩٦	من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم خمس وخمسون وصيه	حمزة محمد صالح حجج	جمعها ورتبها
١٩٧	المنح الشافيات بشرح مفردات الإمام أحمد	منصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتي	عني بطبعه ونشره
١٩٨	الموافقات للسنة الهجرية والميلادية من عام ١٣٨٥هـ إلى عامنا هذا	إعداد خادم العلم فضيلة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري	إعداد
١٩٩	مواهب الجليل من أدلة خليل	أحمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي	عني بمراجعتها
٢٠٠	الموت - سكرات الموت وشدته وحياة القبور حتى النفخ في الصور	الغزالي، حجة الإسلام أبو حامد محمد بن حامد بن محمد بن أحمد الطوسي ٤٥٠هـ - ٥٠٥هـ	عني بطبعه ونشره
٢٠١	موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي	سعدي أبو حبيب	عني بطبعه ونشره
٢٠٢	الموسوعة العلمية: لقط الدراري من مقتطفات الأنصاري	عبد الله بن إبراهيم الأنصاري	تأليفه وعني بطبعه ونشره
٢٠٣	موطأ الإمام مالك		إشراف
٢٠٤	موطأ الإمام مالك	ملك بن أنس، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر التيمي ٩٣هـ - ١٧٩هـ	عني بطبعه ونشره

٢٠٥	موكب السيرة النبوية	محمد المختار ولد أباه	عني بطبعه ونشره
٢٠٦	ميزان الأصول في نتائج العقول	علاء الدين شمس النظر أبي بكر محمد بن أحمد السمرقندي	تقديم
٢٠٧	النبا العظيم	محمد عبد الله دراز	إشراف
٢٠٨	نباتات في أحاديث الرسول	كمال الدين حسن البتاتوني	عني بطبعه ونشره
٢٠٩	نخبة الأزهار وروضة الأفكار	محمد عبد الله دراز	عني بطبعه ونشره
٢١٠	نداء الحق _ ديوان شعر	أحمد محمد الصديقي	إشراف
٢١١	نظم البيان في معاني القرآن	إسماعيل صالح مفيد	عني بطبعه ونشره
٢١٢	نفحات الإسلام من البلد الحرام	علوي بن عباس الملكي المكي	عني بطبعه ونشره
٢١٣	هداية المرید إلى سبيل الحق	أحمد بن عبادي اليميني	تحقيق
٢١٤	هذا ديننا	محمد الغزالي	إشراف
٢١٥	هموم داعية	محمد الغزالي	إشراف
٢١٦	وسائل القبول ونيل المأمون بشرح نظم أم الخيرات لخصائص الرسول صلى الله عليه وسلم	أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي	تقديم
٢١٧	الوصايا العشر	علي محمد جماز	إشراف
٢١٨	وصية لقمان لابنه	علي محمد جماز	إشراف



الشيخ وعلم الفلك

- أهمية هذا العلم.
- براعته في علم الفلك.
- الشيخ والتقويم القطري
- شهادة باحث فلكي أمريكي.
- من أعمال الشيخ الفلكية.
- مؤتمر توحيد أوائل
- الشهور القمرية.

أهمية هذا العلم

الفلك علم له أسسه ومبادئه، كما أن له أصوله ومناهجه في البحث ووظائفه في إثبات الحقائق التي تقوم عليها حياتنا الدينية بما فيها من عبادات، ومواسم للطاعات، وحياتنا الدنيوية بما فيها من زرع وغرس، وحصاد، وجني، وما يتوقع من مناخ، أو ينتظر من رياح مما تتأثر به حركتنا براً، وبحراً. وهو علم يعني بدراسة النجوم والكواكب والأجسام الأخرى التي يتكون منها الكون، ويرصد الفلكيون مواقع وحركات الأجرام السماوية^(١).

وهو علم له عند الله تعالى قدره فقد أقسم الله ببعضه، فقال: { وَالشَّمْسُ
وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا (٢) وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا (٣) وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا (٤)
وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا (٦) }^(٢).

{ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى (٢) }^(٣).

{ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) }^(٤).

{ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) }^(٥).

وأعظم قدره فقال: { فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ
(٧٦) }^(٦).

1 - الموسوعة العربية العالية: المجلد السابع عشر ص ٤٨٢.

2 - سورة (الشمس) (١ : ٦).

3 - سورة (الضحى) (١ ، ٢).

4 - سورة البروج (١).

5 - سورة النجم (١).

6 - سورة الواقعة (٧٥ ، ٧٦).

وأكثر من ذكر الشمس والقمر، وأنهما آيتان من آيات الله تعالى {
**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ
حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩)**}^(١).

كما يذكر السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وأنها كلها من
آيات الله الباهرة { **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي
الْأَبْصَارِ (١٩٠)** }^(٢).

ولما كانت عبادات المسلمين تحكمها ظواهر كونية، تتبع حركة
الكون بما فيه من ليل ونهار، وشمس وقمر أمر الله جميع المسلمين أن
يسيروا على السنن القويم، وهي السنة القمرية التي هي أسهل لجميع الناس،
وإن كانت أشق لأن الحج - مثلا - يدور في الفصول الأربعة كل ثلاث
وثلاثين مرة ويحج الناس في كل فصل تسع حجات تقريبا، ويذوقون الحر
والبرد لزيادة الثواب^(٣).

ويقول ربنا جل وعلا:

{ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** }^(٤).

وإنك لترى عظمة التشريع الإلهي في دوران شهر رمضان المعظم، فيصوم
المسلمون هذا الشهر الكريم صيفا، وشتاء، ربيعا، وخريفا،، فيعانون
الحر تارة، والبرودة أخرى، ويصومون النهار في أقصى طوله، ويسعدون به
في أقصر ساعاته، حكمة لا يحيط بها إلا الحكيم الخبير.

1 - سورة (يس) (٣٨، ٣٩).

2 - سورة (آل عمران) (١٩٠).

3 - تفسير الجواهر الجزء الخامس بتصرف.

4 - البقرة (١٨٩).

إنهم في بدء الشهر ونهايته مستجيبون لشرع الله ، ملتزمون بحدوده يقول
العلي الأعلى:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
(١٨٣) أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ
يَطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ
تَعْلَمُونَ (١٨٤) }^(١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - أو قال: أبو القاسم: ((صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غيبي
عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين))^(٢).

وبدء اليوم ونهايته مرتبط بظواهر كونية أحكم الله تعالى سيرها:

{ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا
الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ }^(٣).

كذلك الصلوات الخمس.

يقول ربنا جل جلاله:

{ فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوقُوتًا
(١٠٣) }^(٤).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه
وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال: ((الصلاة على وقتها)) . قلت: ثم أي؟ قال:
((بر الوالدين)) . قلت: ثم أي؟ قال: ((الجهاد في سبيل الله))^١.

1 - البقرة (١٨٣ : ١٨٤) .

2 - متفق عليه وهذا لفظ البخاري .

3 - البقرة (١٨٧) .

4 - النساء (١٠٣) .

وما وقت الصلاة إلا ما حدده جبريل - عليه السلام - وحيًا عمليًا في
صلاته برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو ارتباط بحركة كونية.

{ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨) }^(٢).

أرأيت أخا الإيمان أن هذا العلم إسلامي يحدد للمسلم أوقات طاعته عند
حدود ربه؟

بأي الشهور ارتبطت النساء في عدتهن؟

وكون الرضاعة حولين لمن أرادت تمام الرضاعة.

{ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ }^(٣).

أليست الشهور قمرية، أليس الحول قمرية؟

فصناعة الفلك لم تكن لازمة لأمة من الأمم لزومها للأمة الخاتمة.

1 - متفق عليه.

2 - النمل (٨٨).

3 - البقرة (٢٣٣).

براعته في علم الفلك

لقد كان الفتى ولوعا بالعلم، طموحا في تحصيله، لا يجد سبيلا إليه إلا ويسلكه، جادا في جمعه، لا تفوته فائتة تثريه، وتزيده علما ولا يقعد به عذر عن طلب المزيد، وكان هذا دأبه منذ نشأته الأولى ورعى هذا فيه أب غيور تعهده بالقرآن الكريم، حتى استضاء به وغذاه بفضون العلم شيئا فشيئا حتى أصبح العلم شغله الشاغل وهدفه الأسمى.

لقد برع الوالد في علوم شتى، فمن الله عليه بالقرآن وكثير من علومه، وآتاه حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفضلا من علومه، وانقادت له اللغة فعذب بيانه، وسلمت عبارته، وأحاط بوافر من علوم اللغة، إلى جانب ما نبغ فيه من الفقه وأصوله، وجمع إلى جانب هذا كله دراية بعلم الفلك، ومعرفة بحركة النجوم، ومسارات الكواكب، وفوقاً في التقويم، ودقة في تحديد بدايات الشهور ومواقيت الصلاة، حتى صار مرجعا في ذلك كله، وقد آلى على نفسه أن يولى ولده عبد الله عناية، وأن يورده موارد العلم التي أفاء الله عليه بها، وكان من جملتها علم الفلك، ومع صعوبة هذا العلم ووعورة مسالكه، وندرة العارفين به أحبه، بل عشقه، وأعطاه اهتماما كان موضع إعجاب والده ودهشة المتصلين به من أنداده، أو من يلتقي بهم من أهل العلم، وأضافه الفتى الشاب إلى مطلوباته، حيثما ارتحل لطلب العلم، فدرسه في الأحساء، وتلقى كثيرا من مبادئه وفروعه على الشيخ عبد العزيز بن الشيخ عبد اللطيف الجعفري والشيخ عبد الرحمن القاضي العدساني، وقد أعجبا أيما إعجاب بذكائه وفطنته وشجعا فيه حرصه، وبالغ رغبته وعظيم اهتمامه، مما دعا الشيخ عبد الرحمن القاضي العدساني يهدي إليه نسخة من ترتيبه لعلم الفلك على منوال تقويم العيوني.

أما في مكة المكرمة، فلم يشغله ما هو فيه من جهاد تقلب فيه بين شيوخ المدرسة الصولتية، وعلماء الحرم المكي عن مواصلة دراسة علم الفلك، والاتصال بأساتذته والأخذ عنهم، فدرس على شيوخ أجلاء، كان من أشهرهم الشيخ أحمد ابن الشيخ خليفة بن نبهان ((البحريني الأصل))، حيث درس عليه علم الفلك في كتاب ((الربيع المجيب)) للشيخ خليفة بن نبهان رحمهم الله جميعا.

ولم تكن نهاية الدراسة النظامية نهاية الدراسة في علم الفلك عند الشيخ عبد الله - رحمه الله - فقد واصل القراءة، وتابع البحث ومارس التطبيق العملي لذلك العلم عزَّ الإقبال عليه مع شدة حاجة الناس عامة إليه، والمجتمع الإسلامي خاصة لارتباط عباداته به.

الشيخ والتقويم القطري

و حين استقر به المقام في قطر عزم على إنشاء تقويم قطري يرجع إليه أهله في صلواتهم، وصيامهم وسائر عباداتهم، ويسترشدون به في أمور دنياهم، بما يرصد لهم من حركات النجوم، ومسارات الكواكب، وغير ذلك مما ينظم شؤون الزراعة والتعامل مع البحر.

ولكن أنى له ذلك؟

إن الطباعة لم تدخل البلاد حتى تسمح بالتسجيل، والكتابة وتيسير النشر والتوزيع، غير أن أصحاب الهمم العوالي لا يقعد بهم غياب الأسباب، فجهد الحريص كافٍ للسير إلى الهدف، ومواصلة السعي إليه، وهو - لا بد - بالغة، والإنسان صانع الأسباب - بتوفيق الله تعالى - لا يليق به أن يستسلم للضعف، أو يستتيم مضيعة وقته، حابسا جهده حتى تأتيه الأسباب صاغرة، وما أظنها آتية.

إذا فماذا يصنع الشيخ عبد الله رحمه الله؟

ما وهن أمام هذه الصعوبات، وما أرجأ تنفيذ هذه الرغبة الصادقة وإنما سخر لها كل إمكاناته الخاصة في صبر وجلد، لقد شرع يكتب التقويم بيده، ويخطه في قراطيس، ويمنحه من الجهد والوقت ما يساعد على تحقيق أقصى الغايات، فكان يسجل منه نسخا قليلة، يودع منها في المسجد الكبير، ويهدى ما تيسر إلى ذوي الهمة من رجال وطنه ذوي الفضل والعلم طالبا من كل من يحصل على نسخة أن يسطر عدة نسخ، ويوزعها ليعم النفع، وتنتشر الفائدة، وكان هؤلاء - رحمهم الله جميعا - أوفياء بررة، فلا تكاد تمر أيام حتى تتسخ عشرات، بل مئات النسخ من التقويم القطري لينتشر مع كل من يعنيه هذا الأمر، ويحظى كل من يحب اقتناء النفائس بنسخة من ذلك التقويم ويودعها ضمن مقتنياته العزيزة.

و شاء الله تعالى أن تدخل الطباعة قطر، وقد هيا الله - جل شأنه لها آل ثاني، وهم حكام طيبون بطبيعتهم يميلون إلى الخير، ويحرصون على الإصلاح، ويسعون إلى التطور، وكان حاكم قطر آنذاك الشيخ علي بن عبد الله آل ثاني - رحمه الله - حيث كانت له اهتماماته الخاصة بطباعة نفائس التراث فأضاف إليها طبع التقويم القطري ليصدر مطبوعاً في أعداد توفّر لكل راغب نسخة أو أكثر، وكان ذلك في عام ١٣٧٧هـ.

واعتمد - رحمه الله تعالى - في تقويمه على التقويم الغروبي، وضمّن التقويم التاريخ الهجري، واليوم، والبرج، وسهيل، والتاريخ الميلادي، والطالع، أما أوقات الصلاة فأثبت ثلاثة منها هي الفجر، والظهر، والعصر، وترك المغرب لمعرفة وقته بالغروب، والعشاء، حيث اشتهر الفارق بينها وبين المغرب بساعة ونصف، فكانت مواقيت الشهر تأتي كاملة في صفحتين متقابلتين ذلك ثلاثة أعوام.

النقود القطرية

جمع الفقير إلى عفوره الباري

عبد الله بن إبراهيم الأنصاري

غفر الله له ولوالديه

ولجميع المسلمين □

طبع على نفقة صاحب العظمة حاكم قطر الشيخ علي بن المرحوم الشيخ عبد الله آل ثاني

حفظه الله ووفقه لخيري الدنيا والآخرة.

غلاف أول تقويم صدر ١٣٧٧هـ

وفي عام ١٣٨٠هـ أضيف التوقيت الزوالي لأوقات الصلوات الخمس فسارت مواقيت الشهر تكتمل في أربع صفحات.

وتحدث عن الأبراج كل حسب موقعه من السنة، وأبان ما له من مزايا وما قد يُطلب فيه من محذورات، وتناول كل طالع وما يصحبه من ظواهر كونية، موضحا ارتباط كل من البرج والطالع بحياة الإنسان، وما يصلح له من غرس، أو جني أو غير ذلك وقد جعل من التقويم موسوعة دينية، أدبية، ثقافية، ففيه الآيات، والحديث، والدعاء، وفيه من الفقه بعض ما يحتاج إليه الصائم في صومه، وكذا بعض ما يعين الحاج على إحسان حجه، ثم تجد الطرفة الأدبية، والحكمة شعراً ونثراً، وكذلك معلومات عامة قد ترتبط بمناسبة، وقد لا ترتبط كتقسيم فصول السنة بحسب الشهور والطوالع ترى ذلك في تقويم ١٣٧٩هـ ص (٨٠)، كما يتحدث عن المسافات بين الدوحة والقرى الهامة في قطر، وبين الدوحة وبعض الدول العربية والإسلامية، ثم من الدوحة إلى مكة المكرمة، وإلى المدينة المنورة، وإلى جدة، وإلى الرياض طريق الحج، كما في تقويم ١٣٨٦ الهجري، وغير ذلك من المعلومات والمعارف حتى صار التقويم موسوعة ثقافية، وقد تميز تقويم الشيخ عبد الله الأنصاري منذ نشأته بالدقة، والتحري الجاد الواعي في كل ما يقوم عليه التقويم من حساب فلكي، أو غيره، حتى حاز ثقة دول الخليج وصار تقويم الأنصاري الخاص بتلك الدول الشقيقة مرجعها، وموضع تقديرها، خاصة أن منه تقويم مكة المكرمة والمدينة المنورة، ولهما ارتباط وثيق بمناسك الحج الذي كان يرجع إليه في توقيته لذلك الركن، ثم تقويم الرياض، وباقي عواصم دول الخليج، ولا زالت هذه التقاويم بفضل الله - تعالى - تصدر عن دار التقويم القطري إلى يومنا هذا.

شهادة باحث فلكي أمريكي

فقد أجرى الكاتب الأستاذ/ بدر الدين أدهم حواراً مع الباحث الفلكي الأمريكي دانيال فارييسكو حول تقاويم الخليج عامة، والتقويم القطري خاصة تحت عنوان:

الشرق تحاور باحثاً أمريكياً حول تقاويم العرب

دراسة هامة عن تقويم الأنصاري القطري

الباحث يقول: الشيخ الأنصاري جعل تقويمه من أهم التقاويم

بمنطقة الخليج في العصر الحديث

جاء إلى الدوحة مرتين.. الأولى عاش فيها ٨ شهور، والثانية عاش فيها شهرين.. وفي المرة الأولى انطلق من الدوحة إلى عواصم عربية عديدة.. الرياض.. صنعاء.. عدن.. الكويت وفي الثانية استقر كثيرا في الدوحة قضى تلك الأيام مع مخطوطات وكتب مركز التراث لدول الخليج العربية.. وبعد تلك الحياة الحافلة عاش خلالها مع تقاويم العرب قال الرجل بعد أن أجرى دراسة هامة عن تقويم الشيخ عبد الله الأنصاري ((التقويم القطري)) إن تقويم الشيخ الأنصاري يضم معلومات هامة جدا.. وقد نجح الشيخ الأنصاري في جعل تقويمه من أهم التقاويم بالمنطقة العربية.

ذهبت الشرق.. إلى هذا الباحث الأمريكي وحول مائدة المركز الثقافي الأمريكي بالدوحة دار حوار مع الشرق.. قال الرجل: إن التقاويم الرئيسية في الخليج تأتي تشریحا للعلوم الشعبية وتصحيحا للمعلومات وتأكيداً للمعلومات الواردة في التقاويم العتيقة جدا.

التقاويم القديمة صالحة للاستخدام وتعد أساسا للمعرفة

العرب كانوا يلجأون للتقويم في كل شيء حتى تلقيح الخيل والإبل

وقال الرجل وهو دانيال فارييسكو مستشار التنمية الدولية وخبير الأنثروبولوجيا بالجامعات الأمريكية إنه جاء إلى الدوحة ليعد دراسة ضخمة تتشر في أمريكا عن التقويم الشعبي عند العرب حيث من المعروف عند العرب أنه منذ القرن الثاني الميلادي فإن هناك تقاويم كثيرة قد صدرت في شبه جزيرة العرب، وقال في دراسته: إن الشيخ الأنصاري الذي يُعدُّ واحداً من أهم علماء الدين في العالم العربي قد تعلَّم الكثير عن الفلك وهناك علماء آخرون في الإمارات والكويت قد نقلوا عنه جانباً من علم الفلك وعلم التقويم.

وحدد العالم الأمريكي في دراسته أن تقويم الأنصاري عن حساب سهيل اقترب إلى حد من تقاويم أخرى مثل تقويم الظاهرة وتقويم الشيخ ماجد في دبي وتقويم الشيخ العجيري من الكويت. وقال الرجل إن دراسته تشتمل على التباين بين التقاويم المختلفة التي تعد من وجهة نظرنا البحثية هي تقاويم جديدة ولكنها استفادت كثيراً من تقاويم التراث التي تنتشر بشكل كبير في الجزيرة العربية والتي من المرجح أيضاً ومن المؤكد أن يكون هؤلاء جميعاً قد نقلوا عنها.. ومن أفضل التقاويم إلى جانب تقويم الأنصاري.. تقويم الشيخ العيوني الذي صدر قبل ٨٤ عاماً أي في عام ١٣٢٤ هجرية والعيوني قد استعان بغيره وهو يضم معلومات كثيرة واردة أيضاً في التقويم القطري للشيخ الأنصاري.

الحياة كلها في تقويم زمان!!

وعن التقاويم وكيف تبين مظاهر الحياة وعمّا إذا كانت مفيدة في الماضي والحاضر قال العالم الأمريكي دانيال فارييسكو إن أهم ما يميز التقويم بوجه عام أنه يضم معلومات كاملة عن الحياة كلها.. ونقصد هنا بالحياة كلها كافة الجوانب التي يحتاجها الإنسان من الطبيعة ومواقيتها:

ويستمر في حديثه الحوارى موضحا تلك المشاركة التقويمية فى الحياة كلها مثل: أوقات الأمطار، وأوقات الرياح، وأوقات المناخ، وأوقات الزراعة، ومواسم النبات، وأوقات ومواسم الحيوانات، والسفر البحرى، وأوقات العمل فى البحر، والغوص، وغير ذلك، وأهم تلك المعلومات - كما يرى - يضمها تقويم الأنصارى ((القطرى)) .

من أعمال الشيخ الفلكية

والمتتبع لحياة تلك الأسرة الأنصارية يرى أصالتها الفلكية فقد كان الشيخ إبراهيم بن عبد الله الأنصاري والد الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري أول أستاذ لولده في علم الفلك، بل كان نبوغه فيه أول دافع للشيخ عبد الله للولوع بهذا العلم، وتلقيه على كثير من العلماء، ثم مهارته، وفوقه فيه، وقد كتب الشيخ إبراهيم - رحمه الله تعالى - منظومة فريدة في معانيها وفوائدها، حيث حوت كيفية معرفة حساب التقويم الهجري من هجرة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - إلى آخر الدهر، وقد أودعها الشيخ عبد الله - رحمه الله تعالى - كتابه: (معرفة الصواب في موافقة الحساب للموافقات الهجرية والميلادية لمائة عام) وذلك ليستفيد بها كل من يرغب في علم الفلك أو يهتم به.

أما الشيخ عبد الله الأنصاري - رحمه الله تعالى - فقد أخرج الكتاب السابق راجيا به توضيح موافقات الأعوام الهجرية للميلادية لمائة عام من عام ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م إلى عام (١٤٥٠هـ - ٢٠٢٩م) خمسون عاما من الماضي، وخمسون للمستقبل، وذلك حرصا على نشر العلم، وضبط الأوقات، والإفادة منها، ولتكون تلك الموافقات تحت حاجة جميع الدوائر، والمعاهد، والمنظمات الحكومية، وغيرها من الدارسين والباحثين، وقد جعلها في حجمين: أحدهما مكتبي كبير، والآخر صغير بحجم الجيب.

وقد تناول في الكتاب الشهر القمري (العربي) وأقسامه، وأتبعه بعض الإيضاحات عن الخسوف والكسوف، فمعرفة أيام البروج وترتيبها مستدلاً بمنظومة والده - رحمهما الله تعالى - في هذا الشأن، وأتبع ذلك ببيان (النجوم التي يهتدي بها في البر والبحر) فمنظومة الوالد - رحمهما الله

تعالى - ثم أخذ في بيان الموافقات بإخراج رائع، ولما انتهى من الموافقات غلبه ذوقه العلمي الأدبي فختم كتابه بمنظومات، ولآلى من عيون الشعر العربي. وإليك أيها القارئ الكريم نموذج من هذه الموافقات.

مؤتمر توحيد أوائل

الشهور القمرية

والشيخ - رحمه الله تعالى خلق للمسلمين جميعا ، لا يعرف التعصب ولا يرى في تقلباته غير الجسد الواحد ، والبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا ، فهو حريص أشد الحرص على وحدة المسلمين ، واجتماع دولهم ، فما هم وإن تعدوا إلا أمة واحدة ، وقد وجد في علم الفلك طريقا لتوحيد المسلمين - ولو في الدول العربية والدول المشاركة لها في جزء من الليل - في أوائل الشهور القمرية ، ويجتهد ، ويكثف اتصالاته ، وصلته بالمسؤولين على مستوى الدول الإسلامية وثيقة ، حتى تم له شيء من ذلك ودُعيَ إلى عقد (مؤتمر توحيد أوائل الشهور القمرية ، في الكويت في الفترة من (٢٣ من المحرم ١٣٩٣هـ - الموافق ١٩٧٣/٢/٢٦م إلى من المحرم ١٣٩٣هـ - الموافق ١٩٧٣/٣/٣م).

وقد انعقد المؤتمر برئاسته ، وسكرتارية الشيخ عبد الله العقيل ، وعضوية كل من الأساتذة:

- ١- الشيخ / محمد خاطر مصر عضو
- ٢- الشيخ / أحمد حماني الجزائر عضو
- ٣- الشيخ / كمال التارزي تونس عضو
- ٤- الشيخ / عطية صقر مصر عضو
- ٥- الأستاذ / عبد الحميد سماحة الكويت عضو
- ٦- السيد / عبد الكريم غزلون الجزائر عضو
- ٧- السيد / صالح العجيري الكويت عضو

وقد أشار الشيخ في افتتاحه إلى ضرورة الحفاظ على التاريخ الهجري والرجوع إلى الحساب الفلكي عند تعذر الرؤية لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((فاقدروا له)).

وكان من توصيات هذا المؤتمر:

أن رؤية الهلال هي الأصل في تحديد الشهور القمرية شرط ألا تتمكن منها التهمة تمكنا قويا وهي تثبت بالتواتر والاستضافة أو بخبر الواحد العدل إذا لم تتّم التهمة في الأخبار لسبب من الأسباب ومنها مخالفة الحساب الموثوق به.

أنه لا عبرة باختلاف المطالع وإن تباعدت الأقاليم متى كانت مشتركة في جزء من ليلة الرؤية وإن قل، وإذا ثبتت الرؤية في بلد وجب أن تأخذ بها البلدان الأخرى إذا كانت إذاعة ذلك البلد من جهة رسمية وبالوسائل المعتمدة.

أنه إذا تعذرت الرؤية يجوز الاعتماد على الحساب الفلكي الموثوق به.

وجوب عمل تقويم قمري بمعرفة لجنة معتمدة من فقهاء الشريعة الإسلامية وعلماء الفلك تلتزم به الحكومات الإسلامية في صومها وفطرها وفي تحديد مواسمها الدينية وفي تاريخها.

واجتمعت اللجنة برئاسته، وبعد دراسة ومناقشة اتفق الحاضرون على أن تكون الأسس التي يبنى عليها التقويم الإسلامي الموحد الذي يجمع بين الحكم الشرعي والحساب الفلكي هي:

أن يبدأ الشهر من الليلة التالية لاجتماع النيرين (مولد القمر).

ألا يقل بعد القمر الزاوي عن الشمس عن سبع درجات وهو الحد الأدنى لإمكان رؤية الهلال.

أن يكون للقمر مكث بعد غروب الشمس بحيث تمكن رؤيته.

أن تكون مكة المكرمة المبدأ المكاني لحساب الهلال الشرعي. بالاتفاق على هذه الأسس وكل إلى السيد / صالح العجيري وضع مشروع التقويم المطلوب.

أرأيت كيف كان الشيخ - رحمه الله تعالى - دعوة إلى توحيد المسلمين؟ ولو تيسر لنا الأخذ بالرأي السابق وتوصيات المؤتمر الموقر لكان هذا من أعظم مظاهر وحدة المسلمين، وإنا لنترجو هذا وما ذلك على الله بعزيز.



الشيخ

ورمضان العظيم

إن مواسم الطاعات في الإسلام أزمنة حميدة حُبب الله - تعالى - إلى المؤمنين إحياءها، ورغبتهم في التنافس فيها، وكشف لهم عن عظيم فضله، وواسع رحمته لمن يحسنون العمل فيها، ورمضان المعظم سيد الشهور شرفه الله - تعالى - بنزول القرآن الكريم فيه، وفرض الله تعالى علينا صيامه، وخصه دون سائر الشهور بتلك الفريضة فشرف بها أبضا، يقول جلت حكمته:

{ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ }^(١).

وإذا كان رمضان شهر القرآن فقد أحياه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالقرآن الكريم بمدارسته مع أمين الوحي جبريل - عليه السلام - كما أشار إلى ذلك الحديث الشريف.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه جبريل في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة^(٢).

وأولى بالمسلمين أن يستنوا سنة نبيهم - صلى الله عليه وسلم - وأن ينهجوا نهجه، فيتدارسوا في شهر القرآن كتاب الله - عز وجل - تلاوة وتدبرا، وتعلما، وتعلما.

ألم يكن جبريل - عليه السلام - ينزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيدارسه القرآن؟

والله جل شأنه يقول:

1 - البقرة (١٨٣).

2 - متفق عليه.

{ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ }^(١).

وقد آتانا الرسول الأكرم - صلى الله عليه وسلم - في هذا الشهر الكريم بتلك السنة الطيبة فإذا أخذنا بها أحسنًا، فلنا من الله الغني الحميد الجزاء الأوفى وهو القائل جل شأنه:

{ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ }^(٢).

وقد شاء الله - جلت قدرته - أن تكون قطر في عصرها الحاضر مضرب المثل في شهر رمضان الكريم، فقد كان ابنها البار - خادم العلم - عبد الله بن إبراهيم الأنصاري يسبق بدعوة مفكري العالم الإسلاميين للنزول بهذا البلد الذي أحب العلم، وقدر أهلُه حق قدرهم، وحبب الله إليه القرآن، وزينه في قلوب أهلُه، ففتحوا قلوبهم قبل بيوتهم للقرآن الكريم وأهلُه، وأعدوا عقولهم قبل منازلهم للأخذ عن العلماء، وكان مطار الدوحة مهبط الداعين إلى الله - تعالى - ومنطلق الضاربين في سبيل الله داعين إلى الله، مبلغين دعوته، حاملين إلى أقطار الأرض كلمته.

لقد كان الشيخ - رحمه الله تعالى - لا يدع عالما - اشتهر بدعوته وعُرف بحجته، وتناقلت وسائل الإعلام مسموعة، أو مشاهدة، أو مقروءة أحاديثه - إلا ودعاه لقضاء شهر الصوم في قطر، ورغبه في معايشة إخوانه المسلمين فيها، وبشره بأنه سيجد فيها تربة طيبة، ومناخا مؤمنا كريما، وسيرى فيها نفوسا أشربت حب الله - تعالى، ورسوله - صلى الله عليه وسلم - فاشتاقت للأخذ عن الله - جل جلاله - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - ويسر الله - تعالى - له أمره، فاستجاب له صفوة علماء الإسلام، وسعى بدعوته - إلى قطر من آتاهم الله - تعالى - الحجة، وشرفهم بالحكمة، وأقامهم بفضله على الهدى، وألزمهم كلمة التقوى، فكانوا أحق بها

1 - الحشر (٧).

2 - الرحمن (٦٠).

وأهلها، حتى صار أهل قطر، والمقيمون بها يتربون هلال رمضان، فهو هلال رشد وخير، يُقْبَلُ، فيُقْبَلُ معه أهل القرآن، ومشاهير القراء على مستوى العالم الإسلامي، ويفد العلماء، ومعهم خير ما يُهْدِي فيَهْدِي وَيُعْطِي فينقذ الله - تعالى - به من الضلال والضياع، معهم ما أفاء الله - جل جلاله - عليهم من علم بكتابه، وفقه لسنة رسوله ومصطفاه - صلى الله عليه وسلم - ودراية بدين العلي الأعلى جل ثناؤه.

لئن كان كثير من بلاد الإسلام يضاعفون أنوار الكهرياء احتفاء برمضان فقد تعود هذا البلد أن يكون القرآن الكريم نوره، والعلم هداه في أيامه كلها عامة وفي رمضان المعظم خاصة، فما هي إلا دعوات كريمات يطلقها خادم العلم - رحمه الله تعالى - هاتفيا، أو بريديا فتأتيه بكل عالم حكيم فقيه، وتستقبل الدوحة هذه الوفود الكريمة الطيبة، وتعد للقاءهم إعدادا يفوق الوصف، ولم لا وهي تستقبل من أراد الله تعالى بهم خيرا، وتحثي بورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

عن معاوية - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ((من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين))^(١).

وهم المبلغون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((بلغوا عني ولو آية))^(٢).

وهم الداعون إلى الله { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) }^(٣).

1 - متفق عليه.

2 - رواه البخاري.

3 - فصلت (٣٣).

وهم - والله حسيبهم - الأمة التي دعا الله المسلمين إلى أن تقوم فيهم داعيةً إلى الخير، آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر وشهد - جل جلاله - لها بالفلاح.

قال تعالى:

{ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) }^(١).

وهم ذوو الفضل وأصحاب الكرامة عند الله تعالى:

عن أبي أمامة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال ((فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم)) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلّمي الناس الخير))^(٢).

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر))^(٣).

فقطر حين تستقبل إنما تستقبل الخير والهدى، وتفتح أبوابها للدعوة إلى الله تعالى، وتيسر الطريق لكل راغب في إبلاغ حق، وتتيح لكل عالم غيور على عقيدته الفرصة، وتفسح له المجال معبراً عن الحق الذي آمن به ليُحقَّ الله الحق ويبطل الباطل، ولتكون كلمة الله هي العليا.

1 - آل عمران (١٠٤) .

2 - رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

3 - رواه أبو داود والترمذي.

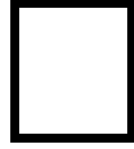
لقد كانت الدوحة تستقبل هؤلاء استقبالا لأسباب التجارة الرابحة، وقد أعد خادم العلم - رحمه الله تعالى - خطته، وحدد نزل هؤلاء الأعلام، وهيئت لهم الإقامة الهانئة المريحة، وأتيحت لهم الاتصالات الهاتفية داخل قطر وخارجها، ووسائل الانتقال المنظمة، فكانت ترى مواكب النور تتطلق من الفنادق قبيل الصلوات لأداء الصلاة، والالتقاء بإخوانهم المسلمين في دروس أو ندوات بعد صلاة العصر، أو عقب أداء العشاء والتراويح، أو دبر صلاة الفجر، وقد تعقد الندوات في المساجد أو في أماكن عامة، وقد وزعت النشرات، وانتشرت جداول الدروس والمحاضرات، وأحيط الرجال والنساء والشباب والفتيات بها علماً، وتتطلق السيارات إلى مساجد كذا، أو مكان كذا لسماع القرآن الكريم يرتله فلان من مشاهير القراء في أي دولة إسلامية، ثم مشاهدة محاضرة يلقيها فلان، أو ندوة يشارك فيها فلان وفلان من علماء ومفكري العالم الإسلامي حتى لا تكاد تذكر قارئاً أو مفكراً ذاع صيته في عصر خادم العلم - رحمه الله تعالى - إلا وكانت له في قطر زورات، ومع جمهور هذا البلد الطيب لقاءات، وعرفته بيوتات كريمة في قطر الخير، وعرفها.

والقرآن الكريم في طبعاته المختلفة، كذلك كتب التراث، أو مؤلفات مفكري العالم الإسلامي توزع هدايا على الحضور، حتى لقد كان بعضهم يقول: حصيلتي من الهدايا الرمضانية - كذا مصحفاً، وكذا كتاباً.

كما كان يوزع أيضاً بعض النشرات التي كانت ترد من بعض الجماعات الإسلامية حتى أصبح رواد ندواته فقهاء في قضايا الأمة الإسلامية بفضل هذه النشرات، وهذه الكتب التي كان الشيخ عبد الله الأنصاري يوزعها.

وقطر دولة جمع الله تعالى لها صفوة من علماء الإسلام، وكانت لهم موطناً، وما كان ذلك إلا بفضل الله تعالى، ثم بحسن رعاية حكام قطر

للعلم، وكريم رعايتهم للعلماء، ولهؤلاء العلماء الأعلام نشاطهم المتميز طول العام، ثم مشاركتهم في شهر رمضان المعظم وما غفل خادم العلم - رحمه الله تعالى - عن المسلمين خارج قطر، وما اهتم بإحياء رمضان الكريم في وطنه فحسب فقد كان يرى لكل مسلم يستطيع خدمته حقا عليه، ولذا أطلق البعوث إلى دول العالم الإسلامي، والجاليات الإسلامية - من قطر وعلى نفقتها - لإحياء ليالي رمضان بإسماع المسلمين وإقراءهم كلام ربهم - جل وعلا - ونشر العلم فيهم، وتعميق العقيدة في قلوبهم، وتوثيق صلتهم بدينهم.



□ الشيخ و حاجات الناس

□ دار الأيتام الأنصارية

الحديث عن الشيخ - رحمه الله تعالى - وحاجات الناس مجال يطول فيه القول فقد كان - والله حسيبه ولا أزكيه على الله - يرى أنه إنما خلق للناس عامة، وللضعاف وذوي الحاجات خاصة، فكان - رحمه الله تعالى - يستقبل ذوي الحاجات استقباله لغنم طيب، وزاد كريم **يذكره** الله به في الدنيا، ويرفعه به إذا قام الناس لرب العالمين، لقد كان لقاءه لذوي الحاجات يدخل السكينة في قلوبهم، ويدنيههم منه، ولا يجدون غضاضة في مراجعته، بل كانوا يتحولون بعد قضاء حاجاتهم إلى رسل خير يدعون ذوي الحاجات إليه، ويجمعون الضعفاء من حوله.

لقد كان - رحمه الله تعالى - بشوشا، حسن اللقاء، حلو الحديث، لا يغضب، ولا يعرف العبوس **طريقه** إليه، وقد تدفع الحاجة صاحبها إلى أن يكون شديد اللهجة، ثائر العبارة، ملحاحا مما يدفع بعض القربيين من الشيخ إلى الغضب رفقا به، وزجرا لهذا الجرئ الحاد، فإذا بالشيخ - رحمه الله تعالى - يغضب منهم، ويثور عليهم ويحثهم على الرفق بهؤلاء الذين اختبرهم الله تعالى بهم، وجعلهم منطلق ذوي السلطان والجاه إلى رضوان الله تعالى ورحمته، أو سائقيهم إلى غضبه وعذابه، والشيخ - رحمه الله تعالى - يرجو لنفسه ولمن معه الأولى، ويستعيد بالله من الثانية، وكثيرا ما كان **يذكر** من حوله بقوله: من للضعفاء إذا تخلينا عنهم؟

إنه يهيب بهم أن يقبلوا على خدمة الآخرين بنفوس طيبة، مطمئنة بالإيمان رجاء أن يجعل الله تعالى لهم شيئا من ثوابه، فذاك نهج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتلك سنته عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال: ((اشفعوا **تؤجروا** ويقضي الله على لسان نبيه ما أحب))⁽¹⁾.

ولعله - رحمه الله تعالى - كان يذكر تلك الدعوة الكريمة من رسول الله، نبي البر والتقوى - صلى الله عليه وسلم - في حديثه الشريف.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ))¹.

ولذا فقد نذر الشيخ - رحمه الله تعالى - نفسه لتفريج كربات المسلمين، والتيسير عليهم، وستر عوراتهم، وآثر أن يكون في حاجات المسلمين عسى الله أن يكون في حاجته.

{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)}^(٢).

بل لقد كان لقاءه - كما حدث بعض قاصديه - مبعث التفاؤل، ومبدأ الطمأنينة، وفتحة الاستقرار.

ولم لا يكون الشيخ عبد الله الأنصاري - رحمه الله تعالى - كذلك - وقد أرسى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نفس كل مؤمن يحب الله ورسوله أن من علائم الأخوة الكريمة أن تحب النفع لأخيك، وأن تهش لوصوله إليه كما تبتهج بالنفع يصل إليك أنت، فإذا اجتهدت في تحقيق هذا النفع فقد تقربت إلى الله بأزكي الطاعات وأجزلها مثوبة.

عن ابن عباس أنه كان معتكفاً في مسجد رسول الله، فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس فقال له ابن عباس: يا فلان أراك مكتئباً حزيناً. فقال يا ابن

¹ رواه مسلم.

² - الشعراء (٨٨، ٨٩).

عم رسول الله، لفلان علي حق ولاء، وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه!!

قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك؟ قال: إن أحببت. قال فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد، فقال له الرجل أنسييت ما كنت فيه؟ قال: لا، ولكني سمعت صاحب هذا القبر، والعهد به قريب - ودمعت عيناه - يقول:

((من مشى في حاجة أخيه، وبلغ فيها كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين))¹ !!

وفي رواية: ((كل خندق أبعد مما بين الخافقين))!

وهذا الحديث يصور إعزاز الإسلام لعلائق الإخاء الجميل، وتقديره العالي لضروب الخدمات العامة، التي يحتاج إليها المجتمع لإرساء أركانه وصيانة بنيانه.

يقول الشيخ الغزالي - رحمه الله تعالى - استكمالاً للتعليق على هذا الحديث الشريف:

لقد آثر ابن عباس أن يدع اعتكافه، والاعتكاف عبادة محضة رفيعة الدرجة عند الله لأنها استغراق في الصلاة والصيام والذكر، ثم هو في مسجد رسول - صلى الله عليه وسلم -، حيث يضاعف الأجر ألف مرة فوق المساجد الأخرى.

ومع ذلك فإن فقه ابن عباس في الإسلام جعله يدع ذلك ليقدم خدمة إلى مسلم يطلب العون: هكذا تعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم².

¹ - رواه البيهقي.

² - خلق المسلم ص ١٧٣.

وأي مؤمن تمر به تلك الحادثة معززة بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا يسخر كل إمكاناته لخدمة الناس، والسعي في حاجاتهم، وتخفيف ويلات الحياة - وما أكثرها - عنهم؟

لقد عرف الشيخ - رحمه الله تعالى - بأنه دائم الابتسامة، كثير الرحاب، هاشُّ هاشُّ، لا يعرف الاعتذار، ولا يقبل التراخي في حاجات الناس، وكان الشاعر كان يعنيه بقوله:

تراه إذا ما جئته مُتَهَلِّلاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

إن الدعوة الكريمة من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جديرة أن يعيها كل مؤمن، حتى يرى مجتمع الإسلام كما أحب الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وهو القائل:

((تبسمك في وجه أخيك صدقة))⁽¹⁾.

إن الابتسامة تفعل ما يعجز عنه السحر، فتكشف الغم، وتزيل الهم، وتستبدل بالحزن الفرح، وبالشقاء السعادة، وباليأس الأمل ولذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حريصاً عليها في نفسه حاثاً عليها أمته.

عن عبد الله بن الحارث - رضي الله عنه - قال: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم².

وقال جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - : ((ما حجبني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منذ أسلمت، ولا رأني إلا تبسم)).

إن الابتسامة لا تكلف الإنسان بل هي المظهر الطبيعي، أما العيوس وتداخل غطاء الوجه فهو إجهاد، وضغط حسي ونفسي. فلم لا يكون المؤمن بساماً؟

1 - رواه البخاري.

2 - رواه الترمذي.

لقد كان بعض قاصديه يأتيه في وقت غفوته، أو إجهاده فينهض نشيطاً طيب النفس، مُلقياً كل متاعبه، مظهراً كل ما يريح زائر مشعراً إياه بتجاوبه التام معه، ومعايشته له في مأساته، ميديا استعداده لمعاونته، وحرصه على بلوغ مراده، وهو في كل أمره يقدم مشيئة ربه، حتى لحظ مجالسوه أن مجلسه عامر بمشيئة الله تعالى وذاك أدب القرآن الكريم:

{ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) }^(١)

وكانت حاجات الناس عنده مختلفة اختلاف أصحابها، متنوعة تنوع جنسياتهم، فقد كان اهتمامه - رحمه الله تعالى - بذوي الحاجات سواء قطريين أو مقيمين، داخل قطر، أو خارجها على مستوى كل بقعة يعيش بها مسلم، ولذا تباينت المطالب، وهو حريص على رفع الحاجات إلى المسؤولين، يُصرُّ على أن يبلغ فيها بعون الله تعالى، وقوته، فهو القائل جل شأنه:

{ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) }^(٢)

وقد يثير إعجابك ما تسمع حين تستعرض طرفاً من الحاجات التي عُرِضَتْ عليه وبلغ فيها، فقد كانت الحاجات خاصة، وعامة، فمن طالب لنفسه أو لأسرته أو لأمته، أو جماعته في أمة مسلمة أو جالية مسلمة في بلد غير مسلم، أو لبلدٍ مسلمٍ.

وهو في كل هذا ينطلق بالله، منكرًا نفسه، معلماً من يلوذ به أن الأمور كلها بالله، وأنه - جل شأنه - جعل لكل شيء قدراً، وما نحن إلا أسباب إن أراد فعلها فعلت، وإلا فلا يستطيع غيره - جل شأنه - إفعالها.

1 - الكهف (٢٣، ٢٤).

2 - الطلاق (٣).

يقول عز وجل:

{ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) فَسَبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣) }^(١).

كان لأحد المدرسين قريب في النمسا وكانت له بنتان وولد وقد كبرت البنتان واتصل هذا القريب بقريبه المدرس الذي كان يعمل في مدرسة صلاح الدين لينقذه بنقل البنتين إلى دولة عربية مسلمة حيث يخشى عليهما من الفساد ، وكانت التأشيرات صعبة ذلك الوقت بعد حرب يونيو ١٩٦٧ فقام شيخنا - رحمه الله - بعمل اللازم مع أعلى الجهات المسؤولة بالدولة.

وفعلاً حضرت البنتان وتزوجتا منذ عدة سنوات بالدوحة.

أفلا يعد هذا العمل إنقاذاً لعرض الإسلام، فعرض الإسلام واحد لا يتجزأ، وصيانة لحرمات المسلمين، فهي وإن تعددت واحدة.

رحم الله الشيخ لقد قام الله تعالى (به) مراكز إسلامية، ومؤسسات اجتماعية، ودورا للأيتام، فضلاً عن كثير من المساجد في كثير من بقاع أرض الله تعالى، وكم يَسْرُّ على يديه من حاجات مسَّ أكثرها المسلمون عامة، وكان سند الكثير من حركات التحرر والجهاد الإسلامي، وكان له تأثير واضح في الدعم المادي والمعنوي.

لقد كان - رحمه الله تعالى - دائم التفكير في هموم المسلمين والبحث عن سبل الحل لها وعلى سبيل المثال لا الحصر اهتمامه بالأرض المحتلة وتبنيه فكرة إنشاء صندوق يمول الصرف على مساجد بيت المقدس وذلك أثناء انعقاد اجتماع المجلس الأعلى العالمي للمساجد الذي كان عضوا مؤسساً فيه وتم افتتاح حساب بدولة قطر لتلقي الدعم من أهل الخير بدولة قطر ثم تحويل المبالغ بعد ذلك إلى رابطة العالم الإسلامي لتحويلها إلى جهاز

¹ - يس (٨٢ ، ٨٣) .

الاختصاص للإنفاق منها في أوجه الصرف المخصصة لها، إنه يعايش أبناء فلسطين، ويرى حقهم على المسلمين، ويعمل جاهداً على إيصال هذا الحق أو البلوغ وفاء للإسلام ورعاية لحرمة القدس ثالث المساجد التي تشد إليها الرحال في الإسلام.

وكان لا يذهب إلى مؤتمر أو حضور اجتماع إلا وفي جعبته من القضايا التي تهم المسلمين الكثير وكان يدافع عنها دفاعاً مستميتاً ولا يخشى في الله لومة لائم وكم من القضايا التي أثرت وتم تنفيذها كان له فيها الأثر الطيب على المسلمين.

ففي أثناء زيارة الشيخ - رحمه الله تعالى - لندوة العلماء - وكانت هذه أول زيارة لها من قبل الشيخ - اطلع على نشاط اللجنة وما يقوم به سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي - رحمه الله تعالى - من أعمال تخدم الإسلام والمسلمين من تعليم وإقامة لمسلمي عدد كبير من الدول الإسلامية تبرع الشيخ رحمه الله بمبلغ (٢١,٠٠٠) واحد وعشرين ألف دولار أمريكي لندوة العلماء. دون تردد.

وكان بفضل الله - تعالى - موفقاً في اختيار مواقع المشروعات الإسلامية من مساجد وغيرها، لتؤدي - بحول الله وقوته - رسالتها على أحسن الوجوه وأكملها.

وإليك نماذج على سبيل المثال:

مسجد الشيخ خالد بن حسن العبد الله آل ثاني:

بني هذا المسجد في جمعية الأنصار الخيرية في ليدالا بالهند وتم رصد مبلغ ٣٥٠,٠٠٠ ثلاثمائة وخمسين ألف ريال قطري لبناء المسجد وبني هذا المسجد في منطقة تكثر فيها المؤسسات النصرانية وكان كثير من

المسلمين يرسلون أولادهم إلى هذه المؤسسات وكان المسجد بمثابة منارة للإسلام في تلك المنطقة.

سبحانك اللهم، أنت الله ربنا ورب كل شيء لا رد لقضائك ولا معقب لحكمك، تُسَخَّرُ من تشاء وما تشاء لمن تشاء.

كيف حرك - الله تعالى - هذا الشيخ من قطر، وأمده بمدده، وحمله من أموال الله لينفق منها في رعاية مصالح المسلمين، والدفاع عن دين الله جلّ وعلا..

ألم أقل إن الرجل - رحمه الله تعالى - مشغول بهموم المسلمين، سباق على رعاية ضعافهم؟

دار الأيتام الأنصارية بكاليكوت بالهند

معلم من معالم العمل الإسلامي، ودررة نفيسة بين دور الأيتام بالهند.

إنها جديدة فريدة في نهجها، وصورتها، وعطائها التربوي والاجتماعي، وصورتها التي تفوق كل التخيلات، وأسلوبها التربوي التعليمي المنبثق من الدين الإسلامي الحنيف، والمسائر لما وصل إليه العصر الحديث من وسائل وطرق تربوية حديثة، والدار تضع في طليعة من تهتم بهم هؤلاء الأيتام الذين فقدوا العائل، وغاب عنهم من يرعى شؤونهم، وأصبحوا أمانة يسأل عنها أبناء الإسلام عامة، ومن اصطفاهم الله - تعالى - لفعل الخيرات خاصة، ثم أبناء الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون.

يقول ربنا - جلا وعلا - لحبيبه ومصطفاه:

{ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَانِلًا فَأَغْنَى (٨)
فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١) }^(١).

وعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم:-

((أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا)) وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما ((^(٢).

ورعاية شؤون اليتامى من دلائل صدق العقيدة وعلامات الفلاح يقول العلي الأعلى:

{ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُ رَقَبَةً (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ
ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) }^(١).

1 - الضحى (من ٦ إلى آخر السورة).

2 - رواه البخاري.

أما إهمال اليتيم والإعراض عنه، وتجاهل حاجاته فليس من الدين في شيء، بل هو أكبر سمات الكفر والجهل.

انظر إلى ذلك البيان بما فيه من فضيحة للكفر والكافرين، وتذكير لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

{ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحِضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ (٣) } (٢).

ولا خير في أمة تتسى ضعافها، وتفتقد الرحمة في علاقاتها، ولا يكون هذا أو شيء منه في أمة قال الله تعالى عنها:

{ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا } (٣).

ولذا كان لابد من إقامة هذه الدار في تلك البقعة من أرض الله لإشعار كل يتيم مسلم بأنه إن فقد أبا فالمسلمون جميعا له آباء، وإن رحل عنه العائل فأمة الإسلام كلها تعوله، وتقام له دار باسمه تستقبل معه، ومع أبناء الذين لا يجدون أبناء الأغنياء الأثرياء دون أن تفرق بين غني وفقير، فروادها متساوون في الرعاية، متكافئون في ملبسهم، وطعامهم، وشرابهم، ونومهم، ويقظتهم، بل في كل شيء.

كما أنها أغنت المسلمين عن إيداع آبائهم وبناتهم في دور لا صلة لها بالإسلام، وبالتالي لا تقوم التربية فيها على منهج إسلامي.

وكانت في قيامها بعيدة عن كل تعصب، بريئة من كل تفرقة، لا تميل إلى حزب معين، ولا تناصر اتجاهها دون آخر، فهي للمسلمين جميعا.

1 - البلد (من ١١ : ١٦).

2 - الماعون (من ١ : ٣).

3 - الفتح (٢٩).

وقد أقيمت على مساحة (٢٠) عشرين هكتاراً، فيها جمال الريف،
وسحر الطبيعة، ورقة الحياة واعتدالها، وقد أطلق عليها (منبع الرحمة).

وضع خادم العلم الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري حجر الأساس في
جمهرة مسلمي الهند على بركة الله تعالى، وافتتح العمل بها في العام
الدراسي (١٩٨٤ - ١٩٨٥) وأطلق عليها هذا المسمى تيمناً بالأنصار، الذين
آووا، ونصروا وتقديراً للشيخ الذي وَفَدَ عليهم من قطر، فرأى نفسه واحداً
منهم، ورأى كل يتيم مسلم في هذا البلد ولده، له عليه حقوق، فقدم من
مال الله تعالى ما يَسِّرُ الله له، ورَعَى - بفضل من الله - المشروع منذ نشأته
الأولى إلى اكتماله، وظل وثيق الصلة به، يزوره، ويتفقد أحواله، ويتابع
سير العمل فيه حتى لقي ربه تعالى راضياً مرضياً.

□ المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية

□ الدوحة - محرم ١٤٢٠هـ

□

- إعداد وتنفيذ
- الشيخ راعي المؤتمر
- لجان المؤتمر وتوصياته
- وتعاونوا على البر والتقوى

إعداد وتنفيذ

يقول ربنا جل وعلا:

{ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)** }^(١).

افتتح ربنا - جل وعلا - الآية بأمر ((واعتصموا بحبل الله جميعاً))، وأعقبه بنهي ((ولا تفرقوا))، وهما يؤديان إلى غاية واحدة أرادها الله تعالى لهذه الأمة، ودعاها إليها، ورجبنا في الأخذ بأسبابها، لتكون الأمة جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحُمى والسهر، ثم امتن عليهم بفضله في تجميع هذه الأمة، وتوحيد صفها، وتأليف قلوبها ((واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً)) وذلك أمر لا يكون إلا منه، ولا يقدر عليه غيره.

يقول العليم الخبير:

{ **وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢)** }
{ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)** }^(٢).

والأمة التي يؤلف الله بين قلوب أبنائها أمة طيبة صنعها الإيمان صناعة ممتازة، وصانتها العقيدة الصحيحة من كل زيغ، وقادها اليقين إلى كل بر، وأقام فيها أكرم الصلوات التي تألف بها الأرواح، وتتأخى النفوس، وتطمئن القلوب.

1 - آل عمران (١٠٣).

2 - الأنفال (٦٢، ٦٣).

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف))^(١).

إنها الأمة التي تقوم علاقاتها على أساس من المودة والتراحم والتعاطف، وإحساس مشترك، وأخوة لا يفسدها الهوى، ولا يميل بها شيطان.

هم كما وصفهم من بعثه الله رحمة للعالمين.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر))^(٢).

وعلى الأمة الخاتمة أن تذكر دائماً أن الله - تعالى - إنما أعزها، وسودها بالإسلام، هذا الدين الذي نظم الله به عقد الأمة بعد انقراط، ووحدتها بعد فرقة وجمعها بعد شتات، وأعزها بعد زل، ورفعها بعد ضعة، وأحيها بعد موت، به صقل نفوسها، وشحذ عزائمها، وهذب طباعها، وصان عليها فطرتها، وأقام أمرها، وأعلى كلمتها، وسدد خطاها، وأحكم مسارها، وأسمع البشرية مسك ختام الكتب، وبلغ بها سنة الصادق المصدوق، فكانت خير أمة أخرجت للناس، وكانت أمة وسطاً.

إنها البنيان المحكم المتقن يشد بعضه بعضاً، فإذا تناست الأمم حقيقتها، وأنستها الأهواء ما يجب أن تكون عليه، وشوّهت المطامع واقعها، ومزقت الفرقة جماعتها كانت في حاجة إلى من يذكرها ما نسيت، ويعرفها ما جهلت، ويرد إليها ما افتقدت.

1 - رواه البخاري.

2 رواه البخاري.

ومن يكون لهذا غير العلماء الذين استودعهم الله شريعته، وحملهم بعد
الرسول - عليهم الصلاة والسلام - أمانة البلاغ؟

يقول العليم الخبير:

{ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) }^(١).

فاجتماعهم بعث للأمة، وإعلاء للحق، وتعريف بعظمة هذا الدين،
وكشف عن حاجة البشرية إليه، وتبصير بفلاح من أخذ به، وضياع وبوار
من حاد عنه.

وهنيئاً لأمة تضم هؤلاء الأخيار، وتُظِلُّهُمُ، وتنزلهم منزلاً كريماً، وتسخر
لهم إمكانياتها، وتفسح لهم المجال ليبلغوا الرسالة، ويؤدوا الأمانة، ويسمِعُوا
العالم كله صوت الإيمان، ويهتف داعيهم:

**{ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْرِمَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ
(٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي
ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٢) }^(٢).**

وقد شاء الله تعالى أن يكون مفتح ختام أعوام القرن الرابع عشر للهجرة
في دولة قطر الحبيبة، وفي دوحة الخير، عاصمتها المباركة وذلك بانعقاد
المؤتمر العالمي الثالث للسيرورة والسنة النبوية خلال الفترة من (السبت)
الخامس من المحرم إلى (الخميس) العاشر من نفس الشهر المحرم
(١٤٠٠هـ) الموافق (٢٤ : ٢٩) من نوفمبر (١٩٧٩م)، ويشترك في أعماله
(٢٦٧) مائتان وسبعة وستون من العلماء والوزراء وكبار المسؤولين عن
الشؤون الإسلامية، والقضاء الشرعي، والإفتاء، والمشتغلين بأمور الدعوة

1 - آل عمران (١٠٤) .

2 - الأحقاف (٣١ ، ٣٢) .

والفكر الإسلامي في عالمنا الإسلامي، وقد وفد هؤلاء الأعلام من (٤٧) سبع وأربعون دولة، خرجوا لله وفي الله، أشرقت جوانحهم بحب الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - فكان عيداً في الدوحة يضيء شعاعه كل دول العالم الإسلامي، بل يشرق سناه في كل بيت مسلم يرى آله أن للإسلام عليهم حقا، وكان حديث العالم كله، وشغل الصحف ووكالات الأنباء العالمية يتابعون باهتمام بالغ مؤتمراً ليس إلا صورة تحكي ماضي أمة اصطفاه الله تعالى، وختم بها الأمم، وبعث فيها مسك ختام النبوة - صلى الله عليه وسلم - شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ليقيم به الملة العوجاء، ويفتح به أعيننا عمياً، وآذاننا صماً، وقلوبنا غلماً يقول العلي الأعلى:

{ الرِّكَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١) }^(١).

وهم باجتماعهم هذا يصرون على أن يكون الحاضر امتداداً لماضيينا العريق نضرة، ووضاءة، وإشراقاً، وسبقاً، وأن يعد المسلمون أنفسهم لمستقبل تحتل الأمة فيه مكانتها التي أرادها الله تعالى لها، وميزها بها، وجاهد الرسول الأكرم - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الأعلام - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - من أجلها.

جاؤوا ينشرون ما أتوا من حكمة، ويذيعون ما آتاهم من فضله من علم، ويخرجون ما امتلأت به قلوبهم من حب يتسع للإنسانية كلها فضلاً عن المسلمين في كل بقعة من أرض الله جلَّ وعلا.

وخرجت الدوحة في استقبالهم فرحة مستبشرة، حَفِيَّةً بِقُدُومِهِمْ مَتَفَائِلَةً،
شأنها شأن كل أرض مسلمة تعلق على هذا اللقاء آمالاً، وترتقبُ على
أيديهم فتحة، وتَسألُ اللهَ العليَّ الأعلى باجتماعهم عزا ونصرا.

وقد أعد ابن قطر البار، خادم العلم، الشيخ عبد الله بن إبراهيم
الأنصاري - بفضل من الله تعالى - خطة محكمة للعناية بهؤلاء الوفدين
الأخبار تبدأ باستقبالهم منذ تشرف ساحة مطار الدوحة الدولي بهم، ورعاية
شؤونهم مدة إقامتهم، ثم حسن وداعهم حين يتم الله تعالى عليهم نعمته،
ويجري على أيديهم الخير لأمة الإسلام.

فولي الإدارة التنفيذية الأستاذ محمد بن عبد الله الأنصاري (أبو عمر)
وانبثقت من هذه الإدارة لجان منها :-

لجنة الإعلام برئاسة الأستاذ/ ناصر محمد العثمان.

لجنة الاستقبال برئاسة الأستاذ/ فوزي محمد سلامة.

لجنة الإسكان والعلاقات العامة وقد تولاهما الأستاذ/ فتحي عبد اللطيف
الأمين.

لجنة الأمن برئاسة الرائد علي المهدي.

اللجنة الثقافية برئاسة الأستاذ/ عبد الرحمن جابر رحمه الله.

السكرتارية العامة برئاسة الأستاذ/ محمد صادق الشافعي، ويدخل في
اختصاصاتها الإعداد للمؤتمر من الناحية الفنية وتسجيل جميع التوصيات ثم
طباعتها وتوزيعها ومتابعة أعمال المؤتمر العام واللجان الفرعية.

وكانت اهتمامات حضرة صاحب السمو أمير البلاد، وولي عهده الأمين،
ثم الحكومة الرشيدة لدولة قطر تاريخاً يذكر فيشكر، وعملاً تزدان به
أمجاد دولتنا الحبيبة.

لقد كانت السيارات الفخمة تكثف المطار بأعداد هائلة ومعها المسؤولون عن واجبات الحفاوة والتكريم ضيوفنا الأعراء إلى الفندق، حيث الجناح المعد لكل وافد كريم، وقد أحسن - بفضل من الله تعالى - اختيار أماكن الإقامة، وتيسير كل الخدمات اللازمة حتى الاتصالات الهاتفية داخل قطر وخارجها.

وقد خصص لإقامة الوفود فندقا (الواحة)، (وشبراتون)، أما أعمال المؤتمر فقد حظي بها فندق (الواحة).

وكان لوزارة التربية والتعليم قصب السبق، وحازت من الفضل أكثره، ومن الخير أعلاه، فقد سخر الشيخ محمد بن حمد آل ثاني - وزير التربية والتعليم آنذاك - كل إمكانيات الوزارة لخدمة المؤتمر وإنجاحه، وأمر بإعداد قاعة الاحتفالات في مقر القسم الداخلي بالوزارة، حيث عقدت بها جلسة الافتتاح، ثم الجلسات العامة للمؤتمر.

وقد انبثقت من هذا المؤتمر كثير من التوصيات الهامة التي وجهت بصدق واهتمام للنهوض بالأمة الإسلامية في قضاياها المصيرية وعلاج ما يكتنفها ويعرقل مسيرة سموها وبنائها وأداء رسالتها من منقصات وأسباب.

الشيخ راعي المطهر

أما الشيخ - رحمه الله تعالى - فحركة دائبة لا تتوقف ونشاط دوار لا يهدأ، وعمل لا يعرف الفتور، ويقظة لا تقربها غفوة.

لقد خطط للاستقدام، والاستقبال، والإعاشة، وتابع كل خطوة، وتفقد التنفيذ لحظة بلحظة، وافر ما يناسب، واستبدال ما لا يتفق وتطلعاته، ومع هذا لا يرى أنه قد فرغ من واجباته، وأدى ما عليه حين أسند المهام إلى أكفاء يقومون بها، بل ترى الحرص الذي فطر عليه يحمله على الدخول في كل أمر والوقوف على كل صغيرة وكبيرة، مع أنه في تلك الأيام لم يمض على خروجه من غرفة العمليات في لندن أجرى فيها عملية قلب كبرى، لم يمض عليه سوى أيام يسيرة لا تتجاوز عشرين يوماً.

فهو مع أصحاب المهام فيما كلفوا به، وهو في حاجات الوافدين، وصلته بهم دائمة، يتعرف على شئونهم، ويرعى مصالحهم، ويزورهم فرادى أو جماعات، ينصت إلى محدثيه عن الإسلام والمسلمين في بقاع كثيرة من أرض الله، ويسأل عن الأحوال في دول إسلامية، ويناقش قضايا الأقليات المسلمة في بلاد أخرى، ويستمع إلى قصص الصراع بين الحق والباطل، وما يعانیه القابضون على دينهم في كثير من أجزاء العالم، ويعرف أثر ما يسمع في قسّمات وجهه فتراه مشرفاً، متهللاً، مستبشراً لكل نبأ سار، وتلمحه حزناً مهموماً إذا سيق إليه شيء عن مصائب المسلمين وبلاياهم، يغمره الأسى، ويعتصره الضيق ولا يفرج عنه كربه، أو يكشف ضيقه إلا حديث الحق - جل وعلا - إلى عباده المؤمنين في محكم كتابه:

{ أَلَمْ (١) أَحْسَبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) } (١).

وهنا تتطلق الدعوات إلى من يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، وترتفع الأكف في ضراعة، وتتطلع القلوب إلى مدد الله الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، موقنين أن النصر من عند الله، وأنه لا حول ولا قوة إلا به - جل شأنه - وأن العهد قائم.

{ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ }^(١).

هو الحق وقوله الحق :

{ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ }^(٢).

ولا يشغله الهم عن استقصاء أحوالهم، والتفتيش في جوانب معيشتهم، ويبحث أيسر الطرق لتقديم العون لهم، استجابة لقوله تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ }^(٣).

وإذا كان هؤلاء قد فرض عليهم الجهاد، ونازلهم الكفر في ديارهم، بل ساكنهم الكافرون فيها، ونازعوهم بيوتهم، وأذوهم في دينهم وديارهم، وأنزلوا بهم صنوف العذاب، حتى حرموهم النوم والشبع، وضيقوا عليهم في شربة الماء، فإن الجهاد كتب علينا - وإن عشنا آمنين في أنفسنا وأهلينا نتقلب في رخاء ونعمة - كما كتب على هؤلاء، وإلا فأين قوله جل شأنه:

{ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ }^(٤).

1 - التوبة (١١١).

2 - غافر (٥١).

3 - الحجرات (١٥).

4 - التوبة (٣٦).

وإذا كان حمل السلاح غير متاح لنا فحاملوا السلاح في أشد الحاجة إلى كساء يسترهم وأهليهم، يقيهم الحر، ويدفع عنهم القر، وغذاء يملأ بطونهم، ويعينهم على الصمود، ودواء يسعف المصابين والمرضى.

وقبل هذا وذاك كيف يحصلون على السلاح وتجاره كافرون يغلونه على المؤمنين بالله ورسوله، ويهبون أحدثه وأفتكه لأمثالهم من أعداء الله ورسوله؟

إذا فالمرابط في سبيل الله في أمس الحاجة إلى من يشد أزره، ويحمي ظهره، ويكفيه حاجاته، ومن يقدر على هذا غير من وسع الله عليهم، وأسبغ عليهم نعمة الثراء؟

أليست تلك هي التجارة الرباحة مع الله؟

وأكرم بها من تجارة!

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (١٠) تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشْرُ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) }^(١).

فكما أن المال عصب الحياة هو عصب الجهاد، وهو من أعظم أسباب القوة، خاصة إذا امتدت به يد مؤمنة، تحب الله - تعالى - ورسوله - صلى الله عليه وسلم - طيبة النفس بما تبذل، صادقة فيما تقدم، والجهاد بالمال - كما ترى في الآية الكريمة - مقدم على الجهاد بالنفس.

¹ - الصف (١٠: ١٣).

وأي الناس يأبى أن يكون مجاهداً، وهو آمنٌ في أهله، معافىٌ في بدنه، مطمئناً في عبادته، لا تصيبه شوكة، ولا يصل إليه مكروه، لا يحمل سلاحاً، ولا يرفع في وجهه مثل ذلك؟

وأيسر الطرق المؤدية لهذا هو الجهاد بالمال.

عن زيد بن خالد - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: ((من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا))^(١).

وقد يسر الله تعالى للشيخ عبد الله الأنصاري - رحمه الله تعالى - أسباب هذا العمل، فحكاهم قطر - ولا أزكيهم على الله - بررة بالإسلام والمسلمين، ينفقون عن سعة، ويبدلون في حب، ويواسون ابتغاء وجه الله تعالى، وأهل قطر - والله حسيبهم حبيب الله إليهم ذلك، ورغبهم في الجهاد بالمال، والشيخ عبد الله - رحمه الله تعالى - موضع ثقة الجميع، ومستقر أماناتهم، فكان سأل، ويدقق، ويعد وهو على ثقة تامة بأن الله - جل وعلا - سيوفي عنه.

ولذا فهو يتقلب بين الوافدين حريصاً على الخروج بأدق المعلومات وأشملها سائلاً الله - جلت قدرته - أن يمنحه شرف تلبية حاجات المجاهدين، وأن غوثاً للمستضعفين.

لقد كانت حصيلة المؤتمر بالنسبة له مختلفة تماماً عن كل مشارك، فأهدافه كثيرة، وطموحاته متعددة، وتطلعاته إلى مستقبل إسلامي أسعد وأفضل تحتل فيه أمتنا الإسلامية اللائق بها، والذي اختاره الله تعالى - لها - واختارها له، وليعودوا إلى ما كان عليه سلفهم، فيشرفوا بمعية سيد ولد آدم - صلى الله عليه وسلم - ويكونوا كما قال ربنا جل وعلا:

¹ - متفق عليه.

{ مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللهِ وَالَّذِيْنَ مَعَهُ اَشِدَّاءُ عَلٰى الْكٰفِرِيْنَ رَحِمًا بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجْدًا
يَبْتَغُوْنَ فَضْلًا مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا }^(١).

وكان - رحمه الله تعالى - قوي الذاكرة يعي أكثر مما يكتب، ويحمل في صدره من آلام الأمة أضعاف ما تحدث به المراجع، وكان وقافاً عند المهام، شغوفاً بعضائم الأمور خرج من المؤتمر بحصاد طيب، ووقف على كثير من قضايا المسلمين.

يقول المفكر الإسلامي الكبير والداعية المجاهد الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله تعالى:

إن حكومة قطر وإن كانت استضافت المؤتمر، ودعت إليه، ولكن الشيخ الأنصاري هو - في الحقيقة - كان راعي المؤتمر، وصاحبه والمعني بأموره وشئونه، فكانت عنايته الخاصة بالمؤتمر، وتفاعله مع موضوعه تفاعلاً إيمانياً وروحياً، وتشبعه بحب الذات النبوية الشريفة، على صاحبها الصلاة والسلام - كل ذلك أضفى على المؤتمر جواً روحانياً مباركاً وقداسة وقبولاً ورونقاً وبهاء لا يوصف، وهنا يحلو لي أن أنقل مقتبساً من كتابي ((مسيرة الحياة)) هذه القراءة، حيث أضع صورة عامة للمؤتمر: ((شاركت في الكثير من المؤتمرات والندوات، ولكن لم أر مثل ما رأيته في مؤتمر قطر من مظاهر الجود والسعة في الإنفاق والبذل لتوفير أقصى الراحة للضيوف، والرعاية والعناية والخدمات الممتازة الفائقة والفاعلية في أي مؤتمر قط، ولم أشعر بسكينة وروحانية وبركة شعوري بها في مؤتمر قطر، كأن مخيماً نورانياً يظل محيط المؤتمر كله والبلد بأجمعه، وكانت المشاركة - أيضاً - في المؤتمر متميزة سواء من حيث الكيفية أو الكمية،

فقد حضره كبار العلماء وقادة الجماعات والمنظمات الإسلامية وأساتذة الجامعات من أمريكا إلى أندونيسيا ومن مراكش إلى الرباط.

أرأيت أن الرجل - رحمه الله - يذكر فيشكر، وتعد مواقفه، فيفتقده

عارفوه؟

لجان المؤتمر وتوصياته

لقد عقدت أولى جلسات المؤتمر برئاسة معالي الشيخ محمد علي
الحركان الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي واختاروا الهيئة الإدارية
التالية:

١. فضيلة الشيخ عبد الله الأنصاري رئيساً للمؤتمر.

٢. فضيلة الشيخ أبو الحسن الندوي نائباً أول لرئيس المؤتمر.

٣. فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي نائباً ثانياً للرئيس.

٤. الدكتور عز الدين إبراهيم مقرراً عاماً.

وضماماً لتيسير أعمال المؤتمر ولكي يتسع وقته لمناقشة الأبحاث العديدة
المقدمة له، فقد تقرر أن ينبثق عن المؤتمر أربع لجان تتعقد في ظلال السيرة
النبوية والسنة المشرفة، وقد تم اختيار هيئاتها الإدارية على النحو التالي:

١- لجنة السنة مصدراً للتشريع ومنهاجاً للحياة:

الدكتور الحبيب بلخوخة

رئيساً

الأستاذ مناع القطان

نائباً للرئيس

الشيخ صلاح أبو إسماعيل

مقرراً

٢- لجنة التربية والشباب:

الدكتور كامل الباقر

رئيساً

الدكتور عبد الهادي التازي

نائباً للرئيس

د. أحمد رجب عبد الحميد

مقرراً

٣- لجنة الدعوة والإعلام:

الشيخ محمد الغزالي
الدكتور أديب صالح
د. إبراهيم زيد الكيلاني
رئيساً
نائباً للرئيس
مقرراً

٤- لجنة التراث والمصادر:

الشيخ عوض الله صالح
الدكتور أكرم ضياء العمري
د. محمد مصطفى الأعظمي
رئيساً
نائباً للرئيس
مقرراً

أبحاث المؤتمر ودراسته:

عكف المؤتمر من خلال لجانه الأربع على دراسة الأبحاث العلمية المستفيضة التي تقدم بها السادة العلماء ورجال الفكر الإسلامي في العالم والتي تم إعدادها خلال العام التحضيري للمؤتمر، وبلغ عدد الأبحاث ثلاثة وسبعين بحثاً غطت جوانب عديدة من موضوعات السيرة والسنة النبوية.

وقد درست اللجان المجتمعة هذه الأبحاث وناقشتها بروية وجهد دؤوب واستخلصت منها التوصيات، وفي ضوء الأبحاث التي قدمت إليه في شؤون السنة والتشريع، والتربية والشباب، والدعوة والإعلام، والتراث والمصادر والشؤون العامة للعالم الإسلامي، وأصدر بشأنها التوصيات.

لقد خرج المؤتمر بتلك التوصيات التي عبرت عن حاجات المسلمين في عالمنا المعاصر، وصورت كثيراً من همومهم، وانطوت على العديد من طموحاتهم وآمالهم، وحاولت قدر الاستطاعة الإجابة على كثير من تساؤلات المسلمين عامة، والمهتمين بقضايا الإسلام وأمته خاصة، ولفتت أنظار المسلمين في العالم كله إلى عظمة هذا الدين الذي شرفهم الله بالانتماء إليه، وأعزهم

بحمل شريعته، فهم أهل الشريعة الخاتمة الشاملة، المنزل قوله - جل جلاله - وهو الحق، وقوله الحق:

{ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** }^(١).

وما أعظم أن يفقه المسلمون ذلك القول الكريم ((ورضيت لكم الإسلام ديناً)) والله تعالى لا يرضى لعباده إلا ما فيه صلاحهم، وكمال سعادتهم، سبحانه جل شأنه.

{ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** (١٤) }^(٢).

ففي شرع الله غناء البشرية، وبه كفايتها، وعليه فلاحها، وفيه عزها وسبقها، وفيه شفاؤها.

يقول ربنا جل وعلا:

{ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ** (٥٧) **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** }^(٣).

فتجاوز شرع الله تعالى تجاوز للعضة، والشفاء، والهدى، والرحمة وفي الوقوف على شرع الله تعالى جماع هذا كله.

قل لي بالله عليك - عافانا الله جميعاً - إذا تعاظمت أدواء البشر، وسدت عليهم العلل مسالك النجاة، وأشرفوا على الهلاك، وأكل بعضهم بعضاً، واستحوذ عليهم الشيطان، وسيطر عليهم الباطل، وأقام لنفسه دولا فمن لهم غير الله جل جاهه وعظم سلطانه؟

فهو - وحده - كما قال عن نفسه جل شأنه:

¹ - المائدة (٣).

² - الملك (١٤).

³ - يونس (٥٧، ٥٨).

{ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦) }^(١).

من لبني آدم إذا اختلط عليهم أمرهم، وساء حالهم، وفسدت عقولهم،
وغابت الحكمة، وغلب الهوى؟

من لهم غير العلي الأعلى؟

القائل جل شأنه:

{ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ
يَشْفِينِ (٨٠) }^(٢).

وما كان الجسد - وحده - مسرح الآفات والعلل، وما كانت النكبات
والآلام قاصرة على الأفراد، وإن أمراض القلوب أشد وأنكى، ومصائب
الشعوب أعظم وأقوى، وما على البشرية - عن أوتيت رشدها - إلا أن تعود
إلى الله.

وبين أيديهم دعوة الهدى، ونداء الفلاح:

{ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) }^(٣).

((ففرُّوا إلى الله)) - أفراداً وجماعات - ففي الفرار إليه - جل شأنه -
الأمّن بعد الخوف، والطمأنينة بعد الفزع، والخلّاص من كل سوء، والنجاة
من كل مكروه.

((ففرُّوا إلى الله)) حتى تنفّرج الضوائق، وتتجاب هموم، ويجعل الله بعد
عسر يسراً.

{ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٣) }^(٤).

1 - البروج (١٤ : ١٦).

2 - الشعراء (٧٨ : ٨٠).

3 - الذاريات (٥٠).

4 - الطلاق (٣).

ولقد كان المؤتمر - والله حسيب الفزعين إليه - فراراً إلى الله تعالى في عصر جند أعداء الله لكيد دين الله كل قواهم وقعدوا للمسلمين كل مرصد.

لقد كان فراراً إلى الله تعالى من شر تفاقم أمره، وعلا لهبه وأصر على أن يأكل الذين قالوا ربنا الله جماعة بعد جماعة، وعلى المسلمين أن يحفظوا الإسلام في مصدرية القرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة أما المصدر الأول فقد تكفل الله تعالى بحفظه.

فقال جل شأنه: **{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) }** ^(١).

وأما السنة فما كان الله - تعالى - ليذرها، ولكن على المسلمين الغيورين أن يقوموا دونها يقطعون السنة الخائضين فيها، ويفضحون مكرهم.

لقد أكد المؤتمر أهمية السنة باعتبارها المصدر الثاني للتشريع وأنها قرينة القرآن الكريم، فكلاهما وحي، غير أن الكتاب العزيز وحي لفظاً ومعنى، والسنة وحي معنى، وأهاب بالمسلمين شعوبهم وحكامهم أن يضاعفوا الاهتمام بها، والعمل على إحيائها، والتصدي لمفتريات الحاقدين عليها، كما أكد المجتمعون أن سيرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هي الواقع العملي للدعوة، وأن العناية بها والعمل على إحيائها استجابة صادقة لما دعانا ربنا - جل جلاله - وجعله قرآنا كريما يتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فقال جل شأنه:

{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) } ^(٢).

1 - الحجر (٩).

2 - الأحزاب (٢١).

كما وقف المؤتمر عند التربية والشباب باعتبار التربية أساساً لبناء المؤمن، والنجاح فيها توفيق في إعداد الأجيال، وبناء الرجال، وإمداد المجتمع بأمهات مسلمات مؤمنات قانتات.

والشباب أولى وأحق بالرعاية لترشيد فكره، وتقويم سلوكه، وهدايته الطريق المستقيم، حتى لا تتنازعه الأهواء، ولا تتقاذفه همزات الشياطين، فتتأى به عن الحق الذي آمن به، وتورثه ضلالاً وضياعاً لا ينبغي لمن آمن بالله ربا، وبالإسلام ديناً، وبمحمد - صلى الله عليه وسلم - نبياً ورسولاً، وإذا أردنا للشباب نهجا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فعلينا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - نوقف الشباب في رحابه الطاهرة ونتدارس معهم جوانب عظمته.

وإذا كانت الدعوة ضرورة لتوجيه الأفراد، وبناء الأمم فدعوتنا ركائزها معصومة، ومصادرها لا ريب فيها، وأول الدعاة في تلك الأمة ومعلمها وهاديها مسك ختام النبوة - صلى الله عليه وسلم - وخير ما ورث أمته الدعوة إلى الله تعالى.

يقول ربنا جل وعلا:

{ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (۳۳) }^(۱).

فعلى الدعاة أن يجمعوا أمرهم، ويحكموا مسيرتهم، ويجعلوا حركتهم، وسكونهم، وحديثهم، وكتاباتهم في الله، وبالله يفتح الله - تعالى - لهم القلوب، ويشرح - بفضل - لهم الصدور، فتؤتي الدعوة ثمارها، ويحسن بفضل الله ورحمته جناها.

وما أدق وأعظم هذا الميزان الإلهي:

{ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) }^(١).

ولغة الدعوة تختلف باختلاف العصور، والإعلام بوسائله المتعددة لسان عصرنا هذا؛ ولذا أهاب المؤتمر بالإعلام والإعلاميين أن يحفظوا فيما ينشرون أو يحدثون روح الإسلام، وألا يذوبوا في تيارات إعلامية يحركها الهوى، ويعدل بها الميل فتملاً العقول والآذان والعيون بباطل ما أنزل الله به من سلطان، ينبغي أن يتميز إعلامنا بما ميز الله - تعالى - به تلك الأمة، وأن تكون له سماته الدالة على أمة خلقت لتقود، لا لتكون تابعة، وقامت على الخلق فانتفت من حياتها التجاوزات، فعلى الإعلام الإسلامي مسئولية التعبير عن قيمنا الإسلامية، والعمل على نشر الصورة المشرقة التي أعطت الإنسانية ما يعجز البشر مجتمعين عن عطائه صيانة لحقوق الفرد، واحتراما لمقدرات المجتمع الصالح.

وقد أولى المؤتمر التراث الإسلامي اهتماماً كبيراً، ودعا إلى ضرورة بذل الجهد في إحيائه، وتنقيته، وتشجيع المحققين الأكفاء للقيام بمهام التحقيق العلمي السليم، والإعانة على نشره، والتيسير على الباحثين في الحصول على مصادر هذا التراث ومراجعته، وكذا تشجيع ترجمة معاني القرآن الكريم، والحديث الشريف، وأهم الكتب التي تحدث عن الإسلام، وتكشف عن مزاياه إلى اللغات الحية مع مزيد من الاهتمام بالترجمة إلى لغات الشعوب الإسلامية، والاستفادة بالوسائل العلمية الحديثة، وتوظيفها في خدمة التراث، وإنشاء مراكز للمعلومات والوثائق، وفتح معاهد علمية تخدم هذا الغرض، وتوفير الأموال اللازمة للنهوض بتلك المهام الجسام.

وقد كان المؤتمر حريصاً على أن يفتح عيون المسلمين إلى ما يملأ عالمهم من أحداث، وما يشغله من قضايا، وأكد أن قضايا المسلمين في مواجهتهم للأحقاد، وتصديهم للطغيان، ودفعهم لموجات الظلم والإبادة واجب كل مسلم، والجهاد في سبيل تحرير الأفراد والشعوب والبلاد بالنفس والمال، وكل ما يتاح للمجاهدين فرض يحتمه الإسلام، وتدعو إليه العقيدة السليمة، فألام المسلمين واحدة، وآمالهم مشتركة، ولن يتَرَ الله المجاهدين أعمالهم، ولن يهمل المقصرين والمتخاذلين، بل سيحاسبهم أشد الحساب، ويجازيهم بما حبسوا عن الجهاد والمجاهدين، وما منعوا من العون والصلة للمرابطين في سبيل الله، وما بخلوا به من نعم الله تعالى.

ثم أنهى المؤتمر أعماله، وغادر الأعضاء الدوحة، وما ودعوها ولكن على أمل للقاء متجدد، وكفاح متصل، وتواصل لله وفي الله.

وتعاونوا على البر والتقوى

لقد كان المؤتمر دعوة كريمة تستهدف رَدَّ المسلمين إلى الصواب، ودعوتهم إلى الرشاد، وتذكيرهم بالأسوة الحسنة، والقُدوة المعصومة سيد ولد آدم، سيدنا محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - وتجمعهم على اثنين من أصفى موارد، وتصلهم بسببين من بالغ نعمة الله - تعالى - عليه وعلى أمته؛ ألا وهما: سيرته العطرة، وسنته الشريفة، وفيهما مع القرآن الكريم فلاح تلك الأمة وهداها، وسبقها وعلاها، لتتأسى بها الأجيال ويقتدي بها الأبناء، ويستوعبها الأحفاد دروساً عن الأجداد.

إنها سيرة هادي البشرية ومعلمها عليه الصلاة والسلام، ومن أحق منا بدراسة سيرته في كل وقت وحين، وبخاصة في هذه الآونة الحرجة من تاريخ أمتنا، والظروف الحالكة السواد التي تمر بها، وقد توالى عليها الكوارث والنوازل والأزمات والمحن، من أحق منا بأن نستلهم دروس هذه السيرة العميقة الأبعاد، ونشرح بها أسلوب عمل ومنهاج حياة للأبناء والأحفاد، لتكون سلاحهم الفعال في معركة التحدي الحضاري والبناء الذاتي التي يخوضونها، وليدافعوا عن أنفسهم الهجمات الشرسة التي يشنها عليهم أعدائهم، والتي تستهدف دينهم ومثلهم وقيمهم ومبادئهم، بل تستهدف وجودهم كأمة تعيش على هذه الأرض.

وإذا كان العمل إنما يصدر عن حاجة، فنحن أحوج الناس إلى مثل هذه الوقفة.

والسنة النبوية ليست كلمات تروى، ولا عبارات تتلى، ولا مجلدات تحفظ في بطون خزائن الكتب، وإنما هي منهاج شامل متكامل للحياة، منهاج رصين دقيق، ما نطق به صاحبه صلى الله عليه وسلم عن الهوى، وإنما هو كما عرفنا ربنا جل وعلا:

{ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (٤) }^(١).

السنة النبوية الشريفة منهاج سماوي عن طريق رسول السماء من رب السماء، لينظم حياة هذا الإنسان الذي اختاره ربه من بين مخلوقاته ليكون خليفته في أرضه، منهاج تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا ضال، وإنما تعظم المهمة بعظمة موضوعها، وتعلو بعلو هدفها، السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وهي المفسرة للقرآن الكريم، المستلهمة له، والمبينة لآياته وأحكامه - تتعرض اليوم من بعض من ينتمون إلى هذه الأمة - وواأسفاه - للنقد والتشويه والتجريح.

بل بلغ السفه ببعضهم إلى حد إنكارها والمطالبة بإبطالها - عفواً سيدي رسول الله، وأحب خلق الله إلى الله - فقد علمت أن نطلب لهم من الله الهداية بقولك: اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون، والعلماء أمل هذه الأمة، وكلها ترنو إلى مثل هذا المؤتمر بأبصارها، وتتابعه بقلوبها، وتطالعه بضمائرهما، ومن هنا كان الواجب على كل مسلم عالم غيور أن يردَّ كيد الكائدين وطعن الطاعنين، وسهام الغادرين، وسموم الحاقدين، ومعاول الهدامين عن سنة صفوة الخلق ومسك ختام النبوة - صلى الله عليه وسلم - حتى لا ينقض الأساس وينهدم البنيان الشامخ ويتقوض في نفوس الناشئين من أبنائنا المخلصين.

وانطلاقاً من هذا المفهوم لم يكن هذا المؤتمر كسابقه بل أضيفت إليه السنة ليكون (المؤتمر العالمي الثالث للسيرورة والسنة النبوية) بعد أن كان اسم المؤتمر الأول في دولة باكستان الإسلامية عام ١٣٩٦هـ، والثاني في دولة تركيا عام ١٣٩٧هـ (المؤتمر العالمي للسيرورة النبوية).

^١ - سورة النجم (٣ ، ٤)



الشيخ والجهاد

- الجهاد في الإسلام

- واقع المسلمين

- الغزو الروسي لها

- صحوة إسلامية

- تنافس واستجابة

الجهاد في الإسلام

يقول العلي الأعلى في محكم كتابه:

{ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩)
فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا
مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ
فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ
اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهُمْ سَوْءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمْ
الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥) }^(١).

ماذا تقول لربها أمة ميزها بهذا العطاء، وخصها بتلك المزايا؟ شهداءهم
أحياء، حياة يعلمها مانحها - جل وعلا - وما يهب العظيم غير عظيم،
وكفاهم شرفاً وفضلاً وفخراً أنهم ((أحياء عند ربهم)) أي مكانة تداني
مكانتهم؟

أي عطاء يشابه هذا العطاء أو يقاربه؟

أي رزق أعده العلي الأعلى لمن باعوا أنفسهم له جل شأنه؟ هنيئاً لهم فقد
أوتوا ما لم يُسَبِّقُوا إليه، ولن يلحقهم فيه إلا من صنع مثل صنيعهم، إنهم
فرحون بعطاء الله وتفضله، مستبشرون بثوابه ورحمته، لقد هياهم الله
تعالى للإحسان فأجابوا داعي الجهاد غير عابئين بنصب ولا وصب، فجزاهم
الله - جل جلاله - بالإحسان إحساناً، فضلاً منه - جل شأنه - ورحمة.

¹ - آل عمران (١٦٩: ١٧٥).

{ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠) }^(١).

إنها الصورة المشرقة لأمة اصطفها الله - تعالى - لهداية البشر، وإقامة أمرهم على الحق الذي جاء به المبعوث رحمة للعالمين - صلى الله عليه وسلم - يحيط الكفر بعدده، وعدده، فلا يحرك منهم ساكنا، ولا يثير فيهم خوفا، لأنهم أيقنوا بمعية الله.

{ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ }^(٢).

والكفر - وإن جمع أمره، وما هو بجامعه - الشيطان محركه، والكافرون - وإن أظهروا اتحاد - حالهم كما عرفنا ربنا جل جلاله:

{ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٤) }^(٣).

أما المؤمنون بالله ورسوله فقد سبقت لهم البشارة، وثبت لهم النصر وعدا من الله، والله لا يخلف الميعاد.

{ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣) }^(٤).

إنهم إن خُوفُوا لا يخافون، وإن استُذِلُّوا لا يخضعون، لأنهم اعتصموا بالله.

{ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدِ هَدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١) }.

فإذا امتلأت الأرض زورا، وفاضت كفرا، وأشاع من لا يعلمون السوء وقفت أمة الإسلام ثابتة، وزادها الله إيمانا، وقالوا كما حدث القرآن الكريم:

1 - الرحمن (٦٠).

2 - يوسف (٢١).

3 - الحشر (١٤).

4 - محمد (٣).

{ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) }.

ولن يكون هذا إلا برباط صادق، وجهاد خالص تُباع فيه الأنفس والأموال لله رب العالمين.

{ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) }^(١).

وقد أعلم الله - تعالى - تلك الأمة الخاتمة أن لا قيام لها إلا بالجهاد، وهم به يُرهبون عدو الله وعدوهم، وينزلون الشيطان وأوليائه، وهم - بعون الله تعالى - ظاهرون.

{ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) }^(٢).

ويقول جل شأنه:

{ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ }^(٣).

ويُري الرسول - صلى الله عليه وسلم - تلك الأمة أن الجهاد فرض عليها، وأن دولة الإيمان لن تكون إلا به، وصيانة العقيدة لن تتم إلا برجال قال الله - جلا وعلا - فيهم:

{ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ }^(٤).

1 - التوبة (١١١) .

2 - النساء (٧٦) .

3 - الأنفال (٣٩) .

4 - الفتح (٢٩) .

فيقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه
- والقول للأمة كلها:

((ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه))؟ قلت: بلى قال: ((رأس
الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد))⁽¹⁾.

¹ - رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

واقع المسلمين

وإذا كان الجهاد قد فرض علينا فإنه قدرنا إلى يوم القيامة، نُبتلى به في كل مكان وزمان، ودعوة الحق - جل وعلا - تلاحقنا.

{ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ** }^(١).

إن الله - تعالى - الذي اصطفانا لهذا الدين يعلم مدى حقد الكافرين على الإسلام وأهله، وغيظهم منه ومن أتباعه، وهيهات أن يُطفئ نار حسدهم رفق، أو يذهب غيظهم لين؛ فالعليم الخبير يقول لحبيبه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم:

{ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** }^(٢) (٧٣).

ويقول - وقوله الحق - للمؤمنين عامة في كل زمان ومكان إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها:

{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاَعْلَمُوا** }
{ **أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** }^(٣) (١٢٣).

ثم جاء العصر الحديث بأضعاف مضاعفة، ورأى الكفر والكافرون أنفسهم، وقد ملكوا - فيما يرون - أسباب القوة، وتتوالى القوارع على المسلمين، وتتكاثر عليهم الأمم كما تتكاثر الأكلة على قصعتها، والمسلمون كما وصفهم الصادق المصدوق - صلى الله عليه وسلم - غشاء

1 - الحج (٨٧).

2 - التوبة (٧٣).

3 - التوبة (١٢٣).

كغشاء السيل، تفتنهم الدنيا، وإن كان حظهم منها قليلاً، ويفرون من الموت، وغفلوا عما أنذر الله تعالى به اليهود:

{ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) }^(١).

أرضوا أن يكون كهؤلاء؟

وتناسوا ما ذكر الله - تعالى - به المؤمنين لِيَتَّظِلَّ عَقِيدَتَهُمْ سَلِيمَةً،
ويقينهم بالله، وفي الله ثابته:

{ قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ }^(٢)

فالقتال لا ينقص عمراً، ولا يعجل موتاً.

{ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦) }^(٣).

ولو كان مذاقهم كمذاق السابقين الأولين، أو قريباً منهم لتنافسوا فيه.

عن أنس رضي الله عنه، قال: انطلق رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه)) فدنا المشركون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض ((قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال ((نعم)) قال: بخ بخ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما يحملك على قولك بخ بخ؟)) قال لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: ((

1 - الجمعة (٨) .

2 - آل عمران (١٤٥) .

3 - العنكبوت (٥ ، ٦) .

فإنك من أهلها)) فأخرج تمرات من قرنه، فجعل منهن، ثم قال لئن أنا
حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة! فرمى بما كان معه من
التمر، ثم قاتلهم حتى قتل. رواه مسلم^(١).

أرأيتم أيها المسلمون كيف يكون الحرص على الشهادة، والتنافس في
طلبها؟

إنها لا تكون إلا للمصطفين الأخيار، ولينظر المؤمنون ببصائرهم، وليعوا
بقلوبهم حديث سيد ولد آدم - صلى الله عليه وسلم - ليدركوا تفريطهم في
جنب الله.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: ((والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله، فأقتل، ثم
أغزو، فأقتل، ثم أغزو، فأقتل))^(٢).

وإذا كان مردنا إلى الله - تعالى - الذي آمننا به فليطلب العاقل الذي
شرفه الله بالإيمان لنفسه مردا كريما، ولا شيء أكرم من الشهادة.

عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:
((ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وله ما على الأرض من
شيء إلا الشهيد، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا، فيقتل عشر مرات، لما يرى من
الكرامة)).

وفي رواية: ((لما يرى من فضل الشهادة))^(٣).

1 - رواه مسلم.

2 - رواه مسلم في حديث طويل.

3 - متفق عليه.

أمة مسلمة

وأفغانستان أمة مسلمة لها تاريخها، ورجالها، ومنذ أشرق الإسلام في ربوعها لها جهادها وجلادها، وعلمائها، وأعلامها، وقد فتحت في عصر أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حيث كتب إلى الأحنف بن قيس - رضي الله عنه - بالمسير إلى خراسان (سنة ثلاث وعشرين من الهجرة) فسار إليها بجيش كثيف، فدخلها من الطبيين، وفتح هراة عنوة، وكان ذلك أول فتح لأفغانستان، وقد أنجبت أفغانستان (من الأعلام من لا يمكن إحصاؤهم منهم من صحب النبي - صلى الله عليه وسلم - مثل سفينة الذي خدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومنهم من كان من طبقة التابعين مثل الضحاك بن مزاحم، وعطاء بن أبي السائب، ومقاتل بن حيان، وعطاء بن مسيرة الخرساني البلخي، ومقاتل بن سليمان وسعيد بن أبي سعيد المقبري، ثم ظهر في طبقة تابعي التابعين ومن تبعهم من العلماء والمفسرين، وأصحاب الحديث، والعباد، والزهاد والمجاهدين والوزراء، والملوك، ما لا يحصى كثرة))¹.

وانطلقت مسيرة الأفغان على مر العصور، فيها علماءؤها، وأعلام جهادها، وقادة نضالها، وكان لها مع كل عصر ما هو موضع فخرها، وعزة تاريخها، لا يبيتون على ضيم، ولا يخضعون لعاصفة، ولا يستذلهم طغيان، ولا يساومون في عقيدتهم، ولا يستبدلون بقيم الإسلام الحنيف قيماً من صنع الشيطان.

أليس منهم شقيق البلخي ذلك الإمام المجاهد العابد الذي خرج من بلخ في أفغانستان يغزو في سبيل الله في أقاصي التركستان (من الاتحاد السوفيتي) في معركة كولان حيث يقول لتلميذه حاتم الأصم وهما بين الصفوف..

¹ - كتاب (أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي) د. محمد على البار ص ٤١٢.

أتجد نفسك الآن مثل اللحظة التي زفت فيها إليك عروسك؟ قال حاتم لا والله فقال شقيق: ((والله إنني لأجد نفسي في مثل اللحظة التي زفت إلي عروسي وأكثر ...)) فقاتل حتى قتل في تلك المعركة عام ١٩٤ هـ.

هكذا يجدون ريح الجنة، فيتسابقون إليها ويتنافسون - ابتغاء مرضاة الله تعالى - فيها.

عن أبي عبس عبد الرحمن بن جبر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((ما أُغْبِرْتُ قَدَمًا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ))^(١).

ولا تكاد تقرأ تاريخ عصر من العصور إلا وتجد صفحاته مشرقة برجال خرجوا من جبال الهندوكش حملوا أرواحهم على أكفهم، وباعوا لله رب العالمين نفوسهم، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخشون أحدا إلا الله، ويواجهون الطاغوت بقلوب مطمئنة بالإيمان، موقنة بنصر الله، وإن ضعف زادهم، وقلَّ عددهم، وتعاضمت فيما يرى الناس قوى محاربيهم.

وكان الأفغان في جهادهم المتواصل حديث الباحثين والمفكرين، وكم صدقت فراسة الخبراء المحنكين فيهم وها هو شكيب أرسلان أمير البيان تصدق فراسته فيهم حيث قال:

((لو لم يبق للإسلام في الدنيا عرق ينبض لرأيت عرقه بين سكان جبال الهملايا والهندوكش نابضا وعزمه هناك ناهضا.. ألا وأنه من هناك غزا الفاتح العربي محمد بن القاسم في صدر الإسلام الهند وفتح السند ووصل إلى حدود الملتان.. ومن تلك الجبال انحدر المجاهد الكبير إسكندر الإسلام وحامي المعارف والعلوم في عصره السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي

¹ - رواه البخاري.

التركي في أوائل القرن الحادي عشر للميلاد ودوخ الهند من أقصاها إلى أقصاها..)).

وقد تجلى في ذلك العصور الحديثة، وظهر الأفغان، وكانوا هم الذين هزموا بريطانيا العظمى - الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس - في أوج مجدها في ثلاثة حروب متتالية:

الأولى عام ١٢٥٤ (١٨٣٩م) حينما فرت جحافلها المدججة بأحدث الأسلحة من وجه القبائل الأفغانية الصامدة فوقعت في الكمائن في خورد كابل بحيث لم يبق من عشرات الآلاف من جندها وكماتها إلا الدكتور برايدون الذي وصل إلى جلال آباد يصف هول ما لاقاه الجيش البريطاني أحد أعظم جيوش الدنيا آنذاك.

الثانية: وقامت الحرب البريطانية الأفغانية الثانية عام ١٢٩٥هـ (١٨٧٨م) فتصدى لهم علماء الإسلام وشيوخ الطرق الصوفية ودعوا الشعب الأفغاني للجهاد فقامت رحى ثلاثين معركة انهزمت فيها بريطانيا العظمى ما عدا المعركة الأولى التي كسبتها.. فلاذ جنودها بالفرار.

وأما المعركة الثالثة فقد قامت بعد أن خرجت بريطانيا من الحرب العالمية الأولى منتصرة وهي أقوى دول العالم آنذاك وصاحبة الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس فاحتلت أفغانستان عام ١٣٤٠ (١٩٢١) فواجهها الشعب الأفغاني الأبى بالجهاد يتقدمه علماءؤها الأجلاء فانهزمت بريطانيا واضطرت للانسحاب.

وفيهم - والله حسيبهم - **غَيْرَةٌ** على حدود الله تعالى، وحرص على إقامة شرعه.

عندما انحرف أمان الله خان وأراد أن يقلد كمال أتاتورك ورضا بهلوي فأمر بإلغاء الشريعة وإخراج المرأة سافرة هاج مشايخ الطريقة النقشبندية

ومئات العلماء، ولجأوا إلى الجهاد فاضطر أمان الله لمغادرة البلاد، وعندئذ أقام العلماء نادر خان حاكماً لأفغانستان ملتزماً بالشرية.

الغزو الروسي لها

شعب هذا دأبه، وذاك تاريخه إذا تناوبته العواصف، ومكربه أعداء الله، وودّ الناقمون على الإسلام إبادته أفلا يجد من المسلمين دعماً، ومن عقلاء العالم الإسلامي، ومنصفيه مدداً وسنداً؟

وإلا فأين الجسد الواحد، والبنيان المرصوص الذي يشدد بعضه بعضاً كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم؟

إن جارَ الشؤم، ونذير الضياع والبوار في العالم (روسيا) لا يحب لجاره أفغانستان استقراراً، ولا يرضى أن تحيا هادئة، حيث إنه يعلم سمات شعبها، وصلابة مجاهديها، بل هو يخشاها على نفسه، فحاول محاولات مستميتة أن يجعلها وكراً للشيوعية، ولكنه كان يجني الفشل، والخيبة، ويبوء عملاؤه بالخزي، والعار، وتسقط الشيوعية، وشياطينها، وتكون كلمة الله - تعالى - هي العليا، وترفف راية الإسلام نوراً للموحدين، وناراً تشوي وجوه الذين لا يؤمنون، إن الأذان يعلو في اليوم خمس مرات فيملاً الفجاج والآفاق، فيبعث الطمأنينة في قلوب الموحدين، ويلقي الرعب في قلوب الصم، البكم، الذين لا يعقلون.

لم ير الشيطان بدءاً من الزحف العسكري الأحمر على هذا البلد الطيب، (وفي ٢٦ ديسمبر ١٩٧٩ توجهت القوات الروسية عبر الحدود المشتركة لاحتلال أفغانستان.. وبالفعل توجهت ٦ فرق سوفيتية مدعومة بمئات من ناقلات الجنود والمصفحات والدبابات وطائرات الميج ٢٣ ومئات من طائرات الهليكوبتر العملاقة لاحتلال قاعدة باجرام الجوية ومنها إلى كابل العاصمة.

وقد اشترك في عمليات الهجوم الأولى على أفغانستان ست فرق بكامل أسلحتها من الجيش السوفييتي يقودهم أكثر من اثني عشر جنرالاً عسكرياً بالإضافة إلى أربعة من كبار قادة القوات الجوية السوفيتية.

وعلى حدود أفغانستان حشدت روسيا ٣٥ فرقة يبلغ تعداد أفرادها ٢٠٠,٠٠٠ جندي بكامل أسلحتهم الحديثة تدعمهم ٧٥٠٠ دبابة و ١٥٠٠ طائرة، وفي المحيط الهندي تحركت أكثر من ثلاثين قطعة حربية سوفيتية لتدعيم غزوها لأفغانستان.

وقد اختارت روسيا وقتاً مناسباً لعملية غزو أفغانستان إذ كانت الولايات آنذاك مشغولة بقضية الرهائن المحتجزين في السفارة الأمريكية في طهران (١).

ويبدو أن أمريكا وبقية دول أوروبا لم تكن معارضة دخول السوفيت في أفغانستان لأسباب منها:

أولاً: أن ذلك العمل العسكري قد يخمد نيران التيار الإسلامي الذي بدأ يتصاعد في المنطقة، وأصبح يهدد مصالح أمريكا، والغرب، كما يهدد روسيا ذاتها.

الثاني: أن دخول روسيا إلى أفغانستان سيؤدي إلى روسيا إعلامياً ودولياً، ويفقدها ما كسبته من دعاية في الدول العربية، والإسلامية.

الثالث: أن الشعب الأفغاني لا يمكن إخضاعه بسهولة، بل قد تتوقع غلبته، ويكلف روسيا غالياً، وتكون أفغانستان فينتام روسيا.

وتكون المواجهة بين باطل أعمى الغرور أهله فلم يروا غير أنفسهم، ولم يشكوا لحظة في قدرتهم، وكفاءة إعدادهم، فكان حالهم كحال سابقهم من أئمة الكفر كما حكى القرآن الكريم:

¹ - من كتاب (أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي ص ٢٤٨، ٢٤٩.

{ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ
فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي
أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨) }^(١).

إنهم جيران الشيطان وأولياؤه، فأنى لهم بأولياء الله وأحبائه؟ والحق -
فيما يرى الناس - أعزل، فماذا تغني البنادق في رد هجوم أسراب الدبابات،
وسحائب الميراج، والهليوكوبتر العملاقة؟

ها هو الباطل يبيد قرى بأكملها، ويزرع الموت في الحقول، والغابات،
والمراعي، ومياه الآبار تسمم، ويستخدم النابالم، والغازات السامة، والحق
ثابت، ورجاله معتصمون بالله.

{ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٧) }^(٢).

{ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشْرِ (٣١) }^(٣).

إنهم ما قاموا قومتهم إلا لله، وفي الله، وما وقفوا موقفهم هذا إلا
استجابة لأمر الله - جل جلاله - إذ يقول في محكم كتابه:

{ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِكُمْ عَلَيْهِمْ وَيُشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ
مُؤْمِنِينَ (١٤) وَيَذْهَبُ غِيظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥) }^(٤).

1 - الأنفال (٤٨).

2 - الفتح (٧).

3 - المدثر (٣١).

4 - التوبة (١٤، ١٥).

صحوة إسلامية

واشتعلت قلوب المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها حقداً على أعداء الله، ونصراً، وتأييداً لفتية آمنوا بربهم، فزادهم الله هدى، وربط على قلوبهم، وطالب ملايين الشباب بالخروج جهادا في سبيل الله لا يرجون من دولهم غير السماح بالخروج، وإن كان الاستعمار قد أبى ذلك، وسؤل لبعض الحكام مَنَعَهُمْ، وإن كانت قلة قد خرجت فعلاً، والتحمت بصفوف المجاهدين الأفغان، لا يقلون عنهم حماساً، أو رغبة في الشهادة.

ورغم أن المجاهدين قبل الزحف الأحمر كانوا سبع فئات منفصلة إلا أن الغزو الروسي قد أدى إلى توحيد الصف، وجمع الكلمة، وتناسي الخلافات.

وصدق العلي الأعلى:

{ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣) }^(١).

ولكنهم لا يزالون يعانون من نقص في الأسلحة الحديثة لمواجهة أضخم ترسانة عسكرية في العالم آنذاك، كما يعانون نقصاً كبيراً في عدد الأطباء، والأدوية، ووسائل العلاج، فضلاً عن ندرة الغذاء وفقدان كثير من ضروريات الحياة هذا للمجاهدين.

فما بالك باللاجئين من شيوخ ونساء وأطفال بلغ عددهم في باكستان حوالي (أربعة ملايين لاجئ)، (وأكثر من مليون ونصف) في إيران، (وتكلف مساعدة اللاجئين إلى باكستان وحدها ١,٢٠٠,٠٠٠ مليون، ومائتي ألف دولار يومياً، وذلك على هيئة خيام، وطعام، وماء، وبعض

¹ - الأنفال (٦٣).

الخدمات الصحية البسيطة، وتقوم باكستان بدفع نصف هذا المبلغ من خزيتها المنهكة بينما يأتي النصف الثاني مساعدات من دول الخليج، وغيرها، وبعض المنظمات التابعة للأمم المتحدة (١).

هذا فضلا عن اللاجئين في إيران، وما تتحمله من أجلهم، وما يحتاجون من مساعدات، والأمور تسيير على مرأى ومسمع المسلمين في العالم كله وإن حاول الاستعمار تعقيم الإعلام.

¹ - من كتاب (أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي) د/ محمد علي الباز.

غوث إسلامي

وهنا تحركت عاطفة الأخوة، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله)) (١).

والقرآن الكريم يحدثنا عن أخوة لا ريب فيها؛ ألا وهي: أخوة الإيمان:

{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } (٢).

والله تعالى حق، وقوله الحق، وهو القائل جل شأنه:

{ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءٌ بَيْنَهُمْ } (٣).

فلا بد أن يرى العالم هاتين الصفتين (الشدة على الكفار، والرحمة بين المؤمنين) واقعا مُحَسَّساً ملموساً، فانبرى رجال يحركون نوازع الخير ويستحثون عاطفة الإخاء، ويدعون إلى البذل من مال الله في سبيل الله، ومساندة المجاهدين في الله إعلاءً لكلمته، ونصراً لدينه، وكان الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري في طليعة هؤلاء العظماء، لقد ملأ هذا الحدث العظيم حياته، وشغله في ليله، ونهاره، وصار حديثه إذا التقى بالناس، وموضوعه إذا اتصل هاتفياً، أو كتب في الصحف أو تحدث في الإذاعة أو التلفاز، إنه يستصرخ أهل قطر خاصة، والمسلمين عامة يدعوهم بدعوة الله تعالى لهم:

{ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا

لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) } (٤).

1 - رواه مسلم.

2 - الحجرات (١٠) .

3 - الفتح (٢٩) .

4 - الحديد (٧) .

إنه كان يستمد أسس دعوته من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - منوهاً بأن فلاح هذه الأمة في تماسكها، وضياعها في تفوقها، وتحاذلها.

كثيرا ما كان ينادي الأسخياء الباذلين:

إني أدعوكم للجهاد - دون أن تمسكوا سلاحا أو تلقوا عدواً - وللتجارة مع الله - تعالى - وهي تجارة لن تبور.

يقول ربنا - جل وعلا - وهو أصدق القائلين:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) }^(١).

فهلّم إلى جهاد في سبيل الله لا نتحمل فيه نصبا، ولا وصبا، ولا تسيل منا دماء (بأموالكم) هيا لنجهز المجاهدين، ونعينهم على مواصلة الجهاد، ونسأهم في رعاية من خلفوا وراءهم من الأهل والولد ليكون لنا مثل أجرهم من غير أن ينقص من أجرهم شيء.

عن زيد بن خالد - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((مَنْ جَهَّزَ غَازِيَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَّفَ غَازِيَا بِخَيْرٍ فِي أَهْلِهِ فَقَدْ غَزَا))^(٢).

تعالوا أيها المستخلفون في مال إلى نفقة يضاعف الله - تعالى - فيها الأجر، ويجزل المثوبة، يقول الله جل جلاله: { مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي

1 - الصف (١٠: ١٣)

2 - متفق عليه.

**سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةِ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) { (١) .**

وعن أبي يحيى خزيم بن فاتك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم:

((من أنفق نفقة في سبيل الله كتب له سبعمائة ضعف)) (٢).

واحدروا أن تبخلوا بمال الله على المجاهدين في سبيل الله - تعالى -
فتكونوا محل عذاب الله وغضبه)) .

عن أبي أمامة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
((مَنْ لَمْ يَغْزُ، أَوْ يَجْهَزْ غَازِيًا، أَوْ يَخْلِفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ أَصَابَهُ اللَّهُ
بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)) (٣).

وَيَدْعُو الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنْ يَقْدُمُوا مَا يَجْعَلُهُمْ أَهْلًا لظَلَّةِ يَوْمٍ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ،
وَقَدْ دُعُوا إِلَى ذَلِكَ بِالْأَنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

عن سهل بن حنيف - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال:

((مَنْ أَعَانَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ غَازِيًا فِي عَشِيرَتِهِ، أَوْ مَكَاتِبًا فِي
رَقَبَتِهِ أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظَلَّةِ يَوْمٍ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ)) (٤).

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: ((مَنْ أَظَلَّ رَأْسَ غَازٍ أَظَلَّهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) (٥).

1 - البقرة (٢٦١) .

2 - رواه الترمذي، وقال حديث حسن.

3 - رواه أبو داود بإسناد صحيح.

4 - رواه أحمد بإسناد حسن.

5 - رواه ابن حبان.

تنافس واستجابة

وقد جعل الله - تعالى - له موقعا في قلوب أهل الخير، وكانت له فيهم كلمة مطاعة عن حب، وثقة واقتناع، فكان يقول لبعضهم: أرسل مبلغ كذا لإخواننا المجاهدين في أفغانستان وما شارك في مؤتمر أو حدث، أو خطب جمعة أو غيرها إلا وجعل قضية أفغانستان أهم قضاياهم، وكان يتابع أخبارهم لحظة بلحظة، وكثيراً ما يبكيه ما يسوء من أخبار، ويدعو، ويؤمن الحاضرون بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أنس - رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قال: ((اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أصول وبك أقاتل))^(١).

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خاف قوماً قال: ((اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم))^(٢).

وكان يرسل إليهم ما اجتمع لديه من مال الله أولاً بأول، مرات ومرات، وتحمل كثيراً من المشقات في سفراته إليهم بل زارهم مرات أيضاً، وعرف زعماءهم، وعرفوه، ودعاهم إلى قطر، ونزلوا قطر، فرحبت بهم وأحسن استقبالهم، بل لقد ألقى عبد رب الرسول سياف محاضرات في الدوحة، وهو يتحدث بليغ باللغة العربية.

وحين أحس الشيخ - رحمه الله - خلافاً بينهم سعى في توحيد صفوفهم، ودعا زعماءهم، ومن لم يحضر أرسل متحدثاً عنه، فجمع الله الشمل وألف بين قلوبهم، فصاروا في جهادهم عباد الله إخواناً بفضل من الله ورحمة.

¹ . رواه أبو داود والترمذي.

² - رواه أبو داود.

وحدثنا رفيقهُ الويفي، وصديقه الأحب الوجيه السيد عبد الله عبد الغني -
رحمهما الله تعالى - عن رحلة رافقه فيها لزيارة مجاهدي أفغانستان فقال:

عجبا لأمر هذا الشيخ!

(إن همته العالية، ونفسه الطموح، وقلبه المطمئن بالإيمان، وروحه
الوثاب جعلته يؤثر زيارة المجاهدين الأفغان في مواقع الجهاد غير مبالٍ بما قد
يتعرض له من مشاق، أو يركب من أخطار، وقد أصر - مرة - أن يأخذني
معه لأعایشهم، وأشهد شيئاً من معاناتهم، فذهبنا إلى باكستان - بقصد
الذهاب إلى المجاهدين الأفغان - ونزلنا كراتشي، ومنها إلى بشاور، ثم
خيبروزرنا معسكر المجاهدين - جزى الله أخي عني خيراً - لقد رأيت فيهم
بما يتحلون به من صدق الجهاد وإخلاص النية، وحسن إسلامهم، وشوقهم
إلى الشهادة في سبيله صورة الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - ورجع بي
هذا المشهد قرونا سابقة لأتصور عظمة أسلافنا وشدة إقبالهم على الله،
وأيقنت أن من واجب المسلمين شد أزهرهم، ودعم مواقعهم، فقدمنا لهم -
شاكرين - ما كان لدينا من مساعدات كان مقدارها في هذه الزيارة
مبلغاً عظيماً من المال.

واستضافنا عبد رب الرسول سياف أمير مجاهدي أفغانستان.

ألم أقل إن الله تعالى جعله سبباً لخير عظيم؟

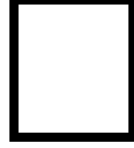
كيف كان لي أن أذهب إلى تلك البقاع، وأشهد وأحس حرارة الإيمان في
صدور المؤمنين المعاصرين، وغيرتهم على الدين. وبذلهم النفس والنفيس في
سبيله؟ (١).

وهكذا عاش الشيخ - رحمه الله تعالى - مع المجاهدين لحظة بلحظة،
وقاسمهم مشاق جهادهم، فما كان يذكر الأفغان إلا ويذكر خادم الجهاد

¹ - الأنصاري في عيون الآخرين (١٥٠، ١٥١).

والمجاهدون، ترى في قسّمات وجهه - رحمه الله تعالى - بشائر النصر، بما يتلو من آيات، وما يردد من دعاء، وما يجري الله - تعالى - على لسانه من عبارات.

إنه لا يشك لحظة بأن النصر آت، إنه على يقين بفتح قريب وقد كان.



حياة بعد وفاة

- دار التقويم القطري

§ إشار دار القويم القطري

- مكتبة فضيلة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة.

§ وصية خالدة

§ إفتتاح مبارك

§ المكتبة في ثوبها الجديد

§ دعوة كريمة

- معهد فضيلة الشيخ عبد الله الأنصاري للقرآن الكريم وعلومه.



صلى الله
عليه وسلم

قال رسول الله

إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث:

صدقة جارية،

أو علم ينتفع به،

أو ولد صالح يدعو له،

رواه مسلم عن أبي هريرة

دار التقويم القطري

على الطريق نسير

دار التقويم القطري معلم من معالم قطر العلم، أرسى دعائمها، ورعى أمانته، وحمل رسالته إلى دولة قطر خاصة، ودول الخليج الشقيقة عامة خادم العلم، ورائد العمل التقويمي سيدي الوالد الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري - رحمه الله تعالى - لم يكن قد أشهر هذا الاسم، وما عرف في الدوائر الرسمية القطرية، ولكن ما ينبغي أن تقوم به هذه الدار، وما يلزمها تقديمه إلى العامة والخاصة قدم من خلال نشاط الشيخ - رحمه الله تعالى - وقدم في أتم صورة متجاوزا الصعاب، غير عابئ بالمشقات، فنسخ التقويم القطري بيده حين لم تتوفر المطابع، وكان له دور بارز في تقويم الخليج عامة، وحين تيسر الطبع أصدره مطبوعا، وضوعفت مزاياه عاما بعد عام كما أسلفنا في الحديث عنه - رحمه الله تعالى - وكان سيدي الوالد الشيخ تواقاً إلى التطور، شغوفاً بالأخذ بكل جديد مفيد من معطيات العصر الحديث، وقد كان لنا شرف صحبته، ومعايشة أعماله خطوة بخطوة، وحدثنا - رغم كثرة أعماله وتشعب مهامه - عن طموحه، وكشف لنا عن كثير من تطلعاته، فكان الواجب علينا مواصلة المسيرة، وتطوير الخدمات، والأخذ بكل جديد - ما أمكن - في أداء الرسالة من بعده، والارتباط بمجتمعنا القطري ومواصلة أشقائنا في الخليج العربي، ويعلم الله - تعالى - أننا لم نتوان لحظة في السير على دربه، والوصول إلى غاياته الكبرى التي رسمها لنفسه، وألقاها على كاهلنا قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى.

وكانت الأنظار تتجه إلينا تترقب خطونا من بعده، المجتمع القطري الحبيب، ومجتمع الخليج الكريم عامة يطرح أسئلة أهمها ماذا سيفعل[ُ] خلف الشيخ من بعده؟ وما دورهم في النهوض بمسئوليّاته ومهامه؟

وكانت الإجابة شاقّة، فالشيخ - ولا أزكيه على الله - وهبه الله قدرات وإمكانات عزّ أن تجتمع لرجل، ولكن هذا لا يعفينا، فعلىنا كما عودنا - رحمه الله تعالى - أن نعمل، وبالله التوفيق ومنه العون.

إشهار دار التقويم القطري

كانت تلك الدار - كما قدّمت - ثمرة من ثمار العطاء المبارك لسيدي الوالد - رحمه الله تعالى - وتأسياً به لإتمام رسالته، والعمل على استمرار التقويم القطري، وامتداد العطاء التقويمي لدول الخليج العربي الشقيقة.

ومع تطور العصر واستجابة لمقتضيات التطور الإداري لدولتنا الحبيبة رأينا إشهار دار التقويم القطري، لتؤدي دورها كمؤسسة رسمية، لها ركائزها وأهدافها ورفعنا ذلك إلى جهات الاختصاص التي رحبت مشكورة، وأصدرت قرارها باعتبار دار التقويم القطري مؤسسة ذات نفع عام لها حقوقها، وعليها مهامها التي لها قامت، ومن أجلها أنشئت، وبناء عليه صدر القرار بتاريخ ١٥ من رمضان ١٤١٠هـ الموافق ١٥ من إبريل ١٩٩٠م موافقة على إنشائها، وتصريحاً ببدء نشاطها، ومنذ ذلك التاريخ أخذت تؤدي دورها وتولي إدارتها كمدير عام لها الابن الأكبر للشيخ محمد بن عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وتتحمل مسؤوليتها في خدمة الإسلام والمسلمين، وكان أول إصدار تقويمي لها عام ١٤١١هـ أي بعد ثلاثة أشهر فقط من تاريخ الموافقة على قيامها، وتوالي صدور التقويم بصور مختلفة، ولأغراض متنوعة، فأصدرت الدار التقويم القطري بتوقييت الدوحة، وضواحيها (الدفتری والجداري، والمفكرة السنوية)، كما تصدر التقاويم الدفترية بتوقييت كل من: (مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والرياض) كذلك تقويماً دفترياً واحداً بتوقييت مدن دول الخليج العربي (الدوحة، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، والرياض، وأبو ظبي، والكويت، ومسقط، والمنامة) والتقويم المكتبي الجامع لهذه التقاويم.

والتقويم بجانب اشتماله على الأساسيات الرئيسية من جمعه بين التاريخين الهجري والميلادي وسهيل، والأبراج، والطوالع، والشروق، وتحديد مواقيت

الصلاة بالتوقيتين الغربي والزمالي، يعد موسوعة ثقافية تطالعك بالجديد كل يوم دينيا، أو علميا، أو أدبيا نثرا، أو شعرا، فتطالعك الآية الكريمة، أو يستوقفك الحديث الشريف، أو يثير اهتمامك مثل سائر، أو حكمة عالية، أو نادرة مكنونة، أو طرفة رائعة، أو يحرك نشاط القارئ الكريم معلومة طريفة، أو لغز هادف، أو إرشادات هامة، وبذلك تحول التقييم من مجرد التعريف بالتاريخين وأوقات الصلاة إلى موسوعة ثقافية ميسورة الحمل، سهلة العطاء.

وإلى جانب المهام التقييمية للدار تتحمل مسؤولية إصدار مطبوعات لها طابعها الإسلامي، أو الأدبي أو العلمي، وهي في كل ما تصدر حريصة على التطور في الإخراج، والمحتوى، بحيث تُرى المتابع الكريم لإنتاجها جديدا مع كل عمل تبرزه إلى عالم الوجود.

مكتبة فضيلة الشيخ

عبد الله بن إبراهيم الأنصاري العامة

الكتاب أحب شيء إليه

باهتمامات الإنسان تستطيع معرفة توجهاته، وقراءة معالم شخصيته، وتفاعله مع الحياة، وعطاءه فيها، وقدراته، ومدى الاستفادة منها، وماذا نقول في رجل اتخذ الكتاب رفيقاً له، وكان خير الرفقاء كتاب لا ريب فيه، كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كتاب الله العزيز الحميد؟

لقد جعل من الكتاب أنيساً له، وآنس الأُنسِ آيات يرددها آناء الليل وأطراف النهار من كتاب الله رب العالمين.

وقد لقي الكتاب لديه الحظوة في كل مراحل حياته، ووجد منه الاهتمام بكل طرائق تيسيره، والحصول عليه واقتنائه إذ هو في نظره الثروة الباقية، والكنز المدخر، والذكر الطيب.

إنه خير مستشار، وأصدق ناصح، وأشد المعلمين إخلاصاً، وأحرصهم على تقديم ما عنده.

إنه يغذو الروح والعقل ويتعهد النفس، ويخالط مشاعر القارئ الصدوق، ويظهر أثره في كل ما يأتي أليفه، أو يذر.

وهو أنواع شتى، شأنه شأن صانعه فمنه الطيب الذي يرين صاحبه وقارئه، ويورثه وقاراً، ويلبسه هيبه، وينزله في الناس منزلاً كريماً، وبه كان اهتمام شيخنا رحمه الله تعالى.

ومنه الخبيث الذي يحمل خُبثَ مُحدِثِهِ، وينفثُ في قارئه سموماً تُشوهُ منه العقل، والقلب، واللسان، بل يُرى أثره السيئ في كل فعّاله، ويُلاحظ في كل سلوكه، وكان الشيخ حرباً على هذا اللون.

وقد عاش الشيخ - رحمه الله تعالى - ولوعاً بالكتاب، شغوفاً به، حريصاً عليه، حفيماً به، وفتياً له، تشرف به يمينه أينما سار، ويعطر به مجلسه، ويسعد به زائرته.

تعرفَ عليه، وألفه منذ نشأته الأولى، في رحاب والده - رحمهما الله تعالى - وعنه أخذ العناية به، والحرص عليه، والإكثار من الخلوة إليه، فلما تقلّب في أرض الله طالباً العلم في الأحساء، ثم في مكة المكرمة لم يره رفاقه إلا مصطحباً كتاباً، أو حاملاً كراسةً يُحبرُ فيها، أو يقرأ منها، حتى لقد كان الكتاب ينسيه مطالبه الضرورية؛ فقد يشغل بالقراءة عن طعامه وشرابه، وقد يستبدل بالطعام والشراب شراء كتاب.

لقد قرر المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود للشيخ راتباً شهرياً يستعين به أثناء الدراسة بأمر القرى - نضرها الله وباركها - فأثر الكتاب بهذا الراتب، وهو في أشد الحاجة إليه.

لقد وكل به بعض بائعي الكتب في البلد الحرام ليأخذ منه كل شهر ما يعادل هذا الراتب كتباً.

سبحان الله أي فكر هذا؟ وأي توجه ذلك الذي حدثتكَ عنه؟

إن الذي يتبادر إلى أذهاننا كبشر أن الراتب أول ما يُتَّجَه به إلى بائعي الأطعمة فهي الحاجة الطبيعية المتكررة، والتي لا غنى للإنسان عنها، ولكن العظيم كما قيل: يأكل ليعيش ولا يعيش ليأكل.

وسيد العظماء - صلى الله عليه وسلم - يقول:

فيما روى أوب كريمة بن معد يكرب - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن بحسب ابن آدم أكالات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه))^(١).

وطالب العلم الأول، راوية الإسلام أبو هريرة - رضي الله عنه - قال: ((والله الذي لا إله غيره إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشدُّ الحجر على بطني من الجوع))^(٢). وما منعه هذا من متابعة الوحي، وطلب العلم، ليكون فيما بعد راوية الإسلام.

ألم تعلمنا الحياة أن العظماء لا يشغلون بشهواتهم عما خلُقوا له؟

وظل الشيخ - رحمه الله تعالى على وفائه للكتاب، وحرصه عليه، حتى كان مجلسه خزانة كتب تحوي أسفاراً، ومراجع قد تخلو منها مكتبات عامة، منها المخطوط والمطبوع في الدين خاصة ثم اللغة العربية، ثم بعض الفنون الأخرى، وكثيراً ما كان هذا المجلس يتحول إلى منتدى علمي يشتد فيه الحوار، وتتنافس فيه الآراء، حتى يثلج الصدور ما اتفق عليه المتناظرون. ولم تكن هذه المكتبة بعيدة المنال، بل كانت لكل راغب في العلم، جاد في البحث، حتى لقد كان بعض أصدقاء الشيخ - رحمه الله تعالى - يأتونه من دول شقيقة في الخليج العربي فيمكث أحدهم في مكتبة الشيخ، وبين كتبه أياماً قد تصل إلى أسبوع أو أكثر، ومعه الدرج يعينه على الوصول إلى أعلى الرفوف، وبين يديه قلمه وأوراقه لا يخرج من خلوته إلا صلاة، أو طعام.

1 - رواه الترمذي وأحمد وابن ماجه.

2 - رواه البخاري من حديث طويل.

وكان لشدة حرصه على الكتاب يخشى ضياعه، ويخاف أن يتسرب إليه التلف، ولذلك كتب على كتبه بيتين وأوصى بكتابتهما على كل كتاب يستحدث تذكيراً للقارئ، وتقديراً للكتاب، وقرأهما أخي لترى في كل حرف منهما احترام الكتاب، وما ينبغي لمستعيره من آداب.

إِذَا اسْتَعْرْتَ كِتَابِي وَانْتَفَعْتَ بِهِ

فاحذِرْ وَوَقِّتِ الرَّدَى - مِنْ أَنْ تُغَيِّرَهُ

وَارْزُدْهُ لِي سَالِماً إِنِّي شَغَفْتُ بِهِ

لَوْلَا مَخَافَةُ كَتْمِ الْعِلْمِ لَمْ تَرَهُ

وحين مكّن الله تعالى له يسرّ الكتاب لكل راغب، وأسعد به كل طالب للعمل مُحِبٍّ له داخل قطر الحبيبة، وعلى مستوى العالم كله دون أن يحمّل المهدي إليه أدنى عبءٍ ماديٍّ، وكتاب في أرض الله كلها ممهور بلقبه (خادم العلم) واسمه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، ووطنه الحبيب المعطاء (قطر العلم).

وصية خالدة

ورغبة منه رحمه الله تعالى - في استمرار العطاء أوصى ألا تكون كتبه تراثاً تُوصدُّ عليه الخزائن، ويمنع منه كل قاصد، بل تقام مكتبة عامة، وكتبه أساس ضخمة ينهض عليه، وينافس به ذلك الصرح المأمول، ثم ما يضاف إليه مما تتمخض عنه المطابع، أو تجود به قرائح العلماء والمفكرين، وألا تكون تلك الإضافة موقوتة بل دائمة مستمرة في عقبه - رحمه الله تعالى - وأن ينظم العمل بالمكتبة تنظيمًا يتيح لكل باحث أو باحثة فرصة اللقاء مع ما يحب من كتب ومراجع، وأن يهيئ الجو المناسب لرواد، ورائدات تلك المكتبة.

ألم أقل إنه مولع بالكتاب، شغوف به، حريص على العلم، راغب فيه له ولغيره؟

إنه مع دنو أجله، وقرب رحيله إلى جوار ربه، حريص على خدمة العلم وتيسير الكتاب.

وألقيت الأمانة على كاهل أبنائه، وقدم لخلافته، والنهوض بأماناته، وتنفيذ وصاياها، أبنة الأكبر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، وفقه الله، وسدده، وسائر إخوته - غفر الله لهم وبارك فيهم - عضد له، وجند صادقون مخلصون أوفياء لماضي خادم العلم، والدهم الكريم، رعاة لأمانته، معينون لأكبرهم على مستقبل يرضي الله أولاً، ثم يجعلهم بررة أوفياء لوالد أعطى حبا، وآثر أن يمتد عطاؤه حتى بعد موته.

ورفعت الرغبة إلى المسؤولين، فلقي الأمر قبولا وترحيبا، وصدر القرار الكريم باعتبار مكتبة فضيلة الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري مكتبة عامة، لها كل مخصصات المكتبات العامة، وعليها التزامات تجب صيانتها، وانبرى الابن الأكبر، ومن حوله إخوته الأبرار يشدون أزره،

ويدعمون خطوه، وقد نظمت المكتبة بمعرفة متخصصين، وقسمت تقسيما
فنيا، وصُنِّفَتْ مقتنياتها، وأعدت سجلاتها، واختير طاقمُ العمل بها،
وفتحت أبوابها تستقبل بحفاوة، وتخدم باحتفاء، وكأنها تحاول أن تعيد
شيئا من كرم، وحفاوة، وحسن استقبال منشئها - رحمه الله تعالى -
وتنقل ولاءه للكتاب وولعه به للأجيال.

افتتاح مبارك

ورأى رئيس مجلس إدارة المكتبة محمد بن عبد الله الأنصاري، وأعضاء مجلس الإدارة أن القاعة القديمة غير كافية، وأن كمال الخدمة، وواجب الاهتمام بالراغبين والراغبات يحتمان وجود ساحة أكبر، لتحديث المكتبة، وإضافة خدمات اقتضاها العصر، وإخراج آلاف الكتب الحبيسة لترى النور، وتسعد بقاء طلاب العلم، وتصاحب الباحثين في جولاتهم البحثية.

وبدأ العمل في المكتبة الجديدة ورصدت إمكانيات مباركة، واختير لها مهرة المصممين، وبارعي العمال، مع متابعة دقيقة نشطة، واهتمام رشيد بترائه بحسن سير العمل حتى قام الصرح شامخا وقد جمع بين القديم بترائه ومصداقيته، والجديد بدقته، وتنوع معطياته.

وجاء يوم الأربعاء ٢٥ من صفر ١٤٢٠هـ الموافق ٩ من يونيو ١٩٩٩م وكان يوما مشهودا حضره لفييف من العلماء والمسؤولين، ووجهاء قطر وغيرها على رأسهم رفيق الشيخ - رحمه الله تعالى - وخدمته فضيلة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي، كما شهدته جمهور كبير، وافتتح فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي المكتبة، في فرحة غامرة، وسرور بالغ.

وتمت مراسم الاحتفال الذي شاركت فيه الصحافة القطرية، وسجله التلفاز القطري، ثم تفقد الحاضرون المكتبة الجديدة، وطاقوا بأقسامها المختلفة، ومعهم أمينها والمسؤولون عنها يجيبون على كل استفسار، ويوضحون ما يحتاج إلى توضيح، فذكروا بكل خير خادم العلم، وتذاكروا كثيرا من اهتماماته، وطموحاته مع الكتاب، وغيره مما ولاه الله تعالى، ونوهوا بهمته العالية، وأشادوا بجهاده، ثم أثنوا على خلفه ودعوا لهم أن يكون على أثره طيبين فعالين في كل موقع خير.

المكتبة في ثوبها الجديد

مكتبتنا الجديدة زودت بثلاثة أقسام تساهم في تطوير الخدمة، وتتمشى مع تحديث (مكتبة خادم العلم).

قسم التزويد: ومهمته حصر احتياجات المكتبة، والمكتبة شأنها شأن الكائن الحي له البقاء مادام موصولاً بعوامل البقاء، وهي في حاجة إلى إمداد دائم، فالمطابع تدفع بملايين الكتب إلى الساحة، والأقلام تسطر، والمكتبة تستقبل، ولتزويد مكتبتنا خبراء يحسنون الاختيار، ويسقطون من قائمة مكتبتنا ما لا يُرغَبُ فيه، ويضيفون ما يثري تلك المكتبة، ويلبي رغبات روادها.

قسم الحاسوب: وفيه يتم إدخال البيانات لكل مقتنيات المكتبة في برنامج خاص بمكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري، ولذا يمكنك في لحظات أن تستدل على مراجعك، ومقومات بحثك بالمكتبة.

قسم الخدمة المكتبية: وهو المسئول عن خدمة الرواد، وتهيئ الجو المناسب لهم، وتلبية حاجاتهم أولاً بأول.

أما من حيث الكتب فقوام تلك المكتبة (٣٥٠٠٠) خمسة وثلاثون ألف كتاب، يمثل الجانب الديني منها ٧٥٪ اتفاقاً مع اهتمامات مؤسسها - رحمه الله تعالى - وفيه يطالعك القرآن الكريم في أكثر من سبعين طبعة، تشمل أكثر من ستين مطبعة ودار للنشر عربية وعالمية، مع تميز هذا الجزء بطبعاته النادرة القديمة والحديثة، فعلى سبيل المثال لا الحصر لدينا مصحف في ستين صفحة تحمل كل صفحة حزباً كاملاً، وهو طبعة مغربية أنيقة تسير على أصول الرسم العثماني، مضافاً إلى ذلك تسع وعشرون طبعة لخادم العلم رحمه الله تعالى.

كما يمكنك من خلال ركن القرآن الكريم أن تشهد رسمه بقراءتي حفص، وورش بخطوط مشاهير خطاطي القرآن الكريم عرباً أو غيرهم قدامى ومحدثين.

ويمثل التفسير جناحاً له أهميته تشع جوانبه نورا باشماله على ١٥٩ تسعة وخمسين ومائة تفسير بلغ (الجامع لأحكام القرآن) للإمام القرطبي (٢٤) مجلداً، وتفسير (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لابن عطية الأندلسي، (١٥) خمسة عشر مجلداً، حققه وأعاد طباعته خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، وآخرون، وتمت طباعته بمؤسسة دار العلوم بالدوحة، وتوفي الشيخ وقد طبع منه ثلاثة عشر مجلداً، ثم أكملته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية، كما يطالعك (تفسير ابن مسعود) من إعداد (محسن أحمد عيسوي) وهو مجلدان، و(توير المقباس من تفسير ابن عباس) طبعة (دار الكتب العلمية) بيروت، وهو مجلد، أما أحدث ما وصلنا فهو (تفسير الشعراوي)، مطبعة (دار الأخبار) مصر، وهو اثنا عشر مجلداً، وهكذا تجد نفسك في روضة عطرة معطاءة في تفسير كتاب الله تعالى جمعت بين أقدم القديم، وأحدث الحديث.

ناهيك عما يطالعك في علوم القرآن الكريم، وكذا الحديث الشريف وعلومه، فالفقه الإسلامي، وباقي فروع المكتبة الدينية، ثم اللغة العربية، لتصل في النهاية إلى فنون أخرى منها كثير أضيف حديثاً.

وتستوقفك محيية راجية الزيارة، أو الدعوة إليها (غرف البحث) وهي أربع غرف صممت للبحث الذاتي، حيث يخلو الباحث، ومنها يمكنه الدخول على برنامج مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة لبحث عما يريده من مقتنيات المكتبة وكذلك التعامل مع أقراص CD المحملة بكتب التراث، والتي تتيح للباحث التجوال خلالها، والوصول إلى ما يريد من معلومات تحقق غرضه، وتفي بحاجته، وقد توفر لدينا - بفضل الله تعالى -

ما يصلح أساساً لمكتبة من هذا النمط العلمي الحديث، والنية معقودة على استكمالها لتكون مكتبة متكاملة توائم العصر، والله المستعان.

(المكتبة السمعية) وتضم مجموعات منتقاه من الأشرطة في طليعتها القرآن الكريم، وترجمة معانيه بالإنجليزية، وكذا محاضرات ودروس لخدام العلم الشيخ عبد الله الأنصاري، ولنخبة من دعاة الإسلام ومفكرهم منهم - على سبيل المثال لا الحصر - الشيخ عبد المجيد الزنداني والدكتور طارق السويدان، وإنا بعون الله تعالى - ماضون في استكمالها لتبلي - ما أمكن - حاجات الذين يفضلون أن يسمعوا، وتعينك على التفرغ غرف البحث، وجهاز التسجيل المودع بكل منها.

وإذا كان فراخ الزرع يحتاج إلى عناية وحسن رعاية ليستوي على عودة، ويؤتي أكله فكذلك صغارنا في حاجة ماسة إلى حسن توجيهه وكريم رعاية، والمكتبة أهم دور التربية، وقد وفقنا الله لاختيار نماذج تصحب الطفل من أربع سنوات مراعية ظروفه، متابعة تطوره، تنمية مهاراته وقدراته، حيث يقدم مسئول المكتبة لكل طفل ما يناسبه.

وقد كان لمكتبة فضيلة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة برنامجها في استقبال زيارات جماعية لطلبة وطالبات المدارس (من رياض الأطفال إلى نهاية المرحلة الثانوية)، وينمو جناح الأطفال نمواً سريعاً رغبة في الوصول به إلى مكتبة خاصة بالأطفال.

ويد التطوير بفضل الله تعالى وعونه - لا تقف لأن الحياة تسرع بنا، ووقوف الإنسان جمود، والجمود يتنافى مع خلق الإسلام، وما دام الله تعالى قد هياً لنا الأسباب، وأسبغ علينا نعمته فلم لا نطور ما أقامنا الله فيه؟.

(القاعة القديمة) يتم إعدادها، وقد أوشكنا على الفراغ منها؛ لتظل كما هي مكتبة (قاعة أولى) غير أنها تُعد لإقامة الندوات فيها، وسيكون

منتدانا - بعون الله ومشيبته - في موضوعات هي ضرورية في حياة الناس
لكنها موضع اختلاف، ويعلن كل فريق رأيه في حرية تامة، ثم يقول كلمة
الفصل مُحَكَّمُونَ يحوزون الثقة لدى المتحاورين وجمهور المشاركين.

دعوة كريمة

وإني - بالله - أخوا الإيمان وأخته أدعوكما إلى خير الدنيا وسعادة الآخرة، ليست زيارة المكتبة مجرد إضاعة وقت، أو عمل دنيوي يهدف الترويح عن النفس، ولكن باستطاعتنا أن نحوله إلى عمل للآخرة وسعي لها.

{ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) }^(١).

لم لا نكون في زيارتنا للمكتبة طلاب علم لننال الهبات التي لا يقدرها حق قدرها إلا مانحها جل وعلا؟

أينا يحب أن يسهل الله تعالى له طريقا إلى الجنة؟ من ذا الذي يطمع في أن تضع الملائكة أجنحتها له رضي بما يصنع؟

عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((من سلك طريقا يتبغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع))^(٢).

ألا تريد في سلمك أن تكون في سبيل الله دون أن تحمل سلاحاً أو تريق دماً، أو تتحمل مشقة؟

إن أردت ذلك فاخرج في طلب العلم لله وفي الله والمكتبات مقصد من مقاصد طلاب العلم.

عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من خرج في طلب العلم، كان في سبيل الله حتى يرجع))^(٣) فأسرع. أخوا الإيمان وأخته - إلى أي مكتبة إسلامية ما استطعت إلى ذلك سبيلاً،

1 - الإسراء.

2 - رواه أبو داود للترمذي وصححه ابن حبان.

3 - رواه الترمذي وقال حديث حسن.

ولنجعله أصلاً ثابتاً في حركتنا وإنا - والله - ما نسينا أخت الإيمان فلها
عندنا يومان الأحد والثلاثاء وإنا لنرجو أن نصل بهن إلى أيام الأسبوع كاملة.
هذا والله من وراء القصد وهو المستعان.

أبو عمر

معهد فضيلة الشيخ عبد الله الأنصاري للقرآن الكريم وعلومه

لقد عرف العالم الإسلامي اهتمامات الشيخ - رحمه الله تعالى - بالقرآن الكريم تحقيقاً، وطباعة، ومدارسة، وحسن عناية بعلومه، وإحياء لذخائر تفسيره، وشهد المجتمع القطري (مواطنون، ومقيمون، وزوار) ذلك واقعاً ملموساً، وعاشوا عصراً ذهبياً مشرقاً بكتاب الله - تعالى - يتردد صداه في كل أرجاء قطر هدى ونورا، وبرهاناً وذكرًا، الصغار والكبار رجالاً ونساء، يحفظون، ويرتلون أي الذكر الحكيم، ويتنافسون فيه، وما كان ذلك للعرب وحدهم، بل سابق فيه العجم، وسبقوا في أحيان، وحازوا الجوائز الكبرى، وصار منهم محفظون، وأئمة، ونافس صغارهم صغارنا، وانطلقت ألسنتهم بلغة القرآن الكريم مؤكدة عظمة القرآن، وتحديه، وإعجازه، مؤكدة خلوده، واتساقه مع طبائع البشر جميعاً، عرباً أو عجماً، لأنه كلام رب العالمين، إلى الناس كافة يقول العلي الأعلى:

{ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤) }^(١).

وليت العرب يذكرون فضل الله تعالى عليهم بنزول القرآن الكريم فيهم، وبلغتهم.

يقول ربنا جل وعلا:

{ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) }^(٢).

أي شرف كهذا الشرف؟

1 - النحل.

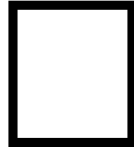
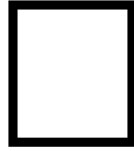
2 - الزخرف.

أي منزلة كتلك المنزلة التي رفع الله - تعالى - إليها تلك الأمة؟ ويشهد الله - تعالى - أننا تعودنا في مجتمعنا القطري أن نَشْهَدَ في حلقات القرآن الكريم، ومراكز التحفيظ المنتشرة في أنحاء قطر - والتي كان الشيخ يعطيها جهده ووقته - خليطاً من المتنافسين في القرآن الكريم، لا تكاد تفرق بين عربي وعجمي إلا إذا انتقل الحديث إلى غير القرآن الكريم، والشيخ - رحمه الله تعالى - يقلب بصره بين هؤلاء مسبحاً تارة، وذاكراً تارة أخرى، وابتسامته لا تخطئ واحداً وشاء الله تعالى أن يقوم مع كتابه هذه السطور صرح شامخ، قوي، عزيز بعزة ما أقيم من أجله، عظيم بعظمة الحق الذي يعمره، يلقن رواده نورا، ويجمعهم على الهدى، ويأخذ بيدهم إلى الشفاء، ففي يوم السبت العاشر من شهر رجب ١٤٢١هـ الموافق السابع من شهر أكتوبر سنة ٢٠٠٠م.

افتتح معهد فضيلة الشيخ عبد الله الأنصاري للقرآن الكريم وعلومه، وقد هدانا الله تعالى ألا يكون حكراً على الرجال، فأقيم معهد يستقبل الراغبين من الرجال، وآخر يرحب بالراغبات من النساء، واستقدم له - بفضل من الله ورحمة - أساتذة، وأستاذات رأينا فيهم خيراً - والله حسيبهم ولا نزكيهم على الله - تحريماً فيهم العلم، والخبرة، ودعوناهم إلى صدق العمل، والإخلاص في الأداء، وذكّرناهم بشرف ما هم مقبلون عليه، وبِعَظْم مسؤوليتهم عند الله، وشدة موقفهم لحسابه، حيث يحفظون كتابه، ويلقنون الدارسين والدارسات علومه، وذلك أشرف الأعمال وأرضاهما لرب العالمين إذا صلح القلب وصدق النية، فخيركم من تعلم القرآن وعلمه.

ومن كمال نعمة الله تعالى وبإلحاح رحمته أن اكتملت مقاعد المعهدين خلال أيام معدودات مما دعانا إلى التوسع، وأرجأنا مضطرين عدداً لدورة مقبلة.

وقد سألنا الله تعالى أن يكون لنا: **آل الشيخ عبد الله الأنصاري** شيء من هذا الشرف، ألا وهو خدمة كتابه العزيز وعلومه التي عاش عليها، ومات عليها سيدي الوالد **الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري**، وأوصانا بها، وأرانا الله تعالى في حياته وبعد رحيله - غفر الله له - بركة هذا العمل فهو عمل طيب نلبي فيه نداء ربنا، ونحظى فيه برضاه - **جل شأنه** - ونفتح به باباً يصلنا بالله، ويهدينا به إلى سواء السبيل، ويهدي به من سعى إليه إنه القرآن الكريم، عصمة من **تمسك** به ونجاة من اتبعه، فهدانا الله إلى خدمته، وهياً لنا أسباب ذلك، فسلكنا الطريق راجين أن يكون هذا نجاة لنا ورحمة وامتداداً لعمل الشيخ وأثراً طيباً من آثاره، وأن يجزيه جزاء من سن سنة حسنة، وأن يجعل سعيه مشكوراً موصولاً، وجهاد بنية مباركاً مقبولاً إنه على ذلك لتقدير، وبالإحاطة جدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.



ഖനാൽ ഹൂ

ഖനാൽ ഖനാൽ ഖനാൽ

وإلى القارئ الكريم جملة من أعماله سطرها الباحثون وفي طليعتهم الأستاذ الباحث المفكر محمد المجذوب في كتابه (علماء ومفكرون) ، وكذلك الأستاذ الدكتور عارف الشيخ في كتابه (وجهة نظر) ، وغير هذين كثير من الفضلاء (علماء ومفكرين عرباً وغير عرب) وأوردنا قدراً منها في كتاب: (الأنصاري في عيون الآخرين) وما رمى هؤلاء الأكارم إلى مدح أو إطراء ، فقد رفض الدين ذلك تماماً ، وهؤلاء الأكارم كما رأى أولوا النظر فيهم – ولا نزكيهم على الله – علماء فضلاء لا يريدون من مخلوق جزاء ولا شكورا ، وإنما يكشفون عن الحق أيا كان موقعه تبصرة وتذكيراً ، وحفزا للهمم ، ودعوة إلى التأسى ، وإني أسجل بعض ما كتبوا سائلاً المولى أن يجعلنا جميعاً لسان صدق ، وأن يجعل المتحدث عنه خيراً مما نقول ، وأن يدخله مدخل صدق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

- ١- تأسيس أول معهد ديني في قطر .
- ٢- إخراجة التقويم السنوي لقطر بصورة خاصة والخليج والمملكة العربية السعودية بصورة عامة منذ عام ١٣٧٦هـ .
- ٣- عضويته في رابطة العالم الإسلامي .
- ٤- عضويته مجلس أمناء المركز الإسلامي الأفريقي .
- ٥- رئاسة لجنة تبرعات مجاهدي أفغانستان .
- ٦- عضوية لجنة تحكيم الشريعة الإسلامية .
- ٧- عضوية لجنة التحكيم لاتحاد مجاهدي أفغانستان .
- ٨- مشاركته في مؤتمري السيرة النبوية الأول والثاني .
- ٩- التهيئة والإعداد ورئاسة المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية المنعقد في الدوحة بقطر عام ١٤٠٠هـ .

- ١٠- افتتاح المراكز الإسلامية في كوريا الجنوبية والهند واليابان والفلبين.
- ١١- تأسيس مراكز تحفيظ القرآن الكريم والإشراف عليها من عام ١٣٩٠هـ للبنين والبنات في دولة قطر.
- ١٢- الإشراف على المسابقة السنوية لحفظ كتاب الله الكريم وتقديم المكافآت القيمة للفائزين وذلك ابتداء من عام ١٣٧٥هـ.
- ١٣- عضوية مجلس ندوة العلماء في لكهنؤ في الهند.
- ١٤- افتتاح الكلية الإسلامية العربية في كوتياي كيرالا بالهند عام ١٤٠١هـ.
- ١٥- تأسيس الندوة القرآنية الأسبوعية في مسجد الندوة في عام ١٣٨٢هـ ومتابعة استمرارها في أداء رسالتها خدمة للقرآن الكريم.
- ١٦- عضوية اللجنة التحضيرية للمؤسسة الخيرية الإسلامية العالمية في الكويت.
- ١٧- مشاركته في مؤتمر ملتقى الفكر الإسلامي في الجزائر.
- ١٨- عضويته في المجلس الأعلى العالمي للمساجد في مكة المكرمة.
- ١٩- الاشتراك في المؤتمر العالمي الرابع للسير والسنة النبوية الذي عقد بالقاهرة في تاريخ ١٧/١٢/١٤٠٦هـ بصفته رئيساً للمؤتمر العالمي الثالث للسير والسنة النبوية، وتسليم رئاسة المؤتمر للشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر.
- ٢٠- ولا تفوتنا الإشارة إلى أن من أعماله التي وكلت إليه رسمياً إمارة الحج القطري التي استمرت خمس عشرة سنة حتى تخلى عنها عام ١٣٩٨هـ.

وكانت هذه المهمة فرصة طيبة أمام محبيه ومقديري فضله للظفر
بلقاءه في ظلال الحرمين في كل موسم.

الخاتمة

طوّفنا بك - أيها القارئ الكريم - في آفاق سبق إليها (خدام العلم) وقضى فيها عمراً ثرياً، عامراً بالعطاء، حافلاً بالجهاد، حتى عاش في ضمير تلك الأمة الخالدة، وعرفه المسلمون وعرفهم.

عرفوه وهو ينفذ التراب عن تراثٍ مقدس، فيعيد إليه الحياة بعد رقاد، ويفسح له الطريق إلى المكتبات الخاصة والعامة في العالم، ويجعل له مستقراً في قلوب وعقول المسلمين، منه يتعلمون ويعلمون، ويحدثون عن الإسلام، ويفاخرون.

عرفوه يدعو إلى الله، ويستثير الهمم للوقوف صفاً واحداً، نشدُّ أزر من باعوا أنفسهم لله، فحق على كل موحد أن يكون معهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

عرفوه في مجالات للخير اتسعت لكثير من عباد الله أفراداً وجماعات، فأحبوه وأحبهم.

عرفهم إخوة له في الله لهم عليه حقُّ الأخوة الباقية، وصلِّهم قُربى لله، والسعي في حاجاتهم سعي إلى الله، وكم تضرع إلى الله تعالى أن يهبه الصدق، ويثبت منه القلب، ويحفظ له البصيرة، وينير طريقه بهداه، فانطلق ركبُ الأخوة يدوس الصعاب، ويعلو على الأزمات، يعمل لله وفي الله حتى وافاه الأجل فرحل إلى ربِّ كريم.

ويعلم الله - تعالى - أنني قد بذلت ما ملكت من جهد، واستعنت بما يسر الله - تعالى - لي من المراجع، وجمعت الرأي ما استطعت إلى ذلك سبيلاً رغبة في تمحيص ما أكتب.

وبقي أن أقول لربي داعياً، راجياً، مشفقاً:

{ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ
لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) }^(١).

المراجع

١. القرآن الكريم
٢. الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام القرطبي.
٣. في ظلال القرآن الكريم أ. سيد قطب.
٤. تفسير الجواهر للشيخ طنطاوي جوهرى.
٥. بعض أمهات الحديث الشريف.
٦. كتاب رجل من قطر تأليف أ. محمد بن عبد الله الأنصاري.
٧. كتاب ((الأنصاري في عيون الآخرين)) إعداد أ. محمد بن عبد الله الأنصاري.
٨. كتاب ((علماء ومفكرون عرفتهم)) تأليف أ. محمد المجذوب.
٩. كتاب ((وجهات نظر)) تأليف أ.د / عارف الشيخ.
١٠. جريدة الشعب الجزائرية ٢٣/١٠/١٩٨٩م.
١١. كتاب ((شعراء هجر)).
١٢. كتاب ((إظهار الحق)) تأليف الإمام الشيخ محمد رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرانوي.
١٣. ((عنوان الشرف الوافي))، إسماعيل بن أبي بكر المقري.
١٤. كتاب (قضايا تراث المسلمين)، د. رشدي فكار أعده أ. خميس البكري.

- ١٥ . كتاب ((تحقيق النصوص)) ونشرها أ. عبد السلام هارون.
- ١٦ . كتاب ((تراثنا بين شرق وغرب))، د. بنت الشاطئ.
- ١٧ . الموسوعة العربية العالمية.
- ١٨ . كتاب ((معرفة الصواب في موافقة الحساب للموافقات الهجرية والميلادية لمائة عام ١٣٥٠هـ - ١٤٥٠هـ الموافق ١٩٣١م - ٢٠٢٩م))، حساب وإعداد خادم العلم الشيخ عبد الله الأنصاري.
- ١٩ . التقويم الهجري لدار التقويم القطري.
- ٢٠ . المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية (البحوث والدراسات المقدمة للمؤتمر).
- ٢١ . ((خلق المسلم))، تأليف الشيخ محمد الغزالي.
- ٢٢ . كتاب ((أفغانستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو الروسي)) تأليف د. محمد علي البار.